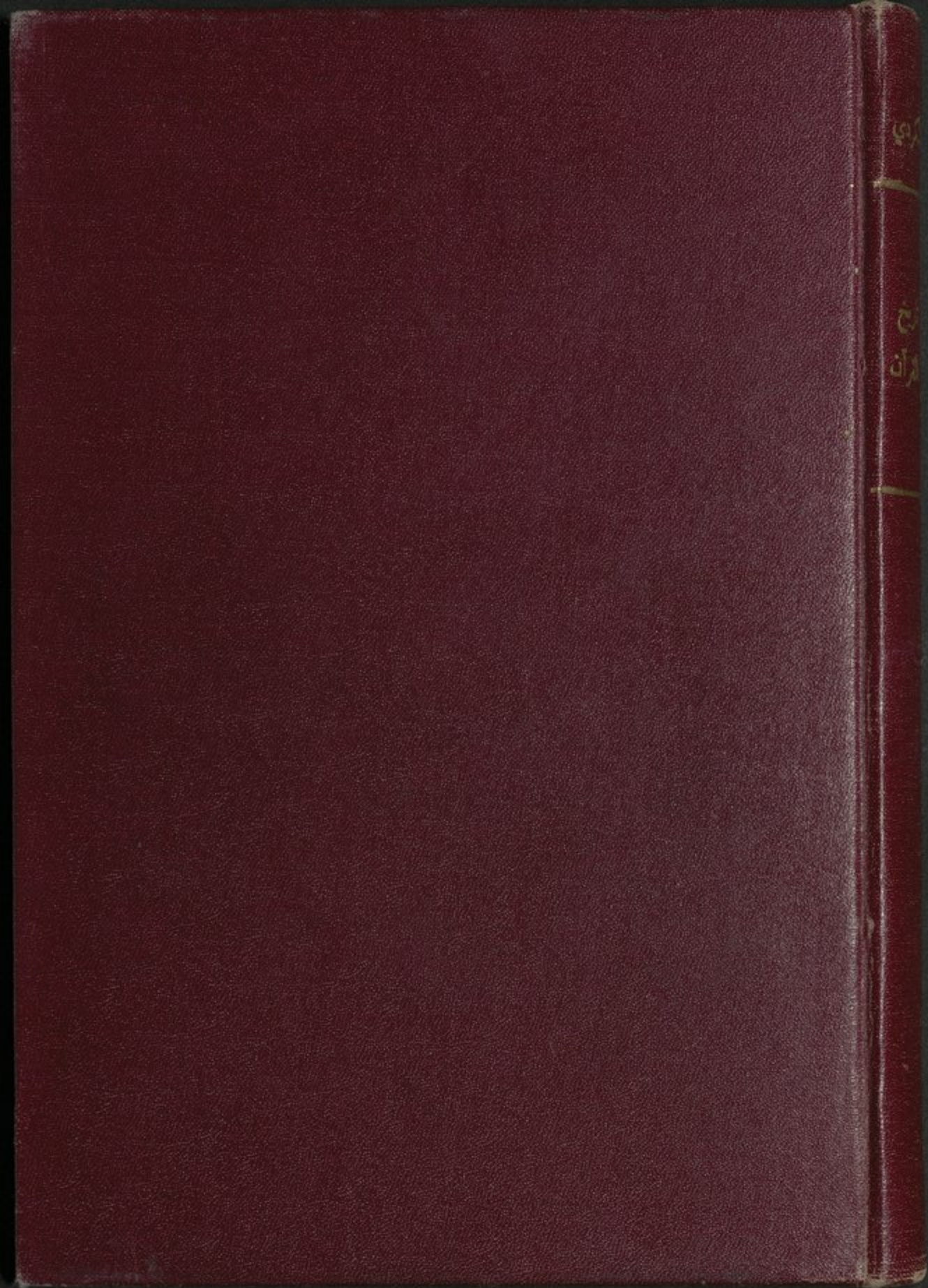




فيلد صالح النقر

٢٢٧٧١١

Call No.

297.

297.129

K96A

Borrower's No.

Check one:

Library use ☒

Outside use ☐

Loan & Renewal

Vol.

297.129

K96A

JAFET LIB JUL 1971

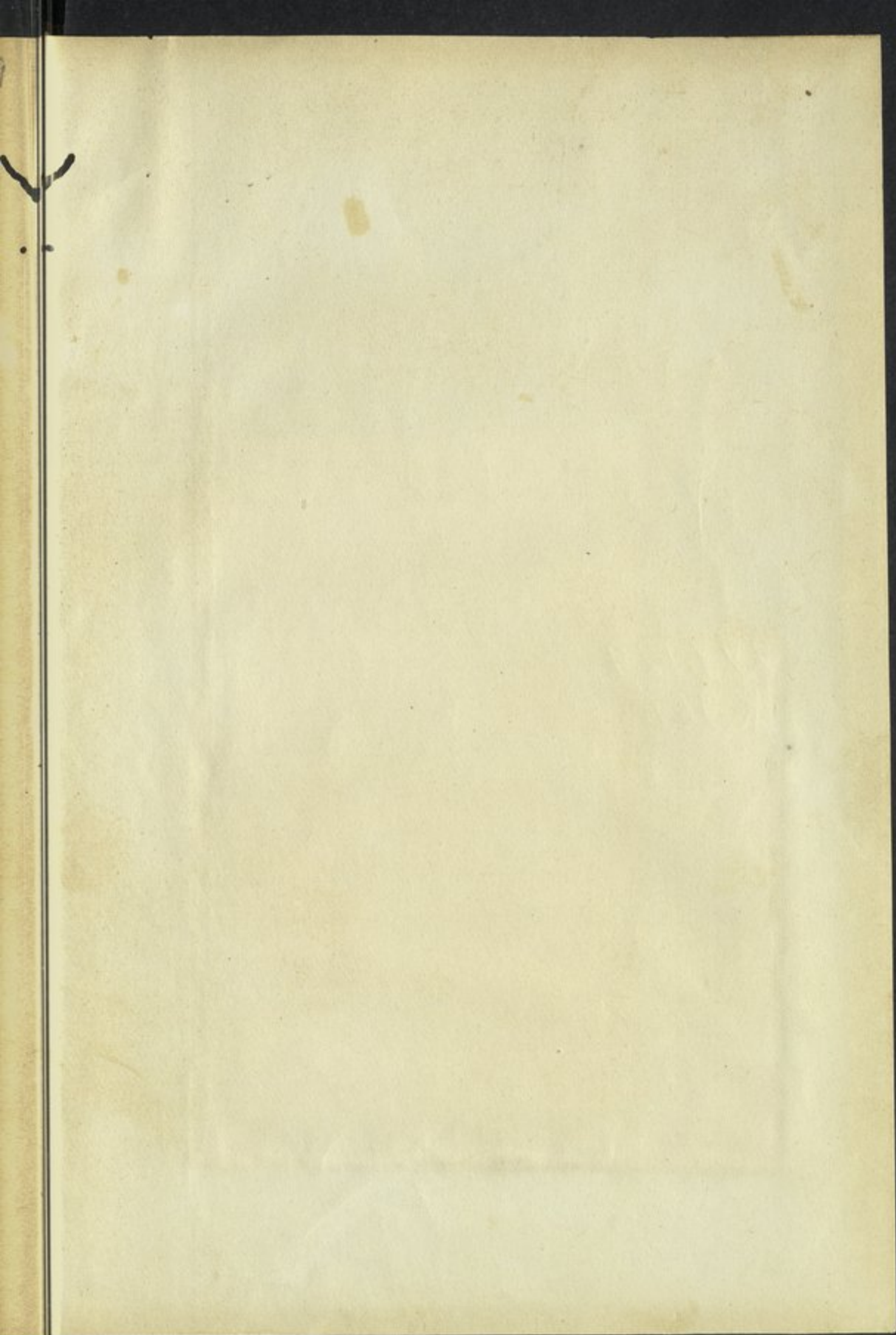
15 JAN 1991

JAFET LIB
24 OCT 2013 8 AUG 1981
Circulation

JAFET LIB

15 JAN 1991

24 APR 1988



تكملة القرآن

وعزائبت رستم وحقه

تأليف

محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي الخطاط

كاتب مصحف مكة المكرمة

[راجعه فضيلة الشيخ علي محمد الضباع شيخ المقاري بالديار المصرية]

الطبعة الثانية

١٣٧٢ هـ — ١٩٥٣ م

حقوق الطبع محفوظة للناسخ

مركز مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأزاده بمصر

موجز محتويات الكتاب

يبحث عن تعريف القرآن وما يتضمنه ، وعن جمعه وكتابته
وترتيب آياته وسوره وضبطه وتصحيحه ، وعن غرائب رسم
كلماته ، وهل رسمه توقيفي أم لا ؟ وعن حكم اتباع رسمه ، وسبب
نقط حروفه وتشكيلها ، وعن معرفة الصحابة للإملاء والكتابة ،
وعن مقارنة كتاباتنا برسمه وغير ذلك من المباحث القيمة ،
والمسائل الدقيقة المهمة .

وفي آخر الكتاب منظومة لطيفة في بناء الكعبة المعظمة في أربعة
أدوارها الشهيرة ، وهي : بناء إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، و بناء
قريش ، و بناء عبد الله بن الزبير ، و بناء الحجاج بن يوسف
الثقفى ، مع وضع رسوم لهذه البنايات استنتجها المؤلف من أوثق
المصادر التاريخية .



المسجد الحرام وبوسطه الكعبة المشرفة وقد ظهر في الصورة بعض بيوت مكة المكرمة
كما ظهر فوق الجبل قلعة أجياذ



متنظر المدينة المنورة وقد ظهرت منائر المسجد النبوي والقبة التي علي قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم

مقدمة الطبعة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين حمداً يليق بعظمته وجلاله ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وصحبه وآله .

وبعد : فلقد وفقنا الله تعالى لكتابة القرآن العظيم^(١) الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، كتبناه على وفاق رسم المصحف العثماني ناقلين عن المصحف الذي طبعته الحكومة المصرية سنة ألف وثلاثمائة واثنين وأربعين هجرية تحت إشراف مشيخة الأزهر المعمور ومشيخة المقاريء العمومية ، لأن اتباع رسمه واجب بالإجماع وإن كتب بعض كلماته على غير طريقتنا المتبعة ؛ ولذا يقال : خطان لا يقاس عليهما خط المصحف وخط العروض^(٢) .

(١) اتفقنا من كتابة هذا المصحف الكريم في ختام عام ألف وثلثمائة واثنين وستين للهجرة ، وقد تألفت لجنة من قبل الحكومة السعودية للناية بتصحيحه ، وهو أول مصحف كتبناه ، كما هو أول مصحف طبع بمكة المشرفة في عام ١٣٦٩ ، وسميناه (مصحف مكة المكرمة) وانظر إلى أول صحيفة منه بصحيفة (٩) .
(٢) أي لا تقاس كتاباتنا العامة على خط المصحف العثماني مخالفته القواعد الإملائية في بعض الكلمات كما بينا ذلك مفصلاً في هذا الكتاب ، وكذلك لا تقاس كتاباتنا على خط العروض لأنه يكتب على حسب الملقوظ به ، فثلاً هذا البيت :

تَلَقَّى الْأُمُورَ بِبَصَرٍ جَمِيلٍ وَصَدَّرَ رَحِيْبٍ وَخَلَّ الْحَرْجُ

فإن العروضيين يكتبونه هكذا :

تَلَقَّى لَ الْأُمُورَ بِبَصَرٍ جَمِيلٍ وَصَدَّرَ رَحِيْبٍ وَخَلَّ لَ حَرْجُ

والمراد بالمصحف العثماني مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي أمر بكتابته
وجمعه وكانوا يسمونه «المصحف الامام»^(١).

من حيث اتباعه رسماً وكتابة^(٢) وهو يشمل جميع المصاحف التي كتبت بأمره رضي الله
عنه وأرسلت إلى الأمصار ، وقال بعضهم : إنه خاص بمصحفه الذي كان يقرأ فيه .

هذا ، ولما شرعنا في كتابة مصحفنا المذكور ووصلنا إلى نحو خمسة أجزاء منه ، وجدنا
في الرسم العثماني العجب العجيب ، ورأينا جديراً بدراسته وتحقيق النظر فيه ؛ وحريراً بأن
تؤلف فيه رسالة خاصة تطبع وتنتشر في الأقطار الإسلامية — فألفنا هذا الكتاب واستقصينا
جميع أنواع الكلمات المخالفة لقواعد كتابتنا ؛ اللهم إلا ما شرد عن النظر وغاب عن الفكر .
والحق يقال — إن في رسم المصحف العثماني يقف الفكر حائراً ، والذهن تائهاً ،
إذ أنه في نفسه لا قاعدة له — فمثلاً نجد كلمة «كتاب» مرسومة في جميع القرآن بغير ألف

ومثله هذا البيت :

لَا تَسْأَلِ الْمَرْءَ عَنْ خَلَاتِقِهِ فِي وَجْهِهِ شَاهِدٌ مِنَ الْخَبَرِ

فإنهم يكتبونه هكذا :

لَا تَسْأَلِ لَ مَرْءٍ عَنْ خَلَاتِقِهِ فِي وَجْهِهِ شَاهِدٌ مِنْ لُ خَبَرِي

(١) الأصل في هذه التسمية ما جاء في بعض الروايات أن عثمان بن عفان رضي الله عنه لما بلغه اختلاف
المعلمين في القرآن قال عندي تكذيبون به وتلحنون فيه فمن نأى عنى كان أشد تكذيباً وأكثر لحناً ، يا أصحاب
محمد اجتمعوا فاكتبوا للناس إماماً . وأما سبب تسميته بالمصحف فإنه لما جمع أبو بكر رضي الله عنه القرآن
قال سموه ، قال بعضهم : سموه إنجيلاً فسكرهوه ، وقال بعضهم : سموه السفر فسكرهوه ، فقال ابن مسعود :
رأيت بالهبة كتاباً يدعونه المصحف فسموه به .

(٢) فإن قيل إن المصحف العثماني الإمام لم يكن فيه نقط ولا شكل ولم تكن فيه أرقام للآيات ولا علامات
للأجزاء والأحزاب فكان الواجب حذف هذه الأشياء من المصاحف اتباعاً للمصحف العثماني . نقول : إن هذه
الأمور حدثت فيما بعد حيث اختلفت الألسن باختلاط العرب بالعجم لانتشار الإسلام ، فخوفاً من التصحيف
والالتباس في كلمات القرآن اخترعوا هذه الأشياء التي هي ليست داخلية في جوهر الحروف ، وإنما هي من
العلامات الدالة على القراءة الصحيحة فصار وضعها من اللازم ، وستكلم عنها مفصلاً في الخاتمة إن شاء الله
تعالى ، وكان تقسيم القرآن إلى أجزاء وأحزاب في زمن الحجاج .

ما عدا أربعة مواضع ^(١) فإنها مرسومة بالألف نحو « لكل أجل كتاب » وكلمة « قال » مرسومة في جميع القرآن بالألف ما عدا خمسة مواضع ^(٢) فإنها بحذف الألف نحو « قل رب احكم بالحق » وكلمة « أيها » مرسومة في جميع القرآن بألف بعد الهاء ما عدا ثلاثة مواضع ^(٣) فإنها بحذف الألف نحو « آية الثقلان » وكلمة « إبراهيم » مرسومة في سورة البقرة هكذا « ابرهم » وفي بقية القرآن هكذا « إبراهيم » وكلمة « يا ابن أم » مرسومة في سورة طه هكذا « قال يبنوم » وفي الأعراف هكذا « قال ابن أم » وكلمة « ما نشاء » مرسومة في سورة هود هكذا « ما نشوا » وفي سورة الحج هكذا « ما نشاء » وكلمة « الأمثال » مرسومة بالألف بعد التاء ومرسومة بحذف الألف . وحذفت الواو والياء من آخر هذين الفعلين « ويدع الإنسان - فهو يشفين » من غير علة .

إلى غير ذلك من الكلمات التي قد تكتب في بعض المواضع بشكل وفي بعضها بشكل آخر ، مع أن الكلمة هي هي بعينها لم تتغير ^(٤) فمن يرشدنا إلى سبب هذا التغير في رسم المصحف العثماني إلا الصحابة الذين كتبوه بأمر عثمان وهذا إذا قاموا من قبورهم .

ولقد صدق من قال « كما أن القرآن معجز في ذاته فخطه معجز أيضاً » ، وإلى هذا المعنى أشار العلامة الشيخ محمد العاقب بن ما يأتى الشنقيطي ^(٥) دفين فاس رحمه الله تعالى بقوله :

(٣٠٢٠١) ذكرنا هذه المواضع كلها في آخر الفصل الثاني من الباب الخامس .

(٤) انظر في الجدول الذي في الفصل الثاني من الباب الرابع ، وانظر أيضاً في الفصل الرابع من الباب الخامس في بعض غرائب الرسم العثماني .

(٥) الشيخ محمد العاقب هو الأخ الأصغر لشيخنا العلامة الشيخ محمد حبيب الله بن ما يأتى الشنقيطي مؤلف زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم المتوفى بمصر القاهرة في اليوم الثامن من شهر صفر سنة ثلاث وستين وثلاثمائة وألف ، وقد توفي الشيخ محمد العاقب قبل شيخنا بعدة سنين ، ولها أخ ثالث أكبر منهما ، وهو العلامة الشيخ محمد الخضر بن ما يأتى الشنقيطي ووالدهم اسمه عبد الله بن أحمد الملقب بمبابي وكل منهم غزير في العلم غير أن الشيخ محمد الخضر أكثرهم علماً بحيث لا يباري ، توفي بالمدينة المنورة سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وألف ، أو في السنة التي تليها .

والخط فيه معجز للناس وحائد عن مقتضى القياس
لا تهتدى لسره الفحول ولا تحوم حوله العقول
قد خصه الله بتلك المنزلة دون جميع الكتب المنزلة
ليظهر الإعجاز في المرسوم منه كما في لفظه المنظوم

والحقيقة أن تأليف كتابنا هذا هو من بركة كتابتنا للمصحف المذكور ، حيث كنا
تتبع فيه الرسم العثماني كلمة كلمة ، ولولاه ما كنا ندرك معنى الرسم العثماني ووجهة مخالفته
لقواعد إملائنا — وغاية ما كنا نعرف أن نحو : كتاب ، وإبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحاق
وهارون ، وسليمان مكتوب في المصحف بغير ألف ، أما غيرها فلا تكاد تقع أعيننا عليه
لتعود أسنتنا على القراءة الصحيحة — والسبب في عدم ملاحظتنا هيئة رسم الكلمات
في المصحف هو عدم الاعتناء بتعليم القراءات وفن الرسم وعلم التجويد حتى اندثرت من
غالب البلاد الإسلامية وربما كانت مصر هي الوحيدة في المحافظة على هذه العلوم .

وهذا الكتاب هو أول كتاب من نوعه ، فإنه لم يؤلف في هذا الموضوع على نمطه
كتاب من قبل — نعم لقد ألف علماء القراءات المتقدمون في رسم المصحف العثماني
مؤلفات جليلة ، وحصروا مرسوم القرآن كلمة كلمة على هيئة ما كتبه الصحابة رضي الله عنهم
بحيث لم يقتض شي منه ، إلا أنهم لم يبحثوا عنه كما بحثنا ، ولم يقارنوا بين مرسومه
كما قارنا — على أننا لا ندعي المعرفة أكثر منهم بل نمشي على ضوئهم مع ما يفتح الله به
علينا من فضله الواسع فهو الفتح العليم لا راد لفضله .

ولقد بسطنا القول في هذا الكتاب عن القرآن العظيم من جميع نواحيه بسطا وافيا
ولم نتعرض للناسخ والمنسوخ ولا لوجوه القراءات وتراجم القراء ، لأن كلا من ذلك فن
مستقل بذاته يحتاج إلى مؤلف خاص ، وجعلنا في ذيله هامشا لزيادة الإيضاح وتمام الفائدة .
وحصرناه في ستة أبواب وخاتمة تحت كل باب جملة فصول ، وسميناه :

[تاريخ القرآن وخرائب رسمه وحكمه]

« وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب » .

نسأل الله الحى القيوم أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينفع به من طالعه بقلب
سليم ، وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه ، وأن يحتم لنا بخاتمة السعادة ويستترنا فى الدارين .
ويجعلنا من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وأن يحشرنا مع الذين أنعم الله عليهم
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا آمين ، وصلى الله
على سيدنا ونبينا محمد أبى القاسم الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

غرة جمادى الثانية

سنة ١٣٦٥ هجرية

المؤلف

محمد طاهر الكردى

انخطاط بالمعارف العامة

بمكة المكرمة

مقدمة الطبعة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » والصلاة والسلام على خاتم النبيين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فبفضل الله تعالى وتوفيقه أعيد طبع كتابي هذا « تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه » للمرة الثانية ، والحمد لله الذي جعله مقبولا ومرغوبا لدى العالم الإسلامي في جميع الأقطار ، فإنه أول كتاب من نوعه يظهر في الوجود .

وإن من أعجب العجب أن يقوم بعض المستشرقين بدراسة علم القراءات وكل ما يتصل بالقرآن الكريم مع الاعتناء بحفظه جيدا بل وبتطبع المؤلفات عن ذلك على حسابهم الخاص ، ولا نذهب بك بعيداً فهذا كتاب « المنقح في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار مع كتاب النقط » تأليف الإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني المتوفى عام ٤٤٤ هجرية ، وهو كتاب قيم للغاية ، فإن أول من عرف قيمة هذا الكتاب من المستشرقين المستشرق الفرنسي (البارون سلفستردى ساسي المتوفى عام ١٨٣٨ للميلاد) فقد ترجمه إلى اللغة الفرنسية ونشرت ترجمته سنة ١٨١٠ م ، ثم قامت جمعية المستشرقين الألمانية فنشرته بنصه العربي باعتناء الأستاذ أوتو برترل عام (١٩٣٢ م) .

ولما كانت المكتبة الظاهرية بدمشق تحتفظ في خزائنها بثلاث نسخ من كتاب المنقح المذكور ، فقد قام مشكوراً مكتب الدراسات الإسلامية بدمشق بإعادة نشر هذا الكتاب سنة ١٣٥٩ هجرية تحت إشراف حضرة الفاضل الأستاذ محمد أحمد دهمان جزاء الله خير الجزاء .

لخُذوا لو أن المسلمين تنبّهوا من رقادهم وتوجهوا لخدمة دينهم القويم وغيروا مناهج التعليم ونظم الدراسة في معاهدهم ومدارسهم بما يحيي قلوبهم وينور بصائرهم ويغرز في نفوسهم شعائر الإسلام فبذلك تنهض البلاد وتستقيم أمور العباد .

هذا، ولقد امتازت هذه الطبعة عن سابقتها بجودة الطبع والتصحيح مع بعض زيادات مهمة أدخلتها في نفس الكتاب ، وكذلك بعض الصور والرسوم للأما كن المقدسة إتماماً للفائدة مع منظومة لطيفة في بناء الكعبة المشرفة في أدوارها الأربعة .

نسأل الله حسن القبول وزيادة التوفيق والستر في الدارين وحسن الخاتمة والراحة عند الموت والعفو عند الحساب آمين ، وصلى الله على سيدنا محمد أبي القاسم الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين .

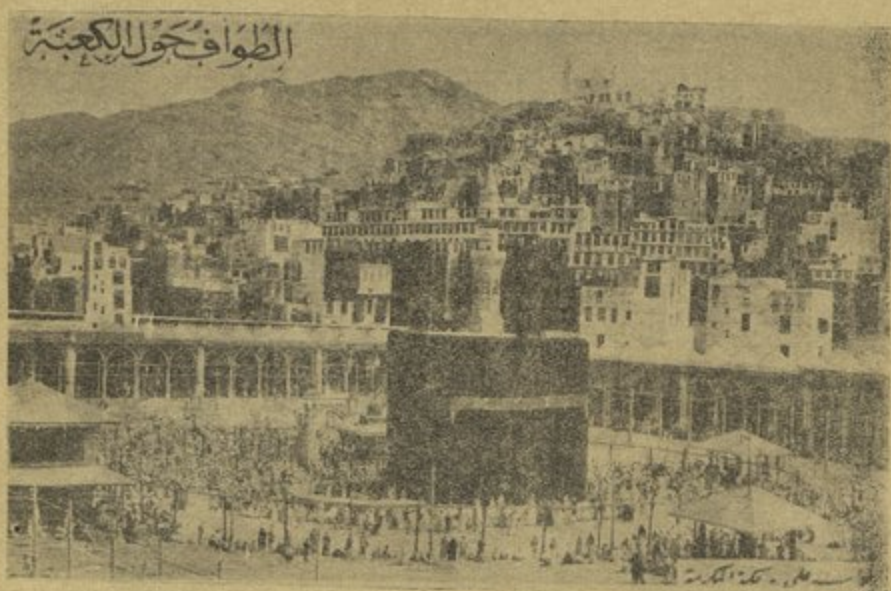
المؤلف

محمد طاهر الكردي

الخطاط بالمعارف العامة بمكة المشرفة

غرة رمضان المبارك

عام ١٣٧٢ هـ



المسجد الحرام والناس في انتظار إقامة الصلاة ، وقد ظهر في الصورة بعض بيوت مكة
والمسجد الذي بأعلا جبل أبي قبيس وهذا المسجد بناه رجل هندي منذ مائة سنة تقريبا .



جبل الرحمة بعرفات وقد ظهرت خيام الحجاج وجبالهم وحميرهم وسياراتهم والأغنام
 التي يذبحونها، وفي يوم عرفات في حجة الوداع أنزلت علي رسول الله صلى الله عليه وسلم
 هذه الآية (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)
 سورة المائدة

الباب الأول

وفيه خمسة فصول

الفصل الأول

في تعريف القرآن وما يتضمنه

ذهبوا في معنى القرآن إلى جملة أقوال ذكرها السيوطي في كتابه : [الإتيان]
والخيار منها ما نص عليه إمامنا الشافعي رحمه الله تعالى وهو : إن لفظ القرآن المعرّف بـ
ليس مهموزاً ولا مشتقاً بل وضع علماً على الكلام المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم .
وأما القرآن فقد قال أهل السنة : القرآن كلام الله تعالى منزل غير مخلوق ، منه بدأ
وإليه يعود ، وهو مكتوب في المصاحف محفوظ في الصدور مقروء بالألسنة مسموع بالآذان .
والاشتغال بالقرآن من أفضل العبادات سواء كان بتلاوته أو بتدبر معانيه ؛ قال الله
تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا
وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ . لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ
شَكُورٌ) وقال تعالى (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا
الْأَلْبَابِ) وقال (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ
الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي
بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) .

قال بعض الفضلاء :

وإذا أردت من العلوم أجلها فعليك بالقرآن والإعراب
هذا لدينك إن أردت ديانةً وهدى ، وذلك لمنطق وخطاب

وقال بعضهم أيضاً :

نعم السميعُ كتابُ الله إنَّ له حلاوةً هي أحلى من جَنَى الضَّرْبِ ^(١)
به فنونُ المعاني قد جُمعن فما تفتَّر من عجبٍ إلَّا إلى عجبٍ
أمرٌ ونهى وأمثالٌ وموعظةٌ وحكمةٌ أودعت في أفصح الكتبِ
لطائفٌ يَحْتَلِيها كلُّ ذِي بَصَرٍ وروضةٌ يَحْتَنِيها كلُّ ذِي أدبٍ
فالقرآن هو أساس الدين ، وقد أودع الله تعالى فيه علم كل شيء ، فإنه يتضمن الأحكام ،
والشرائع ، والأمثال ، والحكم ، والمواعظ والتاريخ ، ونظام الكون وغير ذلك .

قال بعضهم :

ألا إنما القرآنُ تسعةُ أحرفٍ سَأْنِيكها في بيتِ شعري بلا خللٍ
حلالٌ حرامٌ مُحْكَمٌ متشابهٌ بشيرٌ نذيرٌ قِصَّةٌ عِظَةٌ مِثْلٌ

فالقرآن ماترك شيئاً من أمور الدين إلا وبينه ، ولامن نظام الكون إلا وأوضحه ؛ وفيه
يقول الله تعالى (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى
لِّلْمُسْلِمِينَ) ويقول (وَلَقَدْ صَرَّبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ) وقال عليه الصلاة والسلام « كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ
مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ ، هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ
اللَّهُ تَعَالَى ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ ، وَهُوَ
الَّذِي كَرَّرَ الْحُكْمَ ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ ، وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ
الْأَلْسِنَةُ وَلَا تَسْمِعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ ، وَلَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ ، وَلَا تَقْضِي عَجَائِبُهُ » أخرجه
الترمذي . ومعنى لا يَخْلُقُ : لا يبلى .

(١) الضرب بفتحين : العمل الأبيض ، قاله في المصباح .

وروى الحاكم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَادِبَةٌ اللَّهِ فَأَقْبِلُوا مِنْ مَادِبَتِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حَبْلُ اللَّهِ وَالنُّورُ الْمُبِينُ وَالشِّفَاءُ النَّاجِعُ . عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ وَنَجَاةٌ لِمَنْ تَبِعَهُ لَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ وَلَا يَفُوجُ فَيَقْوَمَ وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ وَلَا يَخْلُقُ مِنْ كَثَرَةِ الرَّدِّ : أَتْلُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْجُرُكُمْ عَلَى تِلَاوَتِهِ كُلُّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ أَلَمْ حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ وَلَا مٌ وَمِيمٌ » .

(وقال أيضا) « أَعْرَبُوا الْقُرْآنَ وَاتَّبِعُوا غَرَائِبَهُ » رواه البيهقي والحاكم عن أبي هريرة . والمراد بأعرابه معرفة معاني ألفاظه .

وما أحسن ما رواه الامام السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه [الإتيقان] عن بعضهم حيث يقول : اعتنى قوم بضبط لغات القرآن وتحرير كلماته ومعرفة مخارج حروفه وعددها وعدد كلماته وآياته وسوره وأحزابه وأنصافه وأرباعه وعدد سجداته والتعليم عند كل عشر آيات ، إلى غير ذلك من حصر الكلمات المتشابهة والآيات المتماثلة ، من غير تعرض لمعانيه ولا تدبر لما أودع فيه فسموا القراء . واعتنى النحاة بالمعرب منه والمبنى من الأسماء والأفعال والحروف العامة وغيرها ، وأوسعوا الكلام في الأسماء وتوابعها وضروب الأفعال والالزام والمتعدى ورسوم خط الكلمات وجميع ما يتعلق به حتى أن بعضهم أعرب مشكله وبعضهم أعرب كلمه . واعتنى المفسرون بألفاظه فوجدوا منه لفظاً يدل على معنى واحد ولفظاً يدل على معنيين ولفظاً يدل على أكثر . فأجروا الأول على حكمه وأوضحوا معنى الخفي منه وخاضوا في ترجيح أحد احتمالات ذى المعنيين أو المعانى وأعمل كل منهم فكره وقال بما اقتضاه نظره . واعتنى الأصوليون بمافيه من الأدلة العقلية والشواهد الأصلية والنظرية فاستنبطوا منه وسموا هذا العلم بأصول الدين . وتأملت طائفة منهم معاني خطابه فرأت منها ما يقتضى العموم ومنها ما يقتضى الخصوص . إلى غير ذلك فاستنبطوا منه أحكام اللغة الحقيقة والمجاز ، وتكلموا في التخصيص والإخبار والنص والظاهر والمجمل والحكم والمتشابه والأمر والنهي والنسخ ، إلى غير ذلك من الأقيسة واستصحب الحال والاستقرار وسموا هذا الفن أصول الفقه . وأحكمت طائفة صحيح

النظر وصادق الفكر فيما فيه من الحلال والحرام وسائر الأحكام ؛ فأسسوا أصوله وفرعوا فروعه وبسطوا القول في ذلك بسطا حسنا وسمّوه بعلم الفروع وبالفرقة أيضا . وتلمحت طائفة ما فيه من قصص القرون السالفة والأمم الخالية ونقلوا أخبارهم ودونوا آثارهم ووقائعهم حتى ذكروا بدء الدنيا وأول الأشياء وسمّوا ذلك بالتاريخ والقصص . وتنبه آخرون بما فيه من الحكم والأمثال والمواعظ التي تقلل قلوب الرجال فاستنبطوا مما فيه من الوعد والوعيد ، والتحذير والتبشير ، وذكر الموت والميعاد ، والحشر والحساب ، والعقاب والثواب ، والجنة والنار فصولا من المواعظ وأصولا من الزواجر ؛ فسمّوا بذلك الخطباء والوعاظ . وأخذ قوم بما في آية المواريث من ذكر السهام وأربابها وغير ذلك من علم الفرائض . واستنبطوا منها من ذكر النصف والرابع والسدس والثمن حساب الفرائض . ونظر قوم إلى ما فيه من الآيات الدالة على الحكم الباهرة في الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم والبروج وغير ذلك ، فاستخرجوا منه علم المواقيت . ونظر الكتاب والشعراء إلى ما فيه من جزالة اللفظ وبديع النظم وحسن السياق والمبادئ والمقاطع والخالص والتلوين في الخطاب والإطناب والإيجاز وغير ذلك ، فاستنبطوا منه المعاني والبيان والبديع — انتهى من كتاب الإتيان .

ومما ينسب لترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما هذا البيت المفيد :

جميع العلم في القرآن لكن تقاصر عنه أفهام الرجال
ولإمامنا الشافعي رحمه الله تعالى :

كل العلوم سوى القرآن مشغلة إلا الحديث وإلا الفقه في الدين
العلم ما كان فيه لفظ حدثنا وما سوى ذاك وسواس الشياطين

ويعجبنا وصف الأستاذ مصطفى صادق الرافعي رحمه الله تعالى^(١) للقرآن الكريم حيث يقول في كتابه : إعجاز القرآن ما نصه : القرآن ألفاظ ، إذا اشتدت فأمواج البحار الزاخرة ، وإذا هي لانت فأنفاس الحياة الآخرة ، تذكر الدنيا فمنها عمادها ونظامها ، وتصف

(١) توفي الرافعي المذكور في ١٠ مايو ١٩٣٧ م الموافق ٢٩ صفر ١٣٥٦ هجرية .

(٢ - تاريخ القرآن)

الآخرة فمنها جنتها وضرامها ، ومتى وعدت من كرم الله جعلت الثغور تضحك في وجوه الغيوب ، وإن أوعدت جعلت الألسنة ترعد من حَيِّ القلوب ، ومعان بينا هي عذوبة ترويك من ماء البيان ، ورقة تستروح منها نسيم الجنان ، ونور تبصر به في مرآة الإيمان وجه الأمان ، وبيناهي ترفّ بندى الحياة على زهرة الضمير ، وتخلق في أوراقها من معاني العبرة معنى العبير ، وتهبّ عليها بأنفاس الرحمة فتتمّ بسر هذا العالم الصغير ، ثم بيناهي تتساقط من الأفواه تساقط الدموع من الأجفان ، وتدع القلب من الخشوع كأنه جنازة ينوح عليها اللسان ، وتمثل للمذنب حقيقة الإنسانية حتى يظن أنه صنف آخر من الإنسان ، إذا هي بعد ذلك أطباق السحاب وقد انهارت قواعده ، وألتمت ناره وقصفت في الجوّ رواعده ، وإذا هي السماء وقد أخذت على الأرض ذنبها واستأذنت في صدمة الفزع رهبها ، فكادت ترجف الراجفة تتبعها الرادفة ، وإنما هي عند ذلك زجرة واحدة ، فإذا انخلق طعام الفناء ، وإذا الأرض مائدة . انتهى كلام الرافعي رحمه الله تعالى .

هذا ، وإن من عظمة القرآن في ذاته إقرار علماء الإفرنج بسموّ مكانته واعترافهم برفع منزلته ، وخشوعهم لدى سماع ترتيل آياته ، وإعجابهم بما حواه من نظام الكون ودستور المدنية والعمران . وهناك بعض من نوابغ مستشرق الإفرنج من يتخصص لحفظ القرآن وفهم تفاسيره ، ومن يعتنى بعلم القراءات وفن التجويد ، ومن ينقطع إلى دراسته وبيان مزايا دين الإسلام ولهم في ذلك مؤلفات ، وإن بقوا على دياتهم .

وإن أول طبع للمصحف بالخط العربي كان في مدينة همبرج بألمانيا وذلك في سنة ١١١٣ هجرية^(١) ويوجد من هذه الطبعة مصحف بدار الكتب العربية المصرية بالقاهرة . قال المستشرق الألماني الدكتور شومبس في القرآن الكريم في إحدى الجمعيات : « يقول بعض الناس إن القرآن كلام محمد — وهو خطأ محض — فالقرآن كلام الله تعالى »

(١) وسببه علي ما يظهر لنا أن اختراع المطبعة كان في ألمانيا سنة ١٤٣١ ميلادية ، ثم عم انتشارها بقية الممالك ، وأول دخولها إلى تركيا كان في زمن السلطان أحمد الثالث ، وكان طبع المصاحف في عهده ممنوعاً ، وسنتكلم في آخر الكتاب عن ظهور المطابع وانتشارها إن شاء الله تعالى .

الموحى على لسان رسوله محمد ، فليس في استطاعة محمد ذلك الرجل الأُمى في تلك العصور الغابرة أن يأتيها بكلام تحار فيه عقول الحكماء ويهذى الناس من الظلمات إلى النور ، وربما تعجبون من اعتراف رجل أوربي بهذه الحقيقة ؛ إني درست القرآن فوجدت فيه تلك المعاني العالية والنظامات المحكمة وتلك البلاغة التي لم أجدها مثلاً قط في حياتي ، جملة واحدة منه تغني عن مؤلفات. هذا ولاشك أنه أكبر معجزة أتى بها محمد عن ربه « اه كلامه .

وقال المستشرق ما كس مننى : « إن مرشد المسلمين هو القرآن وحده ، والقرآن ليس بكتاب ديني فقط ، بل هو أيضاً كتاب الآداب وتجدد به الحياة السياسية والاجتماعية ، بل هو يرشد الإنسان إلى وظائفه اليومية ، والأحكام الإسلامية التي لا توجد بالقرآن توجد في السنة ، والتي لا تكون واضحة لا في القرآن ولا في السنة توجد في الفقه الواسع الذي هو علم الحقوق الإسلامي » اه كلامه . (والفضل ما شهدت به الأعداء)

وما قيمة مايقوله الإنسان في القرآن الكريم بعد قوله تعالى فيه : « كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ » وقوله : « أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا » وقوله « لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدَّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ » وقوله « قُلْ لَنْ أَجْتُمِعَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا » .

قال المقرئ في إضاءة الدجنة :

وَأَخْبَرَ اللَّهُ بَعِثَ الْإِنْسَ	وَالْجِنَّ عَنْ إِيْتَانِهِمْ بِالْجَنَسِ
مِنْ مِثْلِهِ وَطَوَّلُوا بِسُورَةٍ	فَمَا اسْتَطَاعُوا مِثْلَهَا ضُرُورَةٍ
وَمَنْ لِحُلُبَابِ الْحَيَا أَرَاخَا	مُعَارِضًا لَهُ حَوَى افْتِصَاحَا
كَمِثْلِ مَا جَاءَ بِهِ مُسْنِنَةً	مِنْ تَرْهَاتٍ بِاخْتِلَالٍ مُعْلِمَةٍ
رَكِيكَةٍ فِي لَفْظِهَا وَالْمَعْنَى	كَقَوْلِهِ وَالطَّاحِنَاتِ طَحْنَا... الخ

الفصل الثاني

في معنى إعجاز القرآن الكريم

يعجز الإنسان في إدراك معنى إعجاز القرآن من جميع الوجوه ؛ فالعجز نفسه هو أيضاً من معاني الإعجاز ، فإنك من أي الجهات أتيت وجدته الطريق أمامك سالكا ممهدا ، ومن أي النواحي نظرت فيه رأيت الأفق مدّة نظرك صافيا متسعا ، فما عليك إلا أن تكون من أهل البصيرة والبصر ، ومن ذوى الخبرة والفكر ، حتى تدرك ما لا يدركه الغر الجاهل ، وتفهم ما لا يفهمه الغافل الخامل .

ولقد تكلم كثير من فطاحل العلماء والمفسرين عن معنى إعجاز القرآن ، وأسهبوا في ذلك وأطنبوا ما وسعهم التفكير والتأمل ، ووضعوا عنه مؤلفات قيمة عديدة . وللوقوف على جزء من ذلك ننقل للقارئ الكريم ما ذكره الأستاذ العلامة الشيخ محمد الخضرى رحمه الله تعالى في آخر كتابه [نور اليقين في سيرة سيد المرسلين] فإنه قال فيه ما نصه :

« اعلم أن كتاب الله العزيز منطوق على وجوه من الإعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة : (أولا) حسن تأليفه والتثام كله وفصاحته ووجوه إعجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب ، وذلك أنهم كانوا أر باب هذا الشأن وفرسان الكلام ، قد خصوا من البلاغة والحكم بما لم يخص به غيرهم من الأمم وأوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت إنسان ، ومن فصل الخطاب ما يقيد الأبواب ، جعل الله لهم ذلك طبعاً وخلقه وفهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به إلى كل سبب ، فيخطبون بديهاً في المقامات وشديد الخطب ، ويرتجزون به بين الطعن والضرب ، ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون من ذلك بالسحر الخلال ويطوّقون من أوصافهم أجل من سمط اللآل ، فيخدعون الأبواب ويذلّون الصعاب ويذهبون الإحن ويهبجون الدمن ويحرثون الجبان ، ويصيرون الناقص كاملاً ، ويتركون النبيه خاملاً ، منهم البدوى ذو اللفظ الجزل والقول الفصل ،

والكلام الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوى ؛ ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة والألفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف في القول القليل الكلفة ، الكثير الرونق الرقيق الحاشية ، وكلاهما له في البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقِدَح الفالج والمهيح الناهج ، لا يشكون أن الكلام طوع مدادهم ، والبلاغة ملك قيادهم قد حَوَّوا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من أبوابها ، وعلموا صرحاً بلوغ أسبابها ، فقالوا في الخطير والمهين ، وتفننوا في الغث والسمين وتناولوا في القل والسكر ، وتساجلوا في النظم والنثر فما راعهم إلا رسول كريم بكتاب عزيز (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) أحكمت آياته وفصلت كلماته ومهّرت بلاغته العقول ، وظهرت فصاحته على كل مقول ، وتضافر إيجازه وإعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه ، وتبارت في الحسن مطالعه وحوت كل البيان مجامعه وبدائعه ، واعتدل مع إيجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه ، وهم أفسح ما كانوا في هذا الباب مجالاً وأشهر في الخطابة رجالاً وأكثر في الشعر والسجع ارتجالاً ، وأوسع في الغريب واللغة مقالاً بلغتهم التي بها يتجاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون ، صارحاً بها في كل حين ومقرعاً لهم بضعا وعشرين عاما على رؤوس الملأ أجمعين (أم يقولون افتراء قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين — وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا — قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً — قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) فلم يزل يقرعهم أشد القرع ويوبخهم أشد التوبيخ ويسفه أحلامهم ويخط أعلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم وآباءهم ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته يخادعون أنفسهم بالتشغيب والتكذيب والاعتزاز بالافتراء ، وقولهم : (إن هذا إلا سحر يؤثر — وسحر مستمر — وإفك افتراء — وأساطير الأولين) والمباهة والرضا بالدنية كقولهم (قلوبنا غلف وفي أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب — ولا تسمعوا لهذا

القرآن والغوا فيه) والادعاء مع العجز كقولهم (لو نشاء لقلنا مثل هذا) وقد قال لهم (وان تفعلوا) فما فعلوا ولا قدروا، ومن تعاظم ذلك من سخافهم كسيلة كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم، وإلا لم يخف على أهل الميز منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم، بل ولوا عنه مدبرين وأتوا إليه مذعنين، وأنت لو تأملت قوله تعالى (ولكم في القصص حياة) وقوله (ولو ترى إذ فرعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب) وقوله (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) وقوله (وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء ألقى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين) وقوله (فكلاً أخذنا بذنبه، فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من خسفنا به الأرض، ومنهم من أغرقنا، وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) وأشباهاها من الآي، بل أكثر القرآن حققت ما بينته من إيجاز ألفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تأليف حروفها وتلاؤم كلماتها؛ وإن تحت كل لفظة منها جملاً كثيرة وفصولاً جمّة وعلومًا زواجر، ملئت الدواوين من بعض ما استفيد بها وكثرة المقالات في المستنبطات عنها؛ ثم هو في سرد القصص الطوال وأخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية لتأمل من ربط الكلام ببعضه ببعض والتثام سرده وتناسف وجوهه كقصة يوسف على طولها؛ ثم إذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة تردها وتناسف في الحسن وجه مقابلتها ولا نقور للنفوس من ترديدها ولا معادة لمعادها.

(الوجه الثاني) من إيجاز القرآن صورة نظمها العجيب والأسلوب الغريب الخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت عليه مقاطع آيه واتته فواصل كلماته إليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظيره ولا استطاع أحد مماثلة شئ منه، بل حارت فيه عقولهم وتدهمت دونه أحلامهم ولم يهتدوا إلى مثله في جنس كلامهم من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر؛ والإيجاز بكل واحد من النوعين، والإيجاز والبلاغة بذاتها أو الأسلوب الغريب بذاته، كل واحد منهما نوع إيجاز لم تقدر العرب على الإتيان بواحد منهما، إذ كل واحد منهما خارج عن قدرتها مبان لفصاحتها وكلامها.

(الوجه الثالث) من الإعجاز ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوقه ، فوجد كما ورد على الوجه الذى أخبر كقوله تعالى : (لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين) وقوله عن الروم (وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين) وقوله (ليظهره على الدين كله) وقوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكّننّ لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) وقوله (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا) فكان جميع هذا كما أخبر ، فغلبت الروم فارس ، ودخلت الناس فى الدين أفواجا واتسع ملك المسلمين حتى كان لهم فى وقت من أقصى بلاد الأندلس غربا إلى أقصى الهند شرقا ، ومن بلاد الأناضول شمالا إلى أقصى السودان جنوبا ؛ وقوله (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) فكان كذلك إلى الآن والحمد لله ، وقوله (سيهزم الجمع ويولون الدبر) فكان كذلك فى بدر ، والآية نزلت بمكة ؛ وقوله (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) فكان كذلك مما اطلع عليه قارى هذه السيرة وما فيه من كشف أسرار المنافقين واليهود ومقاتلهم وكذبهم فى حلفهم كقوله (ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) وقوله (يخفون فى أنفسهم ما لا يبدون لك) وقوله (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعطينا وسمع غير مسمع وراعنا آيما بالسنتهم وطعننا فى الدين) إلى غير ذلك من الآيات البينات .

(الوجه الرابع) ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذى قطع عمره فى تعلم ذلك فيورده عليه الصلاة والسلام على وجهه ويأتى به على نضه فيقر العالم بذلك على صحته وصدقه وإن مثله لم ينله بتعليم ، وقد علموا أنه صلى الله عليه وسلم أمى لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارس ولا مجالسة ، لم يغب عنهم ولا جهل حاله أحد منهم ، وكثيرا ما كان يسأله كثير من أهل الكتاب عن هذا ، فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص الأنبياء وبدء الخلق وما فى الكتب السابقة مما صدق العلماء بها ، ولم يقدرُوا على تكذيب

ما ذكر منها ولم يؤثر أن واحداً منهم أظهر خلاف قوله من كتبه ولا أبدى صحيحاً ولا سقيماً من صحفه بعد أن قرعهم ووبخهم بقوله : (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين) وما يدل على أن أهل الكتاب يعامون صدقه ما تحدثهم فيه الله بقوله (قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) ثم حتم عدم إجابتهم بقوله (ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم) فاسمع عن أحد منهم أنه تمتنى ذلك ولو بلسانه مع أنهم كانوا أحرص الناس على تكذيبه ، ومثل ذلك ما فعله أهل نجران حينما دعاهم للمباهلة فأبوا ، وقد قدمنا ذلك في فصل وفودهم ؛ وما يدل على أن هذا القرآن ليس من كلام البشر الروعة التي تلحق قلوب سامعيه والهيبة التي تعزيهم عند تلاوته لقوة حاله وإنافة خطره حتى كانوا يستنقلون سماعه ويزيدهم نفوراً ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « إن القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم » وأما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته إياه مع تلاوته توليه إقبالا وتكسبه هشاشة لميل قلبه إليه وتصديقه به ، قال تعالى (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) وقال تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله) ومن وجوه إعجاز القرآن كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وقال (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) وسائر معجزات الأنبياء لم يبق إلا خبرها ، والقرآن إلى وقتنا هذا حجة قاهرة ومعارضته ممتنعة والأعصار كلها طافحة بأهل البيان وحملة علم اللسان وأئمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة اليراعة ، والملحد فيهم كثير ، والمعاند للشرع عتيد ؛ فما منهم من أتى بشئ يؤثر في معارضته ، ولا ألف كلمتين في مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح ، ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك إلا بزند شحيح ، بل المأثور عن كل من رام ذلك إلقاؤه في العجز بيديه والنكوص على عقبيه ؛ ولنختم لك هذا الباب بحديثه عليه الصلاة والسلام في القرآن قال « إن الله أنزل هذا القرآن أمراً وواجراً وستة خالية ومثلاً مضروباً ، فيه نبؤكم وخبر من كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم ، لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي عجائبه ، هو الحق ليس بالهزل ، من

قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن خاصم به فلج ومن حكم به أقسط ، ومن عمل به أجر ، ومن تمسك به هدى إلى صراط مستقيم ، ومن طالب الهدى من غيره أضله الله ، ومن حكم بغيره قصمه الله ؛ هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين ، والشفاء النافع ؛ عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه ، لا يعوج فيقوم ولا يزيع فيستعتب .

اتمى من كتاب نور اليقين للشيخ محمد الخضرى رحمه الله تعالى المقتش بوزارة المعارف المصرية .

الفصل الثالث

القرآن فى اللوح المحفوظ

جاء فى تفسير ابن كثير فى سورة القدر مانصه : قال ابن عباس^(١) وغيره : أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا ، ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع فى ثلاث وعشرين سنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم — وجاء فيه أيضاً عند قوله تعالى (بل هو قرآن مجيد . فى لوح محفوظ) مانصه : وقال الحسن البصرى : إن هذا القرآن المجيد عند الله فى لوح محفوظ ، ينزل منه ما يشاء على من يشاء من خلقه . وقال الطبرانى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله تعالى خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء صفحاتها من ياقوتة حمراء قلعه نور وكتابه نور ، لله فى كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة يخلق ويرزق ويميت ويحيى ويعز ويذل ويفعل ما يشاء » اهـ .

(١) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، ولد بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين ، وصح أنه صلى الله عليه وسلم دعا له بقوله : « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل ، اللهم علمه الحكمة وتأويل القرآن ، اللهم بارك فيه وانشر منه واجعله من عبادك الصالحين » . قال الحسن : كان ابن عباس يقوم على منبرنا هذا فيقرأ البقرة وآل عمران فيفسرهما آية آية ، توفى رضى الله عنه بالطائف سنة ثمان وستين وقيل سنة تسع ، وقيل سنة سبعين وعمره إحدى وسبعون سنة ، وله مناقب عظيمة .

الفصل الرابع

كيف كان بدء الوحي

جاء في صحيح البخارى فى أول الجزء الأول منه مانعه : عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت « أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة فى النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حجب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء^(١) فيتحنث فيه وهو التعبد الليالى ذوات العدد^(٢) قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال : اقرأ : قال ما أنا بقارى ؟ قال فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال : اقرأ ، قلت ما أنا بقارى فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال : اقرأ ، فقلت ما أنا بقارى فأخذنى فغطنى الثالثة ثم أرسلنى فقال : (اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم) فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فقال زملونى زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسى ، فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة ، وكان امرأ تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمى ، فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة يا ابن أخى ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى ، فقال له ورقة هذا الناموس الذى نزل الله على موسى ، يا ليتنى فيها جذعاً

(١) حراء : هو جبل مشهور بمكة ، ويسميه الحجازيون جبل النور ، وهو جبل مبارك والأساس الأول للكمة من حجارتة . وانظر صورته فى الصحيفة الآتية .

(٢) المراد بها شهر رمضان حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعبد فى هذا الشهر بغار حراء ونزل عليه القرآن فيه لأول مرة . ومعنى الليالى ذوات العدد : أى عدة ليال .

ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجي هم ؟ قال نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا ، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي . اه من البخارى .



صورة جبل حراء بمكة على يسار الصاعد إلى منى ، وبقمته العالية الغار الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعبد فيه ويخلو بنفسه قبل أن يبعث ، ولقد جاءه الحق وهو في غار حراء وذكر الإمام الأزرق في تاريخه فضل حراء وما جاء فيه ، والحق أنه جبل مبارك وعليه الأنوار المعنوية ، ولا يوجد بمكة ولا بالحجاز جبل يماثله في شكله وقته مطلقا .

(أما تاريخ بدء الوحي) فإنه صلى الله عليه وسلم بينما كان يتعبد بغار حراء بمكة إذ جاءه الوحي في يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان للسنة الحادية والأربعين من ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوافق ٦ أغسطس سنة ٦١٠ ميلادية ، فيكون عمره إذ ذاك بالضبط أربعين سنة قمرية وستة أشهر وثمانية أيام ، وذلك نحو ٣٩ سنة شمسية وثلاثة أشهر وثمانية أيام .

وكانت ولادته صلى الله عليه وسلم بمكة صبيحة يوم الاثنين تاسع ربيع الأول للسنة الأولى من حادثة الفيل^(١) ، وهو يوافق ٢٠ إبريل سنة ٥٧١ ميلادية .

وكانت وفاته صلى الله عليه وسلم بالمدينة في ضحوة يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة وذلك يوافق ٨ يونيه سنة ٦٣٣ ميلادية ، فيكون عمره صلى الله عليه وسلم ٦٣ سنة قمرية كاملة وثلاثة أيام ، وإحدى وستين شمسية وأربعة وثمانين يوماً^(٢) .

اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ، وصل اللهم على جميع الأنبياء والمرسلين وآل كل وصحابتهم أجمعين ، واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولمشايخنا وإخواننا المسلمين ، وأغننا بفضلك عن جميع خلقك ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين ، واسترنا في الدارين واجعلنا من الأمنين ، آمين يا رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد أبي القاسم الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) قال الإمام ابن كثير في تاريخه : والمقصود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل على قول الجمهور ، فقيل بعده بشهر ، وقيل بأربعين يوماً ، وقيل بخمسين يوماً وهو أشهر .

(٢) نقلنا ما ذكر من التاريخ بالحساب الإفرنجي من كتاب (نور اليقين في سيرة سيد المرسلين) وكتاب (محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية) كلاهما تأليف العلامة المحقق الشيخ محمد الحصري رحمه الله تعالى ، ولقد ذكر محمود باشا الفلكي رحمه الله تعالى أن بدء الوحي كان في شهر فبراير سنة ٦١٠ ، قال الحصري في محاضراته : إن ما ذكره محمود باشا الفلكي خطأ مبنى على ما في بعض الروايات من أنه عليه الصلاة والسلام بعث علي رأس الأربعين .

الفصل الخامس

كيفية نزول الوحي ونزول القرآن

كان الوحي ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة والمدينة وغيرهما وفي أوقات مختلفة من ليل أو نهار ، وفي الحالات كلها راكباً وجالساً ، وفي بيته وفي غير بيته ، وعلى فراش زوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها .

ولقد كان صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي يجد له مشقة وكرباً لثقل ما يلقى عليه ، قال تعالى : (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا) قال العلامة العيني في أول شرحه على البخاري ، ولذلك كان يعتريه مثل حال المحموم كما روى أنه كان يأخذه عند الوحي الرُّحْضَاءُ : أي البهر والعرق من الشدة ، ولذلك كان جبينه يتفصد عرقاً كما يُفصد ، وقد ذكر البخاري في حديث يعلى بن أمية « فأدخل رأسه ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مُحَرَّرُ الوجه وهو يَغْطُ ثُمَّ سُرِّي عَنْهُ » ومنه في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : « كان نبي الله عليه الصلاة والسلام إذا أنزل عليه كَرِبَ لذلك وتَرَبَّدَ وجهه » وفي حديث الإفك قالت عائشة رضي الله عنها « فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي ، حتى إنه لينحدر منه مثل ألحان من العرق في اليوم الثاني من ثقل القول الذي أنزل عليه ^(١) »

(١) الرُّحْضَاءُ بضم الراء : العرق في أثر الحمى . والبهر تتابع النفس ؛ وبالفتح المصدر . ويغط من الغطيط : وهو صوت يخرج من النائم مع نفسه . وترَبَّدَ بتشديد الباء الموحدة : أي تغير لونه . والبرحاء بضم الموحدة وفتح الراء : هو شدة الكرب وشدة الحمى أيضاً ، والجمان بضم الجيم وتخفيف الميم جمع جهانة : وهي حبة تعمل من فضة كالدرة . من شرح العيني علي صحيح البخاري .

يقول بعض المستشرقين المغفلين : إن محمداً كان يصاب بالصرع وكانت أعراضه تبدو عليه إذ كان يسيل منه العرق ، حتى إذا أفاق من نوبته تلاعبه علي المؤمنين به ما يقول إنه وحى الله إليه ، فهذا الذي ذهب إليه هؤلاء الأغبياء ليس إلا من حسدهم وتعنتهم وجهلهم ، فإنه مما لا يخفى أن من أصابه الصرع لا يتذكر

وفي الخبر «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته وضعت جرائنها — يعني صدرها — على الأرض فما تستطيع أن تتحرك حتى يُسَرَّى عنه . وأوحى إليه صلى الله عليه وسلم وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ فَكَادَتْ أَنْ تُرَضَّ فَخِذَ زَيْدٍ» .

وجاء في أول صحيح البخارى فى باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقول الله جلّ ذكره : (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ) وبعد حديث « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ... الخ » مانصه :

حدثنا عبد الله بن يوسف قال : أخبرنا مالك عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها « أن الحارث بن هشام رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس ^(١) ، وهو أشده علىَّ فيفصم عني ^(٢) ، وقد وعيت ^(٣) عنه ما قال ، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمنى فأعنى ما يقول » قالت عائشة رضى الله عنها « ولقد رأيته ينزل عليه الوحي فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه ، وإن جبينه ليتفصد عرقاً ^(٤) » اهـ .

قال العلامة العيني فى شرحه على صحيح البخارى عند هذا الحديث عند بيان إتيان الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم مانصه : قوله الوحي قد فسرناه فيما مضى ، ولنذكر

شيئاً مما حل به مطلقاً بعد إفاقته ، كما أن النائم لا يعلم شيئاً عن حركاته أثناء نومه ، وكما أن الوسيط الذي ينام نوما مغناطيسياً لا يعقل ولا يتذكر بعد صحوه شيئاً مما قاله أو عمله ، وحاشا أن يجوز ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقد أحسن فى الرد عليهم فى هذه النقطة الأستاذ الجليل محمد حسين هيكل فى كتابه « حياة محمد » عليه الصلاة والسلام فارجع إليه إن شئت .

(١) الجرس ، بفتح الراء : هو الجللجل الذي يعلق فى رأس الدواب .

(٢) فيفصم ؛ فيه ثلاث روايات أفصحها بفتح الياء وإسكان الفاء وكسر الصاد ، معناه ينقطع وينجلي

ما يغشاه منه .

(٣) وعيت بفتح العين : أي فهمت وحفظت .

(٤) العرق بالفتح : الرطوبة التى تترشح من مسام البدن .

ههنا أقسامه وصوره (أما أقسامه) في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فعلى ثلاثة أضرب :
 (أحدها) سماع الكلام القديم كسماع موسى عليه السلام بنص القرآن ، ونبينا صلى الله
 عليه وسلم بصحيح الآثار . (الثاني) وحى رسالة بواسطة الملك . (الثالث) وحى تلقى
 بالقلب كقوله عليه الصلاة والسلام : « إن روح القدس نفث في رُوعى : أى فى نفسى »
 وقيل كان هذا حال داود عليه السلام . والوحى إلى غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بمعنى
 الإلهام كالوحى إلى النحل .

(وأما صورته) على ما ذكره السهيلي فسبعة : (الأولى) المنام كما جاء فى الحديث
 (الثانية) أن يأتية الوحى مثل صلصلة الجرس كما جاء فيه أيضا . (الثالثة) أن ينفث
 فى رُوعه بالوحى . (الرابعة) أن يتمثل له الملك رجلا كما فى هذا الحديث ، وقد كان يأتية
 فى صورة دحية ، قلت اختصاص تمثله بصورة دحية دون غيره من الصحابة لكونه
 أحسن أهل زمانه صورة ، ولهذا كان يمشى مُتَلَمِّماً خوفاً أن يفتن به النساء . (الخامسة)
 أن يترأى له جبريل عليه السلام فى صورته التى خلقها الله تعالى له بستائة جناح ينتشر منها
 اللؤلؤ والياقوت . (السادسة) أن يكلمه الله تعالى من وراء حجاب ، إما فى اليقظة كقصة
 الإسراء أو فى النوم كما جاء فى الترمذى مرفوعاً « أتانى ربي فى أحسن صورة ، فقال فىم يختصم
 الملائكة ؟ » الحديث . وحديث عائشة الآتى ذكره « فجاءه الملك فقال اقرأ » ظاهره أن ذلك
 كان يقظة ، وفى السيرة « فأتانى وأنا نائم » ويمكن الجمع بأنه جاء أولاً مناماً وتوطئة وتيسيراً عليه
 وترققاً به ، وفى صحيح مسلم من حديث ابن عباس رضى الله عنهما « مكث عليه الصلاة
 والسلام بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئاً ،
 وثمان سنين يوحى إليه » . (السابعة) وحى إسرائيل عليه السلام كما جاء عن الشعبي « أن النبى
 صلى الله عليه السلام وكل به إسرائيل عليه السلام فكان يترأى له ثلاث سنين ويأتية
 بالكلمة من الوحى والشئ ، ثم وكل به جبريل عليه السلام » وفى مسند أحمد بإسناد صحيح

عن الشعبي «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة فمات بنو إسرائيل عليه السلام ثلاث سنين ، فكان يعلمه الكلمة والشيء ولم ينزل القرآن ، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنو إسرائيل عليه السلام ، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة عشرًا بمكة وعشرًا بالمدينة ، فمات وهو ابن ثلاث وستين سنة » وأنكر الواقدي وغيره كونه وكل به غير جبريل عليه السلام . وقال أحمد بن محمد البغدادي : أكثر ما كان في الشريعة مما أوحى إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على لسان جبريل عليه السلام انتهى من شرح العيني .

ولقد نظم هذه الصور السبعة العلامة الإمام ابن المختار الجكني الشنقيطي أحد علماء القرن الثاني عشر للهجرة فقال :

قد أنزل الوحي على سبع صور	على النبي من منزل السور
منهن أولاهن وهي الرؤيا	أو أن أنشا يتلقى الوحيا
منها تراني ملك الصور الرضى	منها تراني جبريل المرتضى
في الصورة التي عليها برأه	باريه ذا أجنحة ستمائة
ينتشر الأولو والياقوت	منها وتغني دونهما الثعوت
منهن تكليم الإله من ورا	حجاب النبي أشرف الورى
والنفث في الروح ومثل الصلصلة ^(١)	ثنتان من صور هذى السلسلة
تمثل الروح الأمين رجلاً	للمصطفى العبد بها قد كملاً
جاء السهمي بكل صورة	منهن عن خير الورى مأثورة
جمعها في روضه الروض الأنف	فليقتطفها من هناك المقتطف

(١) جاء في شرح العيني : وما قيل إن أبا داود قد روي من حديث عمر رضي الله عنه « كنا نسمع عنده مثل دوي النحل ، وههنا يقول مثل صلصة الجرس » وبينهما تفاوت . أجيب بأن ذلك بالنسبة إلى الصحابة وهذا بالنسبة إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، والروح : بضم الراء موضع الفرع من القلب وهو المراد هنا في هذا البيت ، وأما الروح بالفتح فهو الفرع اه .

وأما نزول القرآن فقد جاء في تفسير ابن كثير عند قوله تعالى: (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) الآية ما ملخصه؟ روى الإمام أحمد بن حنبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان ، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان ، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان » وفي حديث جابر بن عبد الله « إن الزبور أنزل لثنتي عشرة خلت من رمضان ، والإنجيل لثماني عشرة » والباقي كما تقدم وقال إسرائيل عن السدي عن محمد بن أبي المجالد عن مقسم عن ابن عباس أنه سأل عطية بن الأسود فقال: وقع في قلبي الشك في قول الله تعالى (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) وقوله (إنا أنزلناه في ليلة مباركة) وقوله (إنا أنزلناه في ليلة القدر) وقد أنزل في شوال وفي ذي القعدة وفي ذي الحجة وفي المحرم وصفر وشهر ربيع ؛ فقال ابن عباس: إنه أنزل في ليلة القدر وفي ليلة مباركة جملة واحدة ، ثم أنزل على مواقع النجوم ترتيباً في الشهور والأيام . وفي رواية سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال « أنزل القرآن في النصف الثاني من شهر رمضان إلى سماء الدنيا فجعل في بيت العزة ^(١) ثم أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة ^(٢) لجواب كلام الناس » وفي رواية عكرمة عن ابن عباس قال « نزل القرآن في شهر رمضان في ليلة القدر إلى هذه السماء الدنيا جملة واحدة ، وكان الله يحدث لبيه ما يشاء ولا يحىء المشركون بمثل يخاصمون به إلا جاءهم الله بجوابه وذلك قوله : (وقال الذين كفروا لولا نُزِّلَ عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً . ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً) » اهـ من تفسير ابن كثير .

(١) وهو البيت المعمور ، وهو مسامت للكمة بحيث لو نزل لنزل عليها .

(٢) وفي رواية ابن عباس السابقة في ثلاث وعشرين سنة لأن بعضهم يقول : كان صلى الله عليه وسلم أول ما نزل عليه القرآن في الأربعين من عمره علي أرجح الأقوال ، وبعضهم يقول كان في الثالثة والأربعين ، وبعضهم يقول كان في الثانية والأربعين ، ومجرتة صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كانت بعد مضي ثلاث وخمسين سنة من مولده صلى الله عليه وعلي آله وصحبه وسلم .

جاء في كتاب « تاريخ الفقه الإسلامي » المقرر تدريسه بكلية الشريعة الإسلامية بالأزهر الشريف بمصر القاهرة عن حكمة نزول القرآن مُنَجِّاً مانصه : ظلَّ القرآن ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم منجاً حسب الوقائع والمناسبات ؛ فتارة تنزل عليه سورة بحملتها كما في الفاتحة والمقدر وكافي الأنعام ، فإنها نزلت كلها دفعة بمكة إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة ، وتارة تنزل عليه عشر آيات كما في قصة الإفك وأول سورة المؤمنين ، وتارة خمس آيات وذلك كثير ، وقد صح أنه نزل عليه بعض آية وذلك كما في قوله تعالى : (غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ) فإنه نزل بعد ما نزل قوله تعالى : (لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) وكقوله تعالى : (وَإِنْ خِفْتُمْ عِيلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) فإنه نزل بعد « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا » وما زال الأمر هكذا حتى كملت الشريعة بتمام نزول القرآن .

وقد ذكر العلماء وجوها في حكمة إنزاله منجاً :

(منها) أنه أنزل هكذا ليقوى به قلب الرسول فيعيه ويحفظه ، فإنه صلى الله عليه وسلم أُمِّي لا يقرأ ولا يكتب ، أما غيره من الرسل السابقين فقد كانوا كاتبين قارئين يمكنهم أن يضبطوا ويحفظوا ما ينزل عليهم من الكتب جملة ، وهذا ما أشار الله إليه بقوله : (كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ) .

(ومنها) أنه اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون في القرآن ما هو ناسخ وما هو منسوخ وهذا لا يتأتى إلا فيما ينزل مفرقاً .

(ومنها) ما اقتضت الحكمة أن يكون منه ما هو جواب لسؤال ، وما هو بيان لحكم حادثة ليكون ذلك أبعث على القبول وأدعى للامثال ، ولا يتأتى ذلك إلا إذا نزل مفرقاً .

(ومنها) أن في تفرقه رحمة بالعباد ، فإنهم كانوا قبل الإسلام في إباحة مطلقة ،

فإنزل عليهم القرآن دفعة لثقلت عليهم التكالييف فتفتقر قلوبهم عن قبول ما فيه من الأوامر والنواهي ، ويوضح ذلك ما أخرجه البخارى عن عائشة قالت « إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لاندع الخمر أبداً ، ولو نزل لا تزنوا لقالوا لاندع الزنا » .

بقى التوفيق بين قوله تعالى : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) وما علمته من نزول القرآن منجماً . وأقرب وجوه التوفيق : أن نقول معنى نزوله في ليلة القدر أن إبداء نزوله كان فيها ، فالضمير في أنزلناه للقرآن ، ولا شك أن ابتداء نزول القرآن كان في تلك الليلة كما ستعرف .

وجاء في الكتاب المذكور بعد هذا عن فائدة العلم بأسباب النزول ما نصه : قد مرَّ بك أن القرآن كان ينزل بحسب الوقائع والمناسبات ، وتلك هي المسماة بأسباب النزول ، وللعلم بهذه الأسباب أهمية كبرى في تفسير القرآن وفهمه على الوجه الصحيح ، فإنها قرائن معنوية يستعان بها على أن يفهم القرآن حق الفهم ، وأن تعرف أسرارهِ ومراميهِ أحسن معرفة ، ويظهر ذلك جلياً من المثالين الآتين :

(١) روى عن مروان بن الحكم أنه أشكل عليه معنى قوله تعالى : (لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ) حتى قال لئن كان كل امرئ فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذبن أجمعون ، فلما بين له ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن الآية نزلت في أهل الكتاب حين سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه إياه ، وأخبروه بغيره وأروه أنهم قد أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا بذلك إليه ، لما بين له ذلك زال عنه الإشكال .

(٢) وروى: أن قدامة بن مظعون أتهم بشرب الخمر وقامت عليه البيّنة بذلك أيام عمر ، فقال عمر يا قدامة إني جالدك ، قال والله لو شربت كما يقولون ما كان لك أن تجلدي ، قال عمر ولم ؟ قال لأن الله يقول : (ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح) إلى آخر الآية ، فأنا من الذين آمنوا و عملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ، ثم اتقوا وأحسنوا ، شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا وأُحُدًا والخندق والمشاهد ، فقال عمر : ألا تردّون عليه قوله ، فقال ابن عباس : إن هؤلاء الآيات أنزلن عذرًا للماضين وحجة على الباقين ، فعذر الماضين أنهم اتقوا الله قبل أن تحرم عليهم الخمر ، وحجة على الباقين لأن الله يقول : (يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ) إلى آخر الآيتين ، فإن كان من الذين آمنوا و عملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ، ثم اتقوا وأحسنوا فإن الله قد نهى أن تشرب الخمر ، قال عمر : صدقت .

وجاء في الكتاب المذكور بعد هذا عن أول القرآن نزولا وآخره مانصه :
 نزل القرآن مُنْجَمًا في نحو ثلاث وعشرين سنة ، وكان ابتداء نزوله كما روى ابن سعد يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة إحدى وأربعين من ميلاده صلى الله عليه وسلم وكان ذلك بغار حراء حين فجّاه الوحي ونزل عليه جبريل الأمين ، وكان ما حدثنا به البخاري عن عائشة أم المؤمنين في باب كيف كان بدء الوحي «من غَطَّه صلى الله عليه وسلم ثلاث مرّات وقول جبريل له اقرأ ، وقوله صلى الله عليه وسلم ما أنا بقارئ» حتى قال في الثالثة (اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم) الحديث . فكانت هذه الآيات أول ما أنزل من القرآن وهذا قول عائشة والجمهور . وروى عن جابر بن عبد الله أن أول ما أنزل (يا أيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) .

والقول الأول أرجح ، فإن قوله صلى الله عليه وسلم ، ما أنا بقارئ صريح في أنه عليه الصلاة والسلام لم يقرأ قبل ذلك شيئًا ولا نزل الوحي .

وأيضاً فإنه ورد في حديث جابر أنه عليه الصلاة والسلام قال : « فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء فرجعت إلى أهلي فقلت : زملوني ذرّوني فأُنزل الله يا أيّها المدثر » وهذا صريح في أن نزول المدثر كان بعد نزول اقرأ ، ولهذا أول العلماء ما روى عن جابر رضي الله عنه عدة تأويلات كلها صالح للتوفيق بين قوله وقول الجمهور :

(منها) أن المراد أن المدثر أول ما نزل بعد فترة الوحي .

(ومنها) أنها أول سورة كاملة نزلت من القرآن .

(ومنها) أن المراد أنها أول ما نزل من القرآن خاصاً بالرسالة ، فإنه قد ورد فيها : (قم فأَنذِر) أما قوله سبحانه : (اقرأ) فقد كان أول ما نزل على الإطلاق محققاً للنبوة . وقد اختلف في آخر ما نزل من القرآن على أقوال كثيرة تقتصر منها على أشهرها ، فقل إن آخر ما نزل قوله تعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) الآية . فقد قال السدي إنه لم ينزل بعدها حلال ولا حرام ، وفي الصحيح عن البراء بن عازب « إن آخر آية أنزلت آية الكلاله » وروى مسلم عن ابن عباس قال : آخر سورة نزلت (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ) .

ولعلّ أولى الأقوال بالاعتبار هو أن آخر ما أنزل الله قوله تعالى : (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) أخرج غير واحد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن آية : (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ) آخر ما أنزل من القرآن ؛ وعلى هذا فما أخرجه البخاري عن ابن عباس أيضاً أنه قال : « آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية الربا » ينبغي أن يؤول على معنى أنها الآية التي ختمت بها آيات الربا من سورة البقرة ، حتى يتفق ذلك مع الروايات الكثيرة عنه أنها آية : (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ) وقد نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما فرغ من حجة الوداع إشارة لمعناه عليه الصلاة والسلام ؛ فقد روى « أنه صلى الله عليه وسلم لم يمكث بعدها إلا تسع ليال أو سبعة أيام ، وقيل مكث بعدها إحدى وعشرين يوماً ،

ومن قبل ذلك نزلت عليه سورة النصر في أيام التشريق ، وفهم منها النبي صلى الله عليه وسلم ذلك النعي أيضا .

أما قوله تعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) فقد نزل باتفاق العلماء يوم عرفة من حجة الوداع قبل نزول سورة النصر وآية البقرة فلا يستقيم القول بأنها آخر ما نزل على الإطلاق ، اللهم إلا أن يكون المراد أنها آخر ما نزل مبيّناً كمال الدين وتبتمام أحكامه ، فلم ينزل بعدها تحليل ولا تحریم جديد كما قال السدي ، فلا مانع أن يكون قد نزل بعدها وعظ وإرشاد كما في سورة النصر وآية البقرة ؛ أما آية الكلاله التي ورد أنها آخر ما نزل فكان نزولها قبل آية المائدة فيحمل ما ورد فيها على أنها آخر ما نزل من آيات الأحكام ، ولا يتعارض هذا مع ما قلناه كما هو ظاهر .

انتهى كل ما ذكر من كتاب تاريخ الفقه الإسلامي المذكور .

الباب الثاني

وفيه خمسة فصول

الفصل الأول

في جمع القرآن الكريم

يطلق جمع القرآن تارة على حفظه في الصدور وتارة على كتابته : فعلى المعنى الثاني نقول : إن القرآن جمع ثلاث مرات ﴿ الجمع الأول ﴾ كتب كله في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لكن غير مجموع في موضوع واحد ولا مرتب السور ، بل كان مفردا في العُسب والخاف والرقاع والاقتاب^(١) ونحوها مع كونه محفوظا في الصدور - فقد روى الحاكم في المستدرک عن زيد بن ثابت قال « كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع » الحديث ، وعنه أيضا قال « كنت أكتب الوحي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يلى على فإذا فرغت قال اقرأه فأقرأه ، فإن كان فيه سقط أقامه » . وروى البخارى عن البراء قال : لما نزلت « لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله » قال النبي صلى الله عليه وسلم « ادع لى زيدا وليجى باللوح والدواة والكتف أو الكتف والدواة » ثم قال اكتب (لا يستوى القاعدون) الحديث . وأخرج مسلم من حديث أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تكتبوا عنى شيئا غير القرآن^(٢) » قال الحارث

(١) العسب يضم فسكون وبضمين أيضاً ، جمع عسيب : وهو جريد النخل ، كانوا يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض . والخاف بكسر اللام جمع خلفه بفتح فسكون وتجمع أيضاً على خلف بضمين : وهى صفائح الحجارة الرقاق . والرقاع بالكسر جمع رقعة بالضم : وهى القطعة من النسيج أو الجلد . والاقتاب جمع قتب بفتحتين : وهو رحل البعير .

(٢) قال النووي في شرحه على صحيح مسلم عند هذا الحديث ما ملخصه : قيل إنما نهى عن كتابة الحديث مع القرآن فى صحيفة واحدة لئلا يختلط فيشبهه على القاري ، وقيل إن حديث النهى منسوخ بمجمله أحاديث ذكرها النووي في شرحه ، ثم قال : قال القاضي كان بين السلف من الصحابة والتابعين اختلاف كثير فى كتابة العلم ، ففكرها كثيرون منهم وأجازها أكثرهم ثم أجمع المسلمون على جوازها وزال ذلك الخلاف اهـ .

المحاسبى فى كتاب فهم السنن : كتابة القرآن ليست بمجددة فإنه صلى الله عليه وسلم كان يأمر بكتابتها ، ولكنه كان مفرقا فى الرقاع والأكتاف والعسب اهـ .

وعدم جمعه فى مجلد فى حياته عليه الصلاة والسلام كان لأمرين (الأول) الأمن فيه من وقوع خلاف بين الصحابة لوجوده صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم . (الثانى) خوف نسخ شئ منه بوحى قرآن بدله ؛ فى الإتيان قال الخطابى : إنما لم يجمع صلى الله عليه وسلم القرآن فى مصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته ، فلما انقضى نزوله بوفاة^(١) ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة — وإلى ما تقدم أشار العلامة الشيخ محمد العاقب الشنقيطى رحمه الله بقوله :

لم يُجمَع القرآنُ فى مجلدٍ على الصحيح فى حياة أحمدٍ
للاُمن فيه من خلافٍ ينشأ وخيفة النسخ بوحى يطرأ
وكان يكتبُ على الأكتافِ وقِطْعِ الأدمِ واللِّخافِ
وبعد إغماضِ النبيِّ فالأحقَّ أن أبا بكرٍ يجمعه سبقُ
جمعه غيرَ مرتَّبِ السُّورِ بعد إشارةٍ إليه من عمرُ
ثم تولى الجمعَ ذو النورينِ فضمَّه ما بينَ دَفَّتَيْنِ
مرتَّبِ السُّورِ والآياتِ مخرَّجًا بأفصحِ اللِّغاتِ

(الجمع الثانى) جمع أبى بكر الصديق رضى الله عنه . روى البخارى فى صحيحه عن عبيد بن السباق^(٢) أن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال « أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده ، قال أبو بكر رضى الله عنه : إن عمر أتانى فقال إن القتل قد

(١) توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة إحدى عشرة للهجرة .

(٢) قال فى فتح الباري : عبيد بن السباق بفتح المهملة وتشديد الموحدة مدنى يكنى أبا سعد ، ذكره مسلم فى الطبقة الأولى من التابعين .

استحضر يوم اليمامة^(١) بقراء القرآن ، وإني أخشى أن يستحضر القتل بالقراءة بالمواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن ، فقلت لعمر : كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال عمر هذا والله خير ، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدرى لذلك ، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر . قال أبو بكر إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه ؛ فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني من جمع القرآن^(٢) قلت كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال هو والله خير ، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدرى للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فتتبع القرآن أجمعه من العصب والخفاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره^(٣) (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم) حتى خاتمة براءة ، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله

(١) استحضر القتل : أي اشتد ، واليمامة واقعة جبهة نجد وكانت مع مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة ، وقد قتل في هذه الواقعة وأبندأت غزوتها في أواخر عام الحادي عشر وانتهت في ربيع الأول عام الثاني عشر للهجرة وفيها قتل من القراء سبعون قارئاً من الصحابة وقيل سبعمائة ، وقد قتل منهم مثل هذا العدد وبئر معونة قرب المدينة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يخفى أن قتل مثل هذا العدد من القراء ليس بقليل ، خصوصاً والكتابة ما كانت منتشرة عندهم حتى يرجعوا إلي ما كتبوه بل كان اعتمادهم علي ما في صدورهم .

(٢) استثقاله لهذا الأمر لم يكن من جهة ما يحصل له من المشقة والتعب ، وإنما كان خوفاً من إقدامه علي أمر لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يأمر به ، فلما ظهرت له المصلحة في ذلك أقدم عليه بهمة ونشاط . فرضي الله عن صحابة رسول الله أجمعين .

(٣) أي لم يجد صحيفتها وإلا فهي محفوظة في الصدور ، أو لم يجد في آخر سورة التوبة قراءة من الأحرف السبعة إلا عند أبي خزيمة الأنصاري فتأمل - ولم يذكره أحد أنه من حفاظ القرآن ولكن قد يحفظ منه بعض السور والآيات ، وقد جاء من طريق أبي العالية أنهم لما جمعوا القرآن في خلافة أبي بكر كان الذي يمل عليهم أبي بن كعب ، فلما انتهوا من براءة إلي قوله يفقهون ظنوا أن هذا آخر ما نزل منها ، فقال أبي بن كعب أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم آيتين بعدهن « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » إلي آخر السورة .

قال في فتح الباري شرح صحيح البخاري : الأرجح أن الذي وجد معه آخر سورة التوبة أبو خزيمة بالسكنية والذي وجد معه الآية من الأحزاب خزيمة ، وأبو خزيمة قيل هو ابن أوس بن زيد بن أصرم مشهور بكتيبته دون اسمه ، وقيل هو الحارث بن خزيمة ، وأما خزيمة فهو ابن ثابت ذو الشهادتين اهـ من الفتح .

ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهما^(١) ، رواه البخاري في كتاب التفسير في باب جمع القرآن ، ورواه أيضا في الكتاب المذكور في سورة براءة ، وجاء في رواية ابن أبي داود « أن عمر بن الخطاب سأل عن آية من كتاب الله ؟ فقيل كانت مع فلان قتل يوم اليمامة ؛ فقال : إن الله ، فأمر بجمع القرآن : أي راجع أبا بكر حتى أمر بجمعه » ويختار بعضهم في فهم هذه الرواية : كيف إن الآية التي سأل عنها عمر لا توجد إلا مع فلان الذي قتل يوم اليمامة . فنقول : إن منطوق الرواية لا يدل على حصر الآية عند فلان ، فهناك غيره ممن يحفظها أيضا ، فعمر لما سمع بقتل فلان يوم اليمامة خاف من قتل حفاظ كلام الله تعالى أن يضيع القرآن فراجع أبا بكر في ذلك حتى جمعه في المصحف .

وجاء في رواية أخرى : أن عمر بن الخطاب دخل على أبي بكر فقال : إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باليمامة يتهافون تهافت الفراش في النار ، وإنني أخشى أن لا يشهدوا موطننا إلا فعلوا ذلك حتى يقتلوا وهم حملة القرآن ، فيضيع القرآن وينسى ولو جمعته وكتبته ، فنفر منها أبو بكر وقال أفعل ما لم يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فتراجعا في ذلك ثم أرسل أبو بكر إلى زيد بن ثابت^(٢) قال زيد فدخلت عليه وعمر

(١) تقول دائرة المعارف الإسلامية : لماذا أودعت الصحف عند حفصة ولم تودع عند الخليفة الجديد الذي ولي أمر المسلمين وهو عثمان بن عفان ؟ فنقول : أودعت الصحف عند حفصة بوصية من أبيها عمر بن الخطاب لأنها كانت تحفظ القرآن كله في صدرها وكانت تقرأ وتكتب وهي زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين وابنة عمر بن الخطاب خليفة المسلمين ، ثم إنه لم يتعين خليفة حين وفاة عمر حتى تسلم إليه ، لأن عمر لم يوص بالخلافة إلى أحد ، وإنما جعلها شوري في بضعة أشخاص ، فلهذه الاعتبارات كانت حفصة رضي الله عنها أولي من غيرها بحفظ المصحف ، ونظر عمر أصوب وأحكم . وفي كتاب الإصابة قال أبو عمر : أوصى عمر إلى حفصة ، وأوصت حفصة إلى أخيها عبد الله بما أوصى به إليها عمر وبصدقة تصدقت بها بالغاية . توفي عمر رضي الله عنه في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين .

(٢) هو زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي ، يقال إنه شهد أحداً واستصغر يوم بدر ويقال أول مشاهده الخندق وكتب الوحي وغيره للنبي صلى الله عليه وسلم ، وكان من علماء الصحابة وأعلمهم بالفرائض وفيه جاء الحديث « أقرض أمي زيد بن ثابت » وعن خارجة بن زيد عن أبيه قال « أتاني النبي صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة فقيل هذا من بني النجار وقد قرأ سبع عشرة سورة فقرأت عليه فأعجبته ذلك ، فقال تعلم كتاب

مَسْرَبِل^(١) فقال لي أبو بكر : إن هذا قد دعاني إلى أمر فأبيت عليه وأنت كاتب الوحي ، فإن تكن معه اتبعتمكما وإن توافقني لا أفعل ، فاقصص أبو بكر قول عمر وعمرساكت ، ففرت من ذلك وقلت يفعل ما لم يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن قال عمر كلمة : وما عليكم لو فعلتما ذلك ؟ فذهبنا ننظر فقلنا لا شيء والله ، ما علينا في ذلك شيء ، قال زيد فأمرني أبو بكر فكتبته في قطع الأدم وكسر الأكتاف والعُصب^(٢) اه . وهذه الرواية أوردها الطبري في تفسيره وهل اللفظ واحد أم لا يحتاج إلى المراجعة ؟ .

وكان زيد لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد شهيدان ، فإن أبا بكر قال لعمر وزيد : اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه . أخرجه ابن أبي داود من طريق هشام بن عروة عن أبيه^(٣) .

جاء في كتاب نهاية القول المفيد (فإن قيل) كان زيد حافظا للقرآن وجامعا له فما وجه تتبعه المذكورات (والجواب) أنه كان يستكمل وجوه قراءاته ممن عنده ما ليس عنده ، وكذا نظره في المکتوبات التي قد عرف كتابتها وتيقن أمرها فلا بد من النظر فيها ، وإن كان حافظا ليستظهر بذلك وليعلم هل فيها قراءة غير قراءته أم لا ، وإذا استند الحافظ عند الكتابة إلى أصل يعتمد عليه كان آكد وأثبت في ضبط المحفوظ . اه

يهود فإني ما آمنهم علي كتابي ففعلت ، فامضى لي نصف شهر حتى حذفته فكننت أكتب له إليهم وإذا كتبوا إليه قرأت له ، استخلفه عمر بن الخطاب علي المدينة ثلاث مرات ، وكان عثمان إذا حج يستخلفه علي المدينة أيضا ورمى زيد يوم النجاسة بسهم فلم يضره ، مات وهو ابن ست وخمسين وقيل أربع وخمسين . واختلف في وقت وفاته ، فقيل سنة خمس وأربعين وقيل غير ذلك . قال أبو هريرة حين مات زيد : اليوم مات حبر هذه الأمة وعسى الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفا اه ملخصا من الإصابة والاستيعاب ، والمراد بكتاب يهود السريانية كما في الرواية الأخرى الآتية في الفصل الثاني ، وقيل العبرانية ، والله تعالى أعلم .

(١) السربال : ما يلبس من قيصر أو درع ، قاله في المصباح .

(٢) الأدم بضمين ويفتحين أيضا جمع أديم : وهو الجلد المدبوغ ، والأكتاف جمع كتف ، وهو عظم عريض يكون في أصل كتف الحيوان ، والعصب بضم فسكون وبضمين أيضا جمع عصب : وهو جريد النخل إذا نزع منه خوصه .

(٣) انظر الفصل الثاني في احتياط الصحابة في كتابة القرآن .

وجاء في إرشاد القراء والكتّاب أن زيدا كتب القرآن كله بجميع أجزائه ، وأوجهه المعبر عنها بالأحرف السبعة الواردة في حديث « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه ، وكان أولاً آتاه جبريل فقال له : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف واحد ثم راجعه إلى السابعة فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف ، فأما حرف قروا عليه أصابوا^(١) » اهـ . من عنوان البيان في علوم التبيان .

فأبو بكر رضى الله عنه هو أول من جمع القرآن الكريم بالأحرف السبعة التي نزل بها وإليه تنسب المصحف البكرية ، وكان ذلك بعد وقعة اليمامة التي كان انتهواؤها سنة اثنتي عشرة للهجرة . فجمعه للقرآن كان في سنة واحدة تقريباً^(٢) لأنه وقع بين غزوة اليمامة وبين وفاته رضى الله عنه ، التي كانت في جمادى الثانية سنة ثلاثة عشر . قال على بن أبي طالب : أعظم الناس في المصاحف أجراً أبو بكر ، رحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع كتاب الله . ويسأل بعضهم : لماذا لم يأمر أبو بكر أو عمر أن ينسخ الناس مصاحف مما كتبه زيد بن ثابت ، ولماذا لم يحرص كبار الصحابة على أن يكون لدى كل واحد منهم أو لدى بعضهم على الأقل نسخ من هذه المصحف التي تتضمن كتاب الله .

فنقول : إن أبا بكر رضى الله لم يجمع القرآن لحدوث خلل في قراءته ، وإنما جمعه خوفاً من ذهاب حملته بقتلهم في الغزوات ، وكان جمعه له بالأحرف السبعة ، والناس يقرءون بها إلى زمن عثمان فلا يختلف مصحف أبي بكر عما يقرؤه الناس ويحفظونه : فلا داعي إذاً لجل الناس على مصحفه .

أما عثمان رضى الله عنه فإنه لم يجمع القرآن إلا بعد أن رأى اختلاف الناس في قراءته حتى إن بعضهم كان يقول : إن قراءتي خير من قراءتك ، وكان جمعه له بحرف واحد وهو

(١) سيأتي شرح هذا الحديث في الفصل الخامس من الباب الثاني .

(٢) لولا همة الصحابة الذين بذلوا أنفسهم لله لما تم في مدة سنة واحدة كتابة المصحف بالأحرف السبعة كلها وجمعه من الأحجار والعظام والجلود ونحوها ، فانظر إلي توفيق الله لهم وعنايته بهم وتأمل كيف خدموا الدين ونشروا الإسلام رضى الله عنهم .

لغة قريش ، وترك الأحرف الستة الباقية فكان من الواجب حمل الناس على اتباع مصحفه وعلى قراءته بحرف واحد فقط قبل أن يختلفوا فيه اختلاف اليهود والنصارى كما ترى تفصيل ذلك في الجمع الثالث .

أما عدم نسخ كبار الصحابة مصاحف على نمط ما جمعه أبو بكر ، فلم يكن هناك ما يدعو لذلك لعدم اختلاف ما جمعه أبو بكر بما عند الناس ، وإن بعضهم كتبوا مصاحفهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وتلقوه منه سماعا ؛ فكان جمع أبي بكر بمثابة سجل للقرآن يرجع إليه إذا حدث أمر كما وقع لعثمان حين جمعه القرآن فإنه رجع إلى الصحف البكرية وكانت عند حفصة بنت عمر .

ويسأل بعضهم أيضا : لم لم يجتمع أبو بكر وعمر وعثمان وعلي على نسخ المصحف وهم يحفظونه كله في صدورهم ؟ فنقول : إن أبا بكر هو خليفة المسلمين ، وهؤلاء هم كبار الصحابة وهم أصحاب الرأي والشورى ومنهمكون في الغزوات ونشر الإسلام والنظر في مصالح الأمة ، فاشتغلهم بأنفسهم بجمع القرآن يمنعه عن النظر في شؤون المسلمين ، لأن التفرغ لجمعه يحتاج إلى مدة طويلة وعناء عظيم . وإذا عرفت أنهم كانوا يجمعونه مما كتب على نحو العظام والألواح والحجارة ، وأنهم ما كانوا يقبلون من أحد شيئا من القرآن إلا بشاهدين علمت أنهم يحتاجون في البحث والترتيب والمراجعة والتصحيح إلى مدة غير قصيرة ، وظهر لك ما تحملوه من المشقة العظمى والتعب الكبير ، خصوصا وإنهم في هذه المرة جمعوه بالأحرف السبعة كلها ، وهذا يستلزم أن يكون حجم مصحف أبي بكر أضعاف حجم مصحف عثمان لأن هذا جمعه على حرف واحد من الأحرف السبعة .

لذلك أسند الخلفاء الأربعة جمع القرآن إلى زيد بن ثابت كاتب الوحي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي شهد العرضة الأخيرة ، وكان من حفظة القرآن

وأعلم الصحابة ، فقام بهذه المهمة خير قيام في مصحف أبي بكر وفي مصحف عثمان رضي الله عنهم^(١) وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

والحقيقة لو لم يلهم الله تعالى هؤلاء الصحابة الكرام بجمع القرآن العظيم بكتابته في الصحف لذهب بموت حفظه واقرض الصحابة ، وهذا مصداق قوله عز وجل (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) .

ولقد كان سعي عمر رضي الله عنه لجمع القرآن من فضائله التي لا تحصى ، ومناقبه التي لا تستقصى ، كيف وقد قال فيه صلى الله عليه وسلم « إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه » وقال « لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون ، فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر » رواه البخاري ومسلم . قوله محدثون هو بفتح الدال المهملة وتشديد هاء : أى ملهمون ، وكما نزل القرآن بموافقته في أسرى بدر وفي الحجاب وفي تحریم الخمر وافق عمر الحق والصواب في إشارته على أبي بكر بجمع القرآن ، ولقد جمع الإمام السيوطي رحمه الله تعالى موافقات عمر رضي الله عنه في منظومة مطبوعة في تسعة عشر بيتاً أولها :

الحمد لله وصلى الله	على نبيه الذي اصطفاه
ياسائلي والحادثات تكثر	عن الذي وافق فيه عمر
وما يرى أنزل في الكتاب	موافقاً لرأيه الصواب
خذ ما سألت عنه في آيات	منظومة تأمن من الشتات ... الخ

﴿ الجمع الثالث ﴾ جمع عثمان بن عفان رضي الله عنه^(٢) ولم ينقل أنه كتب بيده مصحفاً

(١) كان عمر زيد حين كتب مصحف أبي بكر نحو اثنتين وعشرين سنة ، وكان عمره حين كتب مصحف عثمان نحو خمس وثلاثين سنة .

(٢) توفي عثمان لآخر يوم من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين للهجرة ، فاستقبل بخلافته المحرم عام أربع وعشرين ، وقتل في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين .

وإنما أمر بجمعه وكتابته على حرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ، فلذلك ينسب إليه ويقال « المصحف العثماني » .

وسببه كما في البخاري عن أنس أن حذيفة بن اليمان^(١) قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفرغ حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى^(٢) ، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت^(٣) وعبد الله بن الزبير^(٤)

(١) هو حذيفة بن اليمان العبسي ، واسم اليمان حسيل بن جابر ، واليمان لقب : كان أبوه قد أصاب دما فهرب إلى المدينة فحالف بني عبد الأشهل فمناه قومه اليمان لكونه حالف اليمانية وتزوج والدته حذيفة وهي من الأنصار اسمها الرباب بنت كعب بن عدي فولد له بالمدينة وأسلم حذيفة وأبوه وأرادا شهود بدر فصدما المشركون وشهدا أحدا فاستشهد اليمان بها وشهد حذيفة الخندق وله بها ذكر حسن وما بعدها . وروي حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم الكثير وهو معروف في الصحابة بصاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، روى مسلم عن عبد الله بن يزيد الخطمي عن حذيفة قال : « لقد حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان وما يكون حتى تقوم الساعة » وكان عمر ينظر إليه عند موت من مات منهم فإن لم يشهد جنازته حذيفة لم يشهدا عمر ؛ وكان فتح همدان والري والدينور على يد حذيفة ؛ سئل حذيفة أي الفتن أشد ؟ قال أن يعرض عليك الخير والشر فلا تدري أيها تتركب ، قال العجلي : استعمله عمر على المدائن فلم يزل بها حتى مات بعد قتل عثمان وبعد بيعة علي بأربعين يوما وذلك سنة ست وثلاثين اهـ ملخصاً من الإصابة والاستيعاب .

وحذيفة هذا هو الذي يقول « كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني » ، فقلت يا رسول الله إنا كنا الخ » وتمام الحديث في البخاري في كتاب الفتن وفي علامات النبوة أيضا وتمامه في صحيح مسلم في كتاب الإمامة في باب الأمر بلزوم الجماعة ، ولولا التطويل لسقنا الحديث بتمامه ، فإنه حديث مهم .

ونقول : بما أن النبي صلى الله عليه وسلم حدث حذيفة بما كان وما يكون إلى يوم القيامة لا يبعد أن يسر عليه الصلاة والسلام إليه أن يحرض عثمان لجمع القرآن على حرف واحد إذا رأى اختلاف الناس في قراءته ؛ فكتم حذيفة هذا الأمر حتى جاء وقته .

(٢) وفي رواية قدم حذيفة من أرمينيا فلم يدخل بيته حتى أتى عثمان فقال : يا أمير المؤمنين أدرك الناس الخ . وقد ذكر ابن حجر في فتح الباري عند هذا الحديث روايات كثيرة فيما اختلفوا فيه من القراءات لم نقلها هنا خوف التطويل فراجعها إن شئت .

(٣) تقدمت ترجمة زيد عند جمع أبي بكر للمصحف في صفحة ٤٢ .

(٤) هو عبد الله بن الزبير بن العوام وأمه أسماء بنت أبي بكر ولدت سنة اثنتين من الهجرة ، وقيل ولد في السنة الأولى وهو أول مولود ولد في الإسلام من المهاجرين بالمدينة ، وكانت به لسانة وفصاحة ، وكان

وسعيد بن العاص^(١) وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام^(٢) فنسخوها في المصاحف^(٣) وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلسانهم ففعلوا^(٤) حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق^(٥) . قال ابن هشام : وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت

كثير الصلاة والصيام ، بويع له بالخلافة سنة أربع وستين وقيل خمس وستين ، وقتل في أيام عبد الملك سنة ثلاث وسبعين اهـ . ملخصا من الاستيعاب .

(١) هو سعيد بن العاص بن سعيد بن أمية ، ولد أيام الهجرة وقيل بل سنة إحدى ، وكان أحد أشراف قريش من جمع السخاء والفصاحة ، وهو أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان ، استعمله عثمان علي الكوفة وغزا بالناس طبرستان فافتتحها ، توفي في خلافة معاوية سنة تسع وخسين اهـ ملخصا من الاستيعاب . وقد ورد ابن العاص بالياء وبغير ياء .

(٢) هو عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي ، تزوج عمر أمه فنشأ في حجر عمر ، وتزوج بنت عثمان ، ثم كان من نديه عثمان لكتابة المصاحف من شباب قريش ؛ قال ابن سعد : كان من أشراف قريش قال ابن حبان : مات سنة ثلاث وأربعين . اهـ ملخصا من الإصابة .

(٣) وأخرج ابن أبي داود أنه جمع اثني عشر رجلا من قريش والأنصار وقال لهم : إذا اختلفتم في لغة ما كتبوه بلغة قريش ، فلم يختلفوا إلا في التابوت في البقرة ، فقال زيد بالهاء وقال غيره بالتاء فكتبوه بالتاء .

(٤) وفي البخاري في كتاب التفسير في باب : نزل القرآن بلسان قريش والعرب ؛ وقال لهم : أي عثمان لزيد ومن معه من المذكورين « إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش فإن القرآن أنزل بلسانهم ففعلوا » . جاء في فتح الباري شرح صحيح البخاري ؛ قال القاضي أبو بكر الباقلاني : « معنى قول عثمان نزل القرآن بلغة قريش أي معظمة : وإن لم تقم دلالة قاطعة علي أن جميعه بلسان قريش ، فإن ظاهر قوله تعالى (إنا جعلناه قرآنا عربيا) أنه نزل بجميع السنة العرب ... الخ كلامه » وقال أبو شامة : يحتتمل أن يكون قوله نزل بلسان قريش أي ابتداء نزوله ، ثم أبيع أن يقرأ بلغة غيرهم كما سيأتي تقريره في باب : « أنزل القرآن علي سبعة أحرف » اهـ وتكمله أن يقول إنه نزل أولا بلسان قريش أحد الأحرف السبعة ثم نزل بالأحرف السبعة المأذون في قراءتها تسيلا وتيسرا كما سيأتي بيانه ، فلما جمع عثمان الناس علي حرف واحد رأي أن الحرف الذي نزل القرآن أولا بلسانه أولي الأحرف ، فحمل الناس عليه لكونه لسان النبي صلى الله عليه وسلم ولما له من الأولوية المذكورة وعليه يحمل كلام عمر لابن مسعود أيضا اهـ من فتح الباري ، وكلام عمر لابن مسعود سيأتي قريبا في الهامش .

(٥) والسبب في إحراقها هو قطع جذور اختلاف الناس في القراءة ، فقد يكون بعضهم كتب شيئا من القرآن علي غير وجه صحيح لما نشأ فيهم من الخلاف الذي كان سببا في قيام عثمان بجمع القرآن وحمل الناس عليه . فإحراق تلك الصحف تنوحد قراءتهم علي حرف واحد حسب ما في مصحف عثمان . روي أبو بكر بن أبي داود

سمع زيد بن ثابت قال : فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فالتسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري^(١) (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) فألحقناها في سورتها في المصحف رواه البخاري في كتاب التفسير في باب جمع القرآن ، ورواه الطبري في تفسيره بلفظ آخر .

وفي رواية أبي قلابة : فلما فرغ عثمان من المصحف كتب إلى أهل الأمصار : إني صنعت كذا وكذا ومحوت ما عندي فاحمو ما عنكم اه . وفي رواية شعيب عند ابن أبي داود^(٢) والطبراني وغيرهما ، وأمرهم أن يحرقوا كل مصحف يخالف المصحف الذي أرسل به اه . تقول : أكثر الروايات على الإحراق وبعضها على الحو فيمكن الجمع بينها بأن تقول : كان الإحراق فيما كتب على نحو الجلود وجريد النخل ، وكان الحو فيما كتب على نحو العظام والحجارة ، والحو قد يكون بالغسل وقد يكون بالطمس .

وفي رواية : أن حذيفة قال : يا أمير المؤمنين أدرك الناس ؟ فقال عثمان : وما ذاك ؟ قال غزوت مرج أرمينيا فحضرها أهل العراق وأهل الشام ، فإذا أهل الشام يقرءون بقراءة أبي ابن كعب فيأتون بما لم يسمع أهل العراق فيكفرهم أهل العراق ، وإذا أهل العراق يقرءون بقراءة ابن مسعود فيأتون بما لم يسمع أهل الشام فيكفرهم أهل الشام ، قال زيد : فأمرني عثمان إلى آخر القصة^(٣) .

باسناد صحيح عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال : أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك ، أو قال لم يشكر ذلك منهم أحد اه . وإنما لم يأمر عثمان بحرق صحف حفصة لأنها كتبت بأمر أبي بكر بالأحرف السبعة لا يتطرقها الشك ، وعنها نقل مصحفه ولأنه وعدها بردها إليها فبقيت عندها إلى وفاتها ، فلما توفيت استردها مروان حين كان أميراً بالمدينة من جهة معاوية وأمر بتشقيقها وغسلها وقال إنما فعلت هذا لأني خشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب في شأن هذه الصحف مرتاب . وقيل لما ماتت حفصة سلم عبد الله بن عمر هذه الصحف لجمع من الصحابة فغسلت غسلاً .

- (١) ستأتي ترجمة خزيمة في الفصل الثالث في ضبط وتصحيح المصحف العثماني .
- (٢) هو ابن داود الظاهري وهو من جملة أصحاب الحديث .
- (٣) اعلم أن أهل دمشق وحمص أخذوا عن المقداد بن الأسود وأهل الكوفة عن ابن مسعود وأهل البصرة (٤ - تاريخ القرآن)

وفي رواية اختلفوا في القرآن على عهد عثمان حتى اقتتل الغلمان والمعلمون^(١) فبلغ ذلك عثمان بن عفان فقال : عندى تكذبون به وتلحنون فيه ، فمن نأى عني من الأمصار كان أشد تكذيباً وأكثر لحناً ، يا أصحاب محمد اجتمعوا فاكتبوا للناس إماماً .

وجاء في كتاب المنقح للإمام الداني صحيفة ٦ عن أبي قلابة عن رجل من بنى تميم فقال أحسب أنس بن مالك قال : « اختلف المعلمون في القرآن حتى اقتتلوا أو كان بينهم قتال ، فبلغ ذلك عثمان ، فقال : عندى تختلفون وتكذبون به وتلحنون فيه يا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اجتمعوا فاكتبوا للناس إماماً يجمعهم ، قال وكانوا في المسجد فكثروا فكانوا إذا تمارؤا في الآية يقولون إنه أقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فلان ابن فلان وهو على رأس أميال من المدينة فيبعث إليه من المدينة فيجىء فيقولون كيف أقرأك رسول الله صلى الله عليه وسلم آية كذا وكذا ؟ فيقول كذا وكذا فيكتبون كما قال » .

ثم جاء فيه بعد ثلاثة أسطر عن أبي قلابة أيضاً ، قال : حدثني من كان يكتب معهم ، قال حماد : أظنه أنس بن مالك القشيري ، قال كانوا يختلفون في الآية فيقولون أقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلان ابن فلان ، فعسى أن يكون على رأس ثلاث ليال من المدينة فيُرسل إليه فيجاء به فيقال له كيف أقرأك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فيقول كذا وكذا فيكتب كما قال انتهى من الكتاب المذكور .

فانظر رحمك الله إلى الصحابة رضوان الله تعالى عليهم كيف خدموا الدين الحنيف وكيف بذلوا أنفسهم لله ولرسوله ، ثم انظر ما وصلت إليه حالة المسلمين اليوم . اللهم تداركنا بلطفك ورحمتك فأنت أرحم الراحمين .

عن أبي موسى الأشعري وكانوا يسمون مصحفه لباي القلوب ، وقرأ كثير من أهل الشام بقراءة أبي بن كعب .
انظر في الفصل الخامس من الباب الثاني في حديث إنزال القرآن علي سبعة أحرف .
(١) فإن قيل : كيف يتصور ذلك مع أن الطالب هو الذي يتلقى القرآن والعلم من معلمه ؟ نقول : يمكن ذلك بأن يسمع من أهله وجيرانه قراءة غير قراءة معلمه وتأكيدهم له بصحتها .

وأخرج ابن أبي داود بسند صحيح عن سويد بن غفلة قال: قال علي: لا تقولوا في عثمان إلا خيراً ، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملاءمنا ، قال ما تقولون في هذه القراءة فقد بلغني أن بعضهم يقول : قراءتي خير من قراءتك وهذا يكاد يكون كفراً ، قلنا فما ترى ؟ قال أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف ، قلنا فنعلم ما رأيت^(١) .

وقال علي أيضاً : لو وليت لعملت بالمصاحف التي عمل بها عثمان .

وفي عنوان البيان قال الألوسي في تفسيره : وهذا الذي ذكرناه من فعل عثمان هو ما ذكره غير واحد من المحققين حتى صرحوا بأن عثمان لم يصنع شيئاً فيما جمعه أبو بكر من زيادة أو نقص أو تغيير ترتيب سوى أنه جمع الناس على القراءة بلغة واحدة وهي لغة قریش محتجاً بأن القرآن نزل بلغتهم اه^(٢) وهو ظاهر في أن ترتيب السور كترتيب الآيات كان في عهد أبي بكر رضي الله عنه خلافاً لما ذكره الحاكم في مستدركه . انتهى من عنوان البيان .

قال ابن حجر : وكان ذلك (أي جمع عثمان للمصحف) في سنة خمس وعشرين قال وغفل بعض من أدركناه فزعم أنه كان في حدود سنة ثلاثين ولم يذكر مستنداً^(٣) ،

(١) الظاهر من هذه الرواية والتي قبلها أن عثمان رضي الله عنه كان في نيته جمع الناس على مصحف واحد وعلى قراءة واحدة حين رأي اختلاف الناس في قراءة القرآن غير أنه لم يعزم على تنفيذ ما كان يظن أنه لا بعد أن أنذره حذيفة صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم من عاقبة هذا الاختلاف ؛ بل إن عمر شعر بهذا أيام خلافته فكتب إلى ابن مسعود يأمره أن يقرئ الناس القرآن بلغة قریش كما يأتي بعد هذا الكلام .

(٢) وأخرج أبو داود من طريق كعب الأنصاري : أن عمر كتب إلى ابن مسعود إن القرآن نزل بلسان قریش فأقرئ الناس بلغة قریش لا بلغة هذيل ، قال ابن عبد البر : يحتمل أن يكون هذا من عمر على سبيل الاختيار لأن الذي قرأ به ابن مسعود لا يجوز ، قال وإذا أبيحت قراءته علي سبعة أوجه أنزلت جاز الاختيار فيما أنزل اه من فتح الباري علي صحيح البخاري . وابن مسعود كان من هذيل وستأتي ترجمته .

(٣) إذا تحققنا متى كانت غزوة أرمينيا وأذربيجان وقدرنا المدة التي تستغرق كتابة المصحف ظهر لنا ذلك . وقد غزا العرب أرمينيا مرتين : الأولى في عهد عمر بن الخطاب سنة ثمانية عشرة هجرية ؛ والثانية

قال ابن التين وغيره : الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان أن جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته ، لأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد فجمعه في صحائف مرتباً لآيات سورة على ما وقفهم عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرأوه بلغاتهم على اتساع اللغات ، فأدى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعض فحشى من تفاقم الأمر في ذلك فمسح تلك الصحف في مصحف واحد مرتباً لسوره واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجاً بأنه نزل بلغتهم ، وإن كان قد وسع في قراءته بلغة غيرهم رفعاً للحرج والمشقة في ابتداء الأمر ، فرأى أن الحاجة إلى ذلك قد انتهت فاقتصر على لغة واحدة اه .

فلو تأملت ما كان يحصل لبعضهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من الفرع ، وتغير الحال عند سماعه قراءة لا يعرفها كما سيأتي بيانه عند حديث « أنزل القرآن على سبعة أحرف » لم تستغرب حدوث الاختلاف في قراءة القرآن بعد وفاته عليه الصلاة والسلام بنحو خمسة عشر عاماً ، وأن جمع عثمان القرآن بحرف واحد وحمل الناس عليه فهو عين الحكمة وعين الصواب ، وهو سر قوله تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) ولو ترك الناس على ما كانوا عليه ولم تتوحد قراءتهم للقرآن لوقع التحريف والتبديل فيه إلى يوم القيامة ... فرضى الله تعالى عن صحابة رسول الله أجمعين .

(فإن قيل) لم امتثل زيد بن ثابت أمر عثمان بجمع القرآن ولم يمتثل أمر أبي بكر إلا بعد نظر ومراجعة (نقول) كان ذلك مع أبي بكر لأن هذا الأمر لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يأمر به ، فخوفاً من وقوعهم في محذور توقف هو وأبو بكر أيضاً عن موافقة عمر ثم بعد روية وتفكر ظهر لهم أن ذلك من المصلحة الدينية ، وأن تركهم له قد يؤدي

في عهد عثمان بن عفان سنة ست وعشرين كما ذكره الأستاذ عبد الوهاب النجار في كتابه [تاريخ الإسلام] قال وجعل الطبري ذلك سنة إحدى وثلاثين .

إلى ضياع ما أنزله الله على رسوله ، فبعد أن جمع زيد المصحف لأبي بكر لا مبرر له في عدم موافقته وامثاله أمر عثمان خصوصا وقد رأى اختلاف الناس في قراءة القرآن .

(وإن قيل) لم أسند أبو بكر جمع المصحف لزيد وحده وأسنده إليه عثمان وأشرك معه رجلا من قریش (نقول) اختص أبو بكر زيدا وحده لما يعهده فيه من النشاط وقوة الشباب ، ولأنه كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أدرى بأوجه القراءات كلها ، وعثمان إنما أشرك معه نفراً من قریش لأنه يريد جمع القرآن على حرف واحد وهو لغة قریش وزيد من الأنصار ، ولأنه يريد سرعة إنجاز جمعه خوفاً من تفاقم أمر اختلاف الناس في القراءة .

جاء في كتاب المنفع للإمام الداني رحمه الله تعالى ما نصه :

(فإن قيل) فلم خصّ زيد بأمر المصاحف وقد كان في الصحابة من هو أكبر منه كابن مسعود وأبي موسى الأشعري وغيرهما من متقدمي الصحابة (قلت) إنما كان ذلك لأشياء كانت فيه ، ومناقب اجتمعت له لم تجتمع لغيره : منها أنه كتب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه جمع القرآن كله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن قراءته كانت على آخر عرصة عرضها النبي على جبريل عليهما السلام وهذه الأشياء توجب تقديمه لذلك وتخصيصه به لامتناع اجتماعها في غيره وإن كان كل واحد من الصحابة رضوان الله عليهم له فضله وسابقته ، فلذلك قدمه أبو بكر رضي الله عنه لكتب المصاحف وخصه به دون غيره من سائر المهاجرين والأنصار ، ثم سلك عثمان رضي الله عنه طريق أبي بكر في ذلك إذ لم يسعه غيره ، وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال : « اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر » فوله ذلك أيضا وجعل معه النفر القرشيين ليكون القرآن مجموعا على لغتهم ويكون ما فيه لغات ووجوه من ذلك على مذهبهم دون ما لا يصح من اللغات ولا يثبت من القراءات ، وهذا الجواب عما سئلنا عنه ووجه السبب في ذلك وبالله التوفيق وحسبنا الله ونعم الوكيل . انتهى من كتاب المنفع المذكور .

ولننقل هنا شيئاً مناسباً مما ذكره الإمام محمد بن جرير الطبري المولود سنة أربع وعشرين ومائتين في أول تفسيره بعد أن بين وجهه حمل عثمان الناس على مصحفه وهو (فإن قال) بعض من ضعفت معرفته وكيف جاز لهم ترك قراءة أقرأهموها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم بقراءتها (قيل) إن أمرهم بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض ، وإنما كان أمر بإباحة ورخصة الخ .

(ويسأل بعضهم) لم لم تكن الأحرف الستة موجودة وقد أنزلت من عند الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم وهو أقرأها أصحابه ، فإن نسخت فرفعت فما الدليل عليه ، وإن نسيها الأمة وتركها فذلك تضييع ما قد أمروا بحفظه (فأجاب الإمام ابن جرير الطبري) على هذه الأسئلة بقوله : لم تنسخ الأحرف الستة فترفع ولا ضيعتها الأمة وهي مأمورة بحفظها ولكن الأمة أمرت بحفظ القرآن وخيرت في قراءته وحفظه بأى تلك الأحرف السبعة شاءت وضرب لها مثلاً في الفقه وهو إذا حثت موسر في يمين فله أن يختار كفارة من ثلاث كفارات، إما بعتق أو إطعام أو كسوة فكذلك الأمة أمرت بحفظ القرآن وقراءته، وخيرت في قراءته بأى الأحرف السبعة شاءت ، فرأت لعله من العلل أوجبت عليها الثبات على حرف واحد^(١) قراءته بحرف واحد ، ورفض القراءة بالأحرف الستة الباقية ، ولم تحظر قراءته بجميع حروفه على قارئه بما أذن له في قراءته به ، ثم أورد الطبري أنباء ما قد حدث في أيام أبى بكر وعثمان من جمع المصحف اه كلام ابن جرير رحمه الله تعالى ، ولا يخفى أن جوابه سديد ومعتمد ، وقد أطلال البحث في هذا الموضوع فراجع تفسيره إن شئت .

وجاء في فتح الباري على صحيح البخارى، قال أبو شامة: وقد اختلف السلف في الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن هل هي مجموعة في المصحف الذي بأيدي الناس اليوم أو ليس

(١) فإن قال قائل ما العلة التي أوجبت على الأمة الثبات على حرف واحد من الأحرف السبعة . قيل الخوف من ضياع القرآن باختلافهم في قراءته كما في تفسير الطبري .

فيه إلا حرف واحد منها ؟ مال الباقلاني إلى الأول ، وصرح الطبري وجهاعته بالثاني وهو المعتمد اه منه .

وجاء في فتح الباري أيضا مانصه : وسبب اختلاف القراءات السبع وغيرها كما قال ابن أبي هشام : إن الجهات التي وجهت إليها المصاحف كان بها من الصحابة من حمل عنه أهل تلك الجهة ، وكانت المصاحف خالية من النقط والشكل ، قال قُتبت أهل كل ناحية على ما كانوا تلقوه سماعا عن الصحابة بشرط موافقة الخط ، وتركوا ما يخالف الخط امتثالا لأمر عثمان الذي وافقه عليه الصحابة لما رأوا في ذلك من الاحتياط للقرآن ، فمن ثم نشأ الاختلاف بين قراءة الأمصار مع كونهم متمسكين بحرف واحد من السبعة اه من فتح الباري لابن حجر .

(خلاصة ما تقدم) أن أبا بكر أول من جمع القرآن بإشارة عمر رضى الله عنهما ، وكان جمعه بالأحرف السبعة كلها التي نزل بها القرآن ؛ وسببه الخوف من ضياعه بقتل القراء في الغزوات ، ثم في خلافة عثمان كثر اختلاف الناس في قراءة القرآن ، فخشى الله عنه عاقبة هذا الأمر الخطير ، وقام بجمع القرآن على حرف واحد من الأحرف السبعة وهو حرف قریش ، وترك الأحرف الستة الباقية حرصا منه على جمع المسلمين على مصحف واحد وقراءة واحدة ، وعزم على كل من كان عنده مصحف مخالف لمصحفه الذي جمعه أن يحرقه فأطاعوه واستصوبوا رأيه ، فلمصحف العثماني لم يجمع إلا بحرف واحد من الأحرف السبعة ، وإن القراءات المعروفة الآن جميعها في حدود ذلك الحرف الواحد فقط ، وأما الأحرف الستة فقد اندرست بتماما من الأمة كما صرح بهذا الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره حيث قال : « فتركت الأمة القراءة بالأحرف الستة التي عزم عليها إمامها العادل (يعني عثمان) في تركها طاعة منهاله ونظرا منها لأنفسها ولمن بعدها من سائر أهل ملتها ، حتى درست من الأمة معرفتها وتعفت آثارها فلا سبيل لأحد اليوم إلى القراءة بها لدثورها وعفوت آثارها وتتابع

المسلمون على رفض القراءة بها من غير جحود منها بصحتها وصحة شيء منها ، ولكن نظراً
منها لأنفسها ولسائر أهل دينها فلا قراءة اليوم للمسلمين إلا بالحرف الواحد الذي اختاره لهم
إمامهم الشفيق الناصح دون ما عده من الأحرف الستة الباقية . فإن قال بعض من ضعفت
معرفة وكيف جاز لهم ترك قراءة أقرأهموها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم بقراءتها .
قيل إن أمرهم بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض ، وإنما كان إباحة ورخصة ... الخ اه
فتنبه لهذا الموضوع المهم ولا تفوتك معرفته فإنه مبحث نفيس .

ولقد أتينا بكلام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى لأنه من كبار الأئمة ، ولأن عصره
كان قريباً من عصر الصحابة والتابعين ، فإنه ولد سنة مائتين وأربع وعشرين ، وطاف
الأقاليم في طلب العلم وسمع عن الثقات الأجلة وجمع من العلوم ما لم يشاركه أحد في عصره ،
وله تصانيف عديدة ؛ حكى أنه مكث أربعين سنة ، فكتب في كل يوم منها أربعين ورقة
توفي في شوال عام ثلاثمائة وعشرة ، وصلى على قبره عدة شهور ليلاً ونهاراً اه . باختصار من
طبقات الشافعية الكبرى .

وانتخم هذا الفصل بأبيات في موضوع جمع القرآن من نظم الإمام الشاطبي رحمه الله
تعالى في عقيلة أتراب القصائد وهي :

إن اليمامة أغواها مسيلة	كذاب في زمن الصديق إذ خسرا
وبعد بأس شديد حان مصرعه	وكان بأساً على القراء مستعرا
نادى أبا بكر الفاروق خفت على	قراء فادارك القرآن مستطرا
فأجمعوا جمعه في الصحف واعتمدوا	زيد بن ثابت العدل الرضى نظرا
فقام فيه بعون الله يجمعه	بالنصح والجِدِّ والحزم الذي بهرا
من كل أوجه حتى استتم له	بالأحرف السبعة العليا كما اشتهرا
فأمسك الصحف الصديق ثم إلى	فاروق أسلمها لما قضى العُمرا

وعند حفصة كانت بعدُ فاختلَفَ ١١ قراء فاعتزلوا في أحرف زمرًا
 وكان في بعض مغزاهم مُشاهدُهم حُدَيْفَةُ فرأى في خُلْفِهِمْ عِبْرًا
 فجاء عثمانَ مدعورًا فقال له أخاف أن يخلطوا فادَّارِكِ البشرًا
 فاستحضرَ الصحفَ الأولى التي جُمِعَتْ وخصَّ زيدًا ومن قرِيشهم نفرًا
 على لسانِ قرِيش فاكْتُبُوهُ كما على الرسول به إنزاله انتشرًا
 فجدَّوه كما يهوى كتابته ما فيه شكل ولا نقط فيحتجروا

الفصل الثاني

في احتياط الصحابة في كتابة القرآن

جمعُ القرآن العظيم لأول مرة في التاريخ وهو مفرَّق في الألواح والعظام وصدور الرجال
 ليس بالأمر الهين ، بل هو عمل خطير يحتاج إلى عناية كبرى وثبت تام ، لذلك ما كانت
 اللجنة القائمة بجمعه يعتمدون على ما في صدورهم منه ، وفيهم من يحفظه كله كما أنهم ما كانوا
 يكتفون بمجرد نظر إلى ما هو مكتوب في الرقاع ونحوها ، بل يأخذونه عن تلقاه سماعًا
 من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذلك أدعى للاطمئنان والاحتياط وأبعد للشك
 والارتياب .

فقد أخرج ابن أبي داود من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال : قدم عمر
 فقال من تلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا من القرآن فليأت به وكانوا يكتبون
 ذلك في الصحف والألواح والعصب ، وكان زيد لا يقبل من أحد شيئًا حتى يشهد
 شهيدين .

وأخرج ابن أبي داود أيضًا من طريق هشام بن عروة عن أبيه : أن أبا بكر قال لعمر
 ولزيد اقعدا على باب المسجد ، فمن جاءكم بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه .

فهيأتان الروايتان تدلان صريحا أنهما ما كانوا يكتبون بمجرد وجدان شيء من كتاب الله مكتوبا حتى يشهد به من تلقاه سماعا زيادة في الاحتياط ، وهذه الطريقة محكمة جدا وحيث يطمئن إليها كل مسلم ، ولا ندع مجالا لظعن المتأقين .

قال ابن حجر : وكان المراد بالشاهدين شاهد الحفظ والكتابة ، قال السخاوي : المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) ، والمراد أنهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التي نزل بها القرآن .

يقول بعض المعاصرين لنا : إن رواية الجلوس على باب المسجد ، واستعراض ما لدى الناس من قرآن هي إلى الوهم أقرب منه إلى الحقيقة . فنقول : إن جمع القرآن بالأحرف السبعة واستقصاؤها لا يكون إلا باستعراض ما لدى الناس من قرآن لما عسى أن توجد عند بعضهم آية أو قراءة من الأحرف السبعة تلقاها من النبي صلى الله عليه وسلم لا توجد عند آخر ، ثم إن المسجد في ذلك العهد هو خير مكان يليق باستقبال الناس لمثل هذا الأمر الجليل ، فالحاضرة المدنية المستلزمة لتنظيم دواوين الحكومات لم تكن تعرف عند العرب وقتئذ بل كانوا في حالة من البداوة وبساطة العيش ، حتى إن نفس المسجد النبوي كان سقفه من الجريد وجدرانه من اللبن ، فإذا علم ما ذكر زال الاستغراب من هذه الرواية التي هي عين الحقيقة .

وأخرج ابن أشته في المصاحف عن الليث بن سعد قال : أول من جمع القرآن أبو بكر وكتبه زيد ، وكان الناس يأتون زيد بن ثابت فكان لا يكتب آية إلا بشاهدي عدل ، وإن آخر سورة براءة لم توجد إلا مع خزيمة بن ثابت ^(٢) ، فقال اكتبوها فإن رسول الله

(١) يؤيد هذا المعنى رواية ابن عساكر الآتية قريبا وهي أن عثمان حطب في الناس ... الخ .

(٢) ترجمة خزيمة بن ثابت ستأتي في الفصل الثالث في ضبط وتصحيح المصحف الكريم . لكن ورد في بعض الروايات « مع أبي خزيمة الأنصاري » فتأمل وقد تقدم الكلام عليه في جمع أبي بكر للقرآن .

صلى الله عليه وسلم جعل شهادته بشهادة رجلين^(١) فكتب ، وإن عمر أتى بآية الرجم فلم يكتبها لأنه كان وحده^(٢) .

وروى ابن عساكر أن عثمان خطب في الناس يومئذ وعزم على كل رجل عنده شيء من كتاب الله لما جاء به ، فكان الرجل يحيى بالورقة والأديم فيه القرآن حتى جمع من ذلك كثرة ، ثم دعاهم رجالا رجلا فناداهم : أسمعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أملاه عليك ؟ فيقول نعم ، فلما فرغ من ذلك عثمان قال من أكتب الناس ؟^(٣) قالوا كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت ، قال : فأبى الناس أعرب^(٤) ؟ قالوا سعيد بن العاص

(١) سبب جعل شهادة خزيمة بن ثابت بشهادة رجلين : « هو أن النبي صلى الله عليه وسلم اشترى فرسا من سواد بن الحارث فاستبغىه ليقتضيه ثمن الفرس ، فأسرع النبي صلى الله عليه وسلم المشى وأبطأ البائع المذكور فجعل رجال يعترضونه يسأومونه في الفرس حتى زادوه على ثمنه وهم لا يعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم اشتراه منه ، فأنكر الأعرابي بيعه للنبي صلى الله عليه وسلم فشهد له خزيمة بن ثابت ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بم تشهد ولم تكن حاضرا ؟ قال بتصديقك وإنك لا تقول إلا حقا ، فقال عليه الصلاة والسلام « من شهد له خزيمة أو عليه فحسبه » وفي رواية : « فجعل شهادته بشهادة رجلين » . هذه خلاصة القصة وهي مشهورة في كتب الأحاديث والسير ، قال الإمام السني في حاشيته على سنن النسائي : والمشهور أنه صلى الله عليه وسلم رد الفرس بعد ذلك على الأعرابي فات من ليلته عنده . رواه النسائي في أواخر كتاب البيوع .

(٢) آية الرجم هي « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموها البتة » وقد كانت مكتوبة فتمسخت تلاوتها وبقي حكمها معمولا بها . عن ابن عباس حدثني عبد الرحمن بن عوف أن عمر بن الخطاب خطب الناس فسمعه يقول « ألا وإن ناسا يقولون : ما الرجم في كتاب الله وإنما فيه الجلد ، وقد رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده ، ولولا أن يقول قائل أو يتكلم متكلم إن عمر زاد في كتاب الله ما ليس منه لأثبتها كما نزلت » . رواه الإمام أحمد والنسائي . وقد ذكر الشوكاني في كتابه : نيل الأوطار ، في أوائل كتاب الحدود شيئا كثيرا عن آية الرجم وحكمه فراجع .

(٣) أي في معرفة قواعد الكتابة وحسن الخط ، وترجمة زيد تقدمت وكان يكتب السريانية أيضا ؛ فقد قال « أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتعل السريانية ، قال : إني لا آمن يهود علي كتابي » فامرى نصف شهر حتى تعلمت وحذقت فيه فكنت أكتب له صلى الله عليه وسلم وأقرأ له كتبهم ؛ وفي رواية تعلمتها في سبعة عشر يوما . وذكروا أنه تعلم العبرانية أيضا في خمسة عشر يوما .

ولا يخفى أن الإنسان يحتاج لبضعة أعوام لتعلم أي لغة قراءة وكتابة ، وكون زيد يتعلم السريانية في نصف شهر لاشك أن ذلك من معجزاته صلى الله عليه وسلم فإنه لما احتاج إلي من يكتب له السريانية وأمر زيد بتعلمها طوي الله له مرحلة التعليم التي تحتاج لبضع سنين إلي نصف شهر .

(٤) أي أفصح وقد تقدم في ترجمة سعيد بن العاص أنه من جمع السخاء والفصاحة .

قال فليمل سعيد وليكتب زيد اه . وفي الرواية السابقة أن عثمان أحضر معهما عبد الله ابن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وقد تقدمت ترجمتهم .

فرواية ابن عساكر هذه تقتضي أن عثمان استأنف في جمعه أخذ القرآن من الناس وبعد أن استوثق بصحة ما أتوه به من الآيات القرآنية أمر زيداً ومن معه بكتابه ونسخه ، ورواية البخاري المتقدمة في الفصل الأول تدل على أن عثمان إنما نسخ مصحفه عن صحف أبي بكر التي أخذها من حفصة ، وقد علمت أن جمعه وجمع أبي بكر متفقان ، غير أن جمع عثمان كان بحرف واحد وهو لغة قريش وجمع أبي بكر كان بجميع الأحرف السبعة .

فعلى رواية ابن عساكر يمكن أن نقول: إن عثمان فعل ذلك للوقوف على ما عند الناس من القراءات ، أو لأنه عزم في نفسه على إحراق ما كتبه الناس من القرآن إذا تم نسخ مصحفه لأنه فعل لشكه في صحة جمع أبي بكر ، وهو الذي اعتمد في نسخ مصحفه على صحف أبي بكر .

ففي هذه الروايات كلها دلالة واضحة على شدة احتياطهم في جمع القرآن الكريم وثبتهم في كتابته ، لذلك أجمعت الصحابة كلهم على هذا العمل المبرور ، وتلقوه بالقبول التام^(١) ، وكان عددهم حينئذ اثني عشر ألفاً تقريباً^(٢) رضي الله عنهم أجمعين .

(١) ذكروا أن ابن مسعود رضي الله عنه لما حضر مصحف عثمان إلى الكوفة لم يوافق علي الرجوع عن قراءته ولا علي إعدام مصحفه من غير أن ينكر علي عثمان عمله وقال: فأترك ما أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة... الخ ، وابن مسعود هذا هو أحد الأربعة المذكورين في حديث « خذوا القرآن من أربعة : من عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبي بن كعب » كما في صحيح البخاري وترجمة ابن مسعود ستأتي في الفصل الخامس في نزول القرآن على سبعة أحرف .

(٢) الظاهر أنهم كانوا يحصون المسلمين . فقد أخرج البخاري في كتاب الوصايا في باب كتابة الإمام الناس عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « اكتبوا لي من تلقظ بالإسلام من الناس فكتبنا له ألفاً وخمسة رجل... الخ » .

الفصل الثالث

في ضبط وتصحيح المصحف الكريم

قد يتوهم بعض قاصري العقول أن القرآن ربما سقط منه شيء حين نسخهم وجمعهم له أو حصل فيه تغيير أو تحريف كما زعم ذلك بعض المستشرقين من الإفرنج ، وكما زعمت الشيعة أن الصحابة حرفوا القرآن وأسقطوا كثيرا من آياته وسوره وكتبوا ما نزل في إمامه علي رضي الله عنه واستخلافه^(١) .

فنقول : إن الله تعالى قد تكفل بحفظ القرآن الكريم وضمن صيانه من عبث العابثين بصريح قوله : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) وقوله : (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ . لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) وأي دليل أعظم على ذلك من مرور أربعة عشر قرناً والقرآن هو هو ما مسته أيدي الخلائق بالتحريف ولا بالتزوير ؟ وهكذا يكون محفوظاً إلى أن يرفعه الله من الصدور والمصاحف فلا تبقى في الأرض منه آية ويكون هذا في آخر الزمان قبل يوم القيامة كما جاء في كثير من الأخبار^(٢) .

فالصحابة رضوان الله تعالى عليهم ما كانوا ليتهاونوا في أمر المصحف ، وهم الذين أيد الله بهم الإسلام ، فقد ورد عن زيد بن ثابت أنه قال : « كنت أكتب الوحي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يملئ علي ، فإذا فرغت قال : اقرأه فأقرؤه ، فإن كان فيه سقط أقامه » .

وفي بعض الروايات عن زيد بن ثابت أيضاً المتخصص في كتابة القرآن أنه قال : فلما

(١) راجع تفسير الألوسي في مقدمة الجزء الأول فإنه روي كثيرا من أقوال الشيعة ، قاتلهم الله تعالى ، وراجع أيضاً تفسير القرطبي فإنه ذكر شيئا مما طعن بعضهم في القرآن بالزيادة والنقصان والرد علي قائل ذلك .
(٢) قال القرطبي : إن رفع القرآن علي هذه الكيفية الواردة في الأحاديث إنما يكون بعد موت عيسى عليه السلام وهدم الحبشة للكعبة اه .

فَرِغْتُ (أى من نسخ مصحف عثمان) عرضته عرضة فلم أجد فيه هذه الآية (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا^(١)) قال فاستعرضت المهاجرين أسألهم عنها فلم أجد لها عند أحد منهم، ثم استعرضت الأنصار أسألهم عنها فلم أجد لها عند أحد منهم حتى وجدت بها عند خزيمه (يعنى ابن ثابت^(٢)) فكتبتها ثم عرضته عرضة أخرى، فلم أجد فيه هاتين الآيتين (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ) إلى آخر السورة. فاستعرضت المهاجرين فلم أجد لها عند أحد منهم ثم استعرضت الأنصار أسألهم عنها فلم أجد لها عند أحد منهم حتى وجدت بها مع رجل آخر يدعى خزيمه أيضا^(٣) فأثبتها في آخر براءة ولو تمت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة ثم عرضته عرضة أخرى فلم أجد فيه شيئا، ثم أرسل عثمان إلى حفصة يسألها أن تعطيه الصحيفة وحلف لها ليردنها إليها فأعطته، فعرض المصحف عليها فلم يختلف في شيء^(٤) فردّها إليها وطابت نفسه وأمر الناس أن يكتبوا مصاحف^(٥).

(١) فى سورة الأحزاب .

(٢) وترجمة خزيمه كما تلخصها من الإصابة هى : خزيمه بن ثابت بن الفاكه الأنصاري الأوسى من السابقين الأولين ، شهد بدر وما بعدها ، وقيل أول مشاهدته أحد وكان يكسر أصنام بني خطمة (يفتح وسكون المهملة) وكانت راية خطمة بيده يوم الفتح وفيه قال النبي صلى الله عليه وسلم « من شهد له خزيمه أو عليه فحسبه » وجعل شهادته بشهادة رجلين ؛ وقد تقدم سبب ذلك . قتل خزيمه يوم صفين فإنه قال : أنا لا أقتل أبدا حتى يقتل عمار ، فلما قتل عمار جرد سيفه فقاتل حتى قتل اه . وكانت وقعة صفين سنة سبع وثلاثين .

(٣) جاء فى بعض الروايات أن آخر سورة التوبة (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) الخ وجد مع خزيمه الأنصاري ؛ وجاء فى بعضها أنه وجد مع أبي خزيمه الأنصاري وقد تقدم الكلام على هذا فى جمع أبي بكر للقرآن فى الفصل الأول .

(٤) أى لم يختلف مصحفه مع مصحف أبي بكر فى الحرف الذى أخذه منه ، وهو حرف قریش ؛ هذا هو المقصود من كلامه لا أن مصحفه مطابق لمصحف أبي بكر كلمة كلمة ؛ فإن مصحف أبي بكر مكتوب بجميع الأحرف السبعة كما سبق بيانه ، ومصحف عثمان كتب على حرف واحد منها .

(٥) هذه الرواية تدل على أن عثمان طلب مصحف أبي بكر من حفصة بعد أن تم نسخ مصحفه ليستعرضه عليها ، والرواية التى سبقت عند جمع عثمان المصحف تدل على أنه طلب المصحف منها عند الشروع فى جمع مصحفه لينسخه منها فتأمل .

فأنت ترى في كلام زيد بن ثابت أنه بعد فراغه من كتابة المصحف راجعه ثلاث مرات ثم راجعه أمير المؤمنين عثمان بنفسه ، فلما اطمأن قلبه حمل الناس على أن يكتبوا المصاحف على خط هذا المصحف الإمام ، فهل بعد هذه المراجعات الأربعة وإجماع الصحابة كلهم على قبوله يتطرق الشك إلى قلب أحد من المسلمين في كلام رب العالمين القائل : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) .

بل إن الصحابة كانوا يختاطون في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم فكيف بالقرآن الكريم ؟ فقد روى الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ قال : روى ابن شهاب عن قبيصة ابن ذؤيب «أن الجدة جاءت إلى أبي بكر تلتمس أن تورث فقال لها : ما أجد لك في كتاب الله شيئاً ، وما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لك شيئاً ، ثم سأل الناس فقام المغيرة فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيها السدس ، فقال هل معك أحد ؟ وشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه لها » وروى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري قال : كنت جالساً في مجلس من مجالس الأنصار ، فجاء أبو موسى فزعا فقالوا ما أفرعك ؟ قال أمرني عمر أن آتيه فأتيته فاستأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت ، فقال ما منعك أن تأتيه فقلت : إني أتيت فسلمت على بابك ثلاثاً فلم تردوا علي ، فرجعت وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع» قال عمر : لتأتيني على هذا بالبيئة ، فقالوا لا يقوم إلا أصغر القوم ، فقام أبو سعيد معه فشهد له ، فقال عمر لأبي موسى إني لم أتهمك ولكنه الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر أن عمر قال لأبي موسى وقد روى له حديثاً لتأتيني على ما تقول بيينة ، فخرج فإذا أناس من الأنصار فذكر لهم ما قال عمر ، فقالوا سمعنا هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر : أما إني لم أتهمك ولكنني أحببت أن أثبت .

فانظر رعاك الله إلى كبار الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين كيف كانوا يتحققون

ويثبتون عن حديث يرويه أحدهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع أن الصحابة كلهم عدول أهل صدق وأمانة ووفاء . لا يتجرأ أحدهم أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا في حياته ولا بعد مماته ، فإذا كان هذا حالهم في إثبات الأحاديث النبوية ، فكيف إذن لا يتحققون ويثبتون عن كلام رب العالمين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

هذا ، ولو جَوَزْنَا في نسخ القرآن وكتابته وجمعه السهو والنسيان على الصحابة الذين قاموا بجمعه أو قلنا بعدم معرفتهم لأصول الكتابة وقواعد الإملاء ، لأدَّى ذلك فيه إلى التغير والتبديل والنقص والزيادة ، وهذا محال حيث تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظه كما في صريح القرآن الكريم (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) وفي آية (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) .

فالقرآن سليم من اللحن والغلط ليس فيه حرف زايد ولا حرف ناقص ، ولا تبديل في كلمة ولا تحريف في أخرى ، وكيف لا يكون كذلك ، والذين جمعوه هم كبار الصحابة وأشرف العرب الذين عنهم أخذت الفصاحة وفيهم ظهر البيان وقد تلقَّوه غصًّا طريًّا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما ما ورد أن عثمان رضي الله عنه قال : « إن في القرآن لحناً ستقيمه العرب بالسُّتْمَا » فغير صحيح ولا يعقل أن عثمان يقول ذلك لا قبل جمعه القرآن ولا بعده ، نعم إنه قال قبل جمعه لما بلغه اختلاف الناس في القرآن حتى اقتتل الغلمان والمعلمون « عندي تكذبون به وتلحنون فيه ، فمن نأى عني من الأمصار كان أشد تكذيباً وأكثراً لحناً يا أصحاب محمد اجتمعوا فاكْتُبُوا للناس إماماً » ولا يخفى الفرق بين القولين .

وقد رد القول الأول العلامة الألوسي في أول تفسيره روح المعاني بقوله ، فالحق أن ذلك لا يصح عن عثمان ، والخبر ضعيف مضطرب منقطع إذ كيف يظن بالصحابة أولاً اللحن في الكلام فضلا عن القرآن وهم هم - ثم كيف يظن بهم ثانياً اجتماعهم على الخطأ وكتابته ، ثم كيف يظن بهم ثالثاً عدم التنبيه والرجوع ، ثم كيف يظن بعثمان عدم تغييره ، وكيف يتركه لتقييمه العرب ؟ وإذا كان الذين تولوا جمعه لم يقيموه وهم الخيار فكيف يقيمونه غيرهم ، فلمعمرى إن هذا مما يستحيل عقلا وشرعا وعادة اه منه .

ومن المشاهد أنه لو أمر أحد الملوك أو الأمراء بنسخ مصحف أو كتاب لا يقدمه الكاتب إليه إلا بعد العناية بتصحيحه والتثبت من عدم وجود أى غلط فيه ، فكيف بهؤلاء الصحابة الذين بذلوا أنفسهم لله لا يتحرون في كتابة وضبط المصحف الكريم الذى هو أساس الدين الإسلامى الخفيف ؟ .

هذا ، ولقد وصلت عدة مصاحف من جمع عثمان إلى البلدان الإسلامية ، فوجدوا فيها خطأ أو غلطاً لما سكت أحد من المسلمين عليه ، ولكنهم أجمعوا على صحتها وقبولها وقد قال عليه الصلاة والسلام : « إن أمتى لن تجتمع على ضلالة فإذا رأيتم اختلافاً فعليكم بالسواد الأعظم » رواه ابن ماجه عن أنس بن مالك وهو حديث صحيح .

وقال أيضا في حديث العرابض بن سارية « إنه من يعيش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ » رواه أبو داود والترمذى ، ولهذا كان إجماعهم حجة .

على أنك لن تجد من المسلمين عناية بشيء كعنايتهم بكتاب الله تعالى الذى لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، سواء فى نسخه أو تصحيحه أو حفظه أو حرمة ، وهذا لا يحتاج إلى دليل .

وانظر كم من المصاحف التى لا تعد ولا تحصى قد كتبت منذ بدء الإسلام إلى يومنا هذا

« أي أربعة عشر قرناً » فهل رأيت فيه تبديلاً أو تغييراً مع كثرة أعداء الدين من مختلف الأجناس والعقول .

ثم وقفنا على كلام الإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني مؤلف كتاب « المنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار » مع كتاب النقط حيث ردّ على من نسب لعثمان ابن عفان رضي الله عنه بأن في القرآن لحناً تقيمه العرب بألسنتها ، فرأينا إثباته هنا لما لكلامه من القيمة العلمية ، فقد قال رحمه الله في كتابه عند ذكر سبب اختلاف مرسوم المصاحف ما نصه :

(فإن قال قائل) : فما تقول في الخبر الذي رويتموه عن يحيى بن يعمر وعكرمة مولى ابن عباس عن عثمان رضي الله عنه أن المصاحف لما نسخت عرضت عليه فوجد فيها حروفاً من اللحن فقال : اتركوها فإن العرب ستقيمها أو ستعربها بلسانها إذ ظاهره يدل على خطأ في الرسم (قلت) هذا الخبر عندنا لا يقوم بمثله حجة ولا يصح به دليل من جهتين : أحدهما أنه مع تخليط في إسناده واضطراب في ألفاظه مرسل ، لأن ابن يعمر وعكرمة لم يسمعا من عثمان شيئاً ولا رأياه ، وأيضاً فإن ظاهر ألفاظه ينفي وروده عن عثمان رضي الله عنه لما فيه من الطعن عليه مع محله من الدين ومكانه من الإسلام وشدة اجتهاده في بذل النصيحة واهتباله بما فيه الصلاح للأمة ، فغير متمكن أن يقول لهم وقد جمع المصحف مع سائر الصحابة الأخيار الأتقياء الأبرار نظراً لهم ليرتفع الاختلاف في القرآن بينهم ثم يترك لهم فيه مع ذلك لحناً وخطأ يتولى تغييره من يأتي بعده ممن لا شك أنه لا يدرك مداه ولا يبلغ غايته ولا غاية من شاهده ، هذا ما لا يجوز لقائل أن يقوله ولا يحل لأحد أن يعتقد (فإن قال) فما وجه ذلك عندك لو صحّ عن عثمان رضي الله عنه (قلت) وجهه أن يكون عثمان رضي الله عنه أراد باللحن المذكور فيه التلاوة دون الرسم إذ كان كثير منه لو تلى على حال رسمه لا قلب بذلك معنى التلاوة وتغيرت ألفاظها ، ألا ترى قوله « أو لأذبحنه » و « لأوضعوا »

و « من نبأ المرسلين » و « سأوريكم » و « الربوا » وشبهه مما زيدت الألف والياء والواو في رسمه لو تلاه تالٍ لا معرفة له بحقيقة الرسم على حال صورته في الخط لصير الإيجاب نفيًا ، ولزاد في اللفظ ما ليس فيه ولا من أصله ، فأتى من اللحن بما لا خفاء به على من سمعه مع كون رسم ذلك كذلك جائزا مستعملا؛ فأعلم عثمان رضى الله عنه إذ وقف على ذلك أن من فاته تمييز ذلك وعزبت معرفته عنه ممن يأتى بعده سيأخذ ذلك عن العرب إذ هم الذين نزل القرآن بلغتهم فيعرفونه بحقيقة تلاوته ويدلون على صواب رسمه ، فهذا وجهه عندي والله أعلم .

انتهى من كتاب المنع للإمام الداني رحمه الله تعالى - المتوفى عام ٤٤٤ من الهجرة .
وهنا نسوق للقارئ الكريم بعض كلام علماء الإفرنج عن دقة جمع القرآن العظيم ، فقد جاء في كتاب « حياة محمد » للأستاذ الكبير محمد حسين هيكل مانصه : يقول سير ولیم مویر^(١) عند كلامه عن القرآن ودقة وصوله إلينا ما ترجمته « كان الوحي المقدس أساس أركان الإسلام ، فكانت تلاوة ما تيسر منه جزءاً جوهرياً من الصلوات اليومية عامة أو خاصة ، وكان القيام بهذه التلاوة فرضاً وسنة يجزى من يؤديهما جزءاً دينياً صالحاً . ذلك كان جماع الرأي في السنة الأولى وهو ما يستفاد كذلك من الوحي نفسه ، لذلك وعت القرآن ذاكرة كثرة المسلمين الأولين إن لم يكونوا جميعاً ، وكان مبلغ ما يستطيع أحدهم تلاوته بعض المميزات الجوهرية في العهد الأول للإمبراطورية الإسلامية ، وقد سرت عادات العرب هذا العمل فقد كانوا ذوى ولع بالشعر عظيم ، ولما كانت الوسائل لتحرير ما يفيض عن شعرائهم في غير متناول اليد ، فقد اعتادوا أن ينقشوا هذه القصائد كما كانوا

(١) السير ولیم مویر ألف كتاباً اسمه أيضاً « حياة محمد » وقد جزم بدقة القرآن بدون أي تحريف فيه ، وتبعه في هذا الرأي الصائب كثير من المستشرقين منهم « الأب لامنس » و « فون هامر » و « ر.ف. بودلي » الذي ننقل في هذا المقام بعض كلامه أيضاً .

ينقشون ما يتعلق بأنسابهم وقبائلهم على صفحات قلوبهم ، بذلك نمت ملكة الذاكرة غاية النمو ، ثم تناول القرآن بكل ما أدت إليه يقظة الروح إذ ذاك من حرص وإقبال ، ولقد بلغ بعض أصحاب النبي من قوة الذاكرة ودقتها ، ومن التعلق بحفظ القرآن واستذكاره حدًا استطاعوا معه أن يعيدوا بدقة يقينية كل ما عُرف منه إلى يوم كانوا يتلونه « اه .

ولقد ألّف أيضا المستشرق الأمريكي ر . ف بودلي كتابا قيا اسمه « الرسول : حياة محمد » تكلم فيه عن حياة سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم منذ ولادته إلى وفاته تكلم عنه بإنصاف وإعجاب ؛ ولقد سمعنا أن هذا المستشرق أسلم أخيرا ، والذي ترجم كتابه المذكور إلى العربية الأستاذان الفاضلان محمد محمد فرج وعبد الحميد جودة السحار ، وهذا الكتاب طبع للمرة الثانية وهو دليل على القبول والرواج .

ولنذكر نبذة صغيرة عما يقوله المستشرق المذكور في كتابه عن القرآن الكريم فإنه قال : فبين أيدينا كتاب معاصر فريد في أصالته ، وفي سلامته لم يشك في صحته كما أنزل أي شك جدّي ، وهذا الكتاب هو القرآن وهو اليوم كما كان يوم كتب لأول مرة تحت إشراف محمد ، وعلى الرغم من أن الأفكار قد دوّنت في الرقاع وسعف النخل والعظام في لحظات غريبة ، فالسور والآيات الأصلية قد حفظت .

ثم يقول وهذا الكتاب ليس مجموعة أحاديث ، أو تقارير يفترض فيها أن محمداً قد قالها فهي نفس الآيات التي أملاها بنفسه يوما بعد يوم ، وشهرا بعد شهر خلال حياته .

ثم يقول : وإن الحسنة الوحيدة في طريقة زيد أنها كانت آمنة فوق الشبهات ، لم يفعل شيئا ليضيف اقترافا ، أو يضع حمل ربط ، أو يحذف أو ينسخ تفاصيل تشين الإسلام ؛ لقد عمل بإخلاص لا يمكن تصوره ، حتى إنه لما انتهى من نشر القرآن ، كان الكتاب من عمل مؤلفه خالصا ومؤلفه فقط^(١) .

(١) يقصد بذلك أنه من عند الله فقط دون أن يحصل فيه تحريف أو تغيير مطلقا .

ثم يقول : والمهم هو أن القرآن هو العمل الوحيد الذي عاش أكثر من اثني عشر قرناً دون أن يبدل فيه ، ولا يوجد شيء يمكن أن يقارن بهذا أدنى مقارنة ، لا في الديانة اليهودية ولا في الديانة المسيحية .

انتهى ما قلناه باختصار ، فانظر إلى كلام المنصفين من الإفرنج .

(ولنختم) هذا الفصل بما رواه البيهقي عن يحيى بن أكرم قال : دخل يهودى على المأمون فأحسن الكلام فدعاه إلى الإسلام فأبى ، ثم بعد سنة جاء مسلماً فتكلم في الفقه فأحسن الكلام فسأله المأمون ما سبب إسلامه ؟ قال : انصرفت من عندك فامتحننت هذه الأديان فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها وقصت وأدخلتها البيعة^(١) فاشتريت منى ، وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها وقصت ، وأدخلتها البيعة فاشتريت منى ، وعمدت إلى القرآن فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها وقصت وأدخلتها إلى الوراقين^(٢) فتصفحوها فوجدوا فيها الزيادة والنقصان فرموا بها فلم يشتروها ، فعلمت أن هذا الكتاب محفوظ ، فكان هذا سبب إسلامي ، ذكره الزرقاني على المواهب في الجزء الخامس .

حفظه القرآن

في عهد النبي صلى الله عليه وسلم

حفظ كثير من الصحابة القرآن كله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فمن حفظه من المهاجرين أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، وسعد ، وابن مسعود ، وحذيفة^(٣)

(١) قال في المشجد : البيعة بكسر الباء : المعبد لتصاري واليهود .

(٢) هم الذين يبيعون الكتب والورق .

(٣) تقدمت ترجمته عند جمع عثمان القرآن في صحيفة ٤٧ .

وسالم مولى أبي حذيفة^(١) وأبو هريرة وابن عمر ، وابن عباس ، وعمر بن العاص ، وابنه عبد الله ، ومعاوية ، وابن الزبير ، وعبد الله بن السائب ، وعائشة ، وحفصة ، وأم سلمة^(٢) وأم ورقة^(٣) .

ومن حفظه من الأنصار زيد بن ثابت ، ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب ، وأبو الدرداء ، ومجمع بن حارثة ، وأنس بن مالك ، وأبو زيد الأنصارى أحد عمومة أنس ابن مالك^(٤) رضى الله تعالى عنهم أجمعين .

(وما يناسب المقام) ما يروى أن خزرجا كانت تفاخر أوساً بأربعة ممن حفظوا القرآن كله على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأن أوساً كانت تفاخر خزرجا بأربعة ممن لهم مناقب أخرى وإلى مفاخرتهما أشار صاحب نظم عمود النسب رحمه الله تعالى بقوله :

فَاخَرَتِ الْخَزْرَجُ أَوْسًا بِنَقَرٍ مَعَ النَّبِيِّ حَفِظُوا كُلَّ السُّورِ
زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ مَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ثُمَّ أَبِيٌّ وَأَبُو زَيْدٍ الْبَطْلُ
وَالْأَوْسُ خَزْرَجًا بِذِي الشَّهَادَةِ كَانَتْ شَهَادَتَيْنِ فِي الْإِفَادَةِ

(١) هو سالم مولى أبي حذيفة بن عتبة أحد السابقين الأولين ؛ « روي أن عائشة احتسبت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما حبسك ؟ قالت سمعت قارئاً يقرأ فذكرت من حسن قراءته ؛ فأخذ رداءه وخرج فإذا هو سالم مولى أبي حذيفة ؛ فقال الحمد لله الذي جعل في أمي مثلك » وروي البخاري من حديث ابن عمر : « كان سالم مولى أبي حذيفة يؤم المهاجرين الأولين في مسجد قباء وفيهم أبو بكر وعمر » اهـ ملخصاً من الإصابة .
(٢) عائشة وحفصة وأم سلمة هن من أمهات المؤمنين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وأم سلمة اسمها هند علي الأصح وهى آخر أمهات المؤمنين موتاً ودفنت بالبقيع بالمدينة ؛ رضى الله عن أمهات المؤمنين أجمعين .
(٣) أم ورقة : هى بنت عبد الله بن الحارث كانت قد جمعت القرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ويسمىها الشهيذة ؛ وقد كان أمرها أن تؤم أهل دارها وكان لها مؤذن فقمها غلام لها وجارية كانت قد دبرتهما فقتلها فى إمارة عمر ؛ فقال عمر : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « انطلقوا بنا نزور الشهيذة » اهـ ملخصاً من الإصابة .

(٤) قال فى الإصابة فى تمييز الصحابة : أبو زيد الذي جمع القرآن وقع فى حديث أنس فى صحيح البخاري غير مسمى ؛ وقال أنس هو أحد عمومتى . واختلفوا فى اسمه ؛ فقيل أوس ، وقيل ثابت بن زيد ، وقيل معاذ وقيل سعد بن هبيد ، وقيل قيس بن السكن وهذا هو الراجح كما بينته فى حرف القاف اهـ منه .

والمراد بذى الشهادتين خزيمة بن ثابت .

وبما أن المقصود ذكر حفاظ القرآن لم نأت ببقية المفاخرة . وإذا تأملت حالة العرب أول ظهور الإسلام وعدم انتشار الكتابة بينهم ، علمت أن عدد الذين ذكرناهم ممن يحفظ القرآن كله ليس بقليل ، ولا شك أن جميع الصحابة رضی الله عنهم يحفظون منه بعض السور والآيات ، كل منهم بحسب فراغه واستعداده وذلك لصلواتهم وعباداتهم .

الفصل الرابع

في ترتيب آيات القرآن وسوره

جاء في كتاب الإتيان للسيوطي أن الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك (أما الإجماع) فنقله غير واحد منهم الزركشي في البرهان ، وأبو جعفر ابن الزبير في مناسباته ، وعبارته : ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه صلى الله عليه وسلم وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين (ومنها النصوص) فمنها حديث زيد السابق « كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع » ومنها ما أخرجه أحمد بإسناد حسن عن عثمان بن أبي العاص قال : « كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ شَخَّصَ ^(١) ببصره ثم صَوَّبَهُ ثم قال : أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى) إلى آخرها . ومنها ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس قال : قلت لعثمان ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين فقرتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطوال؟ ^(٢) فقال عثمان :

(١) قال في المصباح : شَخَّصَ بصره من باب خضع : إذا فتح عليه وجعل لا يطرף اه منه .

(٢) قال في الإتيان : السبع الطوال بكسر الطاء وضمها ؛ أوها البقرة وآخرها براءة ؛ هذا يجعل الأنفال وبراءة سورة واحدة . وقيل السابعة يونس ، وقيل الكهف ؛ والمثنون ما وليها ؛ سميت بذلك لأن كل سورة =

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزل عليه السورة ذات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة ، وكانت براءة من آخر القرآن نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها ، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها ، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطوال .

وأخرج القشيري : الصحيح أن التسمية لم تكن فيها (أى في براءة) لأن جبريل عليه السلام لم ينزل فيها .

وقال البغوي في شرح السنة : الصحابة رضى الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله على رسوله من غير أن زادوا أو نقصوا منه شيئا خوف ذهاب بعضه بذهاب حفظته فكتبوه كما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أن قدموا شيئا أو أخرخوا أو وضعوا له ترتيبا لم يأخذه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

== منها تزيد على مائة آية أوتقارها ؛ والثاني ما ولي المئين لأنها ثنتان أي كانت بعدها فهي لها ثوان والمئين لها أوائل ؛ وقال الفراء هي السورة التي آتيا أقل من مائة آية ، وقد تطلق على الفاتحة وعلى القرآن كله أيضا ؛ والمفصل ما ولي المثنان من قصار السور ، سمي بذلك لكثرة الفصول التي بين السور بالبسطة ، ويسمى المفصل بالحكم أيضا وآخره سورة الناس بلا نزاع . واختلف في أوله على اثني عشر قولاً : أحدها ق والثاني الحجرات وصححه النووي... الخ انظر الإثنان . وللمفصل طول وأواسط وقصار ؛ قيل : طوالة إلى عم وأواسطه منها إلى والضحي ومنها إلى آخر القرآن قصاره . وقد ذكر صاحب الإثنان جملة أقوال فراجع .

وجاء في كتاب الفقه على المذاهب الأربعة في الجزء الأول من قسم العبادات ما ملخصه (الشافعية) قالوا إن طول المفصل من الحجرات إلى سورة عم يقساؤون وأواسطه من سورة عم إلى سورة والضحي ؛ وقصاره منها إلى آخر القرآن (والحنفية) قالوا إن طول المفصل من الحجرات إلى سورة البروج وأواسطه من سورة البروج إلى سورة لم يكن وقصاره من سورة لم يكن إلى سورة الناس (والمالكية) قالوا إن طول المفصل من سورة الحجرات إلى آخر والنازعات وأواسطه من بعد ذلك إلى والضحي وقصاره منها إلى آخر القرآن (والحنابلة) قالوا إن طول المفصل من سورة ق إلى عم وأواسطه إلى سورة والضحي وقصاره إلى آخر القرآن . انتهى من كتاب الفقه المذكور .

يلقن أصحابه ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذى هو عليه الآن فى مصاحفنا بتوقيف جبريل إياه على ذلك وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تكتب عقب آية كذا فى سورة كذا ، فثبت أن سعى الصحابة كان فى جمعه فى موضع واحد لا فى ترتيبه فإن القرآن مكتوب فى اللوح المحفوظ على هذا الترتيب الذى أنزله الله جملة إلى السماء الدنيا ، ثم كان ينزله مفردا عند الحاجة ، وترتيب النزول غير ترتيب التلاوة اه من الإتيان .

(وأما ترتيب السور) فى كونه اجتهاديا أو توقيفيا خلاف والجمهور على الأول . قال أبو بكر الأنبارى : أنزل الله تعالى القرآن كله إلى سماء الدنيا ، ثم فرقه فى بضع وعشرين فكانت السورة تنزل لأمر يحدث ، والآية جوابا لمستخبر فيوقف جبريل النبي صلى الله عليه وسلم على موضع الآية والسورة ، فمن قدم أو أخر فقد أفسد نظم القرآن . وقال أيضا اتساق السور كاتساق الآيات والحروف كله عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن . وفى إيقاظ الأعلام ، قال أبو جعفر النحاس : واختار كون ترتيب السور توقيفيا كالآيات ، وقال الزركشى والخلاف بين الفريقين فى ترتيب السور لفظى ، لأن القائل بعدم صدوره من النبي صلى الله عليه وسلم يقول إنه رمز لهم بذلك ، والثانى يقول إنه صرح لهم به ، ولذلك قال مالك إنما ألقوا القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم اه .

وذكر الإمام النووى فى شرحه على صحيح مسلم فى باب صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ودعائه فى الليل عند حديث حذيفة قال : « صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة ، ثم مضى فقلت يصلى بها فى ركعة ، فمضى فقلت يركع بها ، ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلا... » الخ الحديث مانصه : قال القاضى عياض : فيه دليل لمن يقول : إن ترتيب السور اجتهد من المسلمين حين كتبوا المصحف وإنه لم يكن ذلك من ترتيب النبي صلى الله عليه وسلم بل وكله إلى أمته بعده قال :

وهذا قول مالك وجهه العلماء ، واختاره القاضي أبو بكر الباقلاني ، قال ابن الباقلاني هو أصح القولين مع احتمالها قال والذي نقوله إن ترتيب السور ليس بواجب في الكتابة ، ولا في الصلاة ولا في الدرس ولا في التلقين والتعليم ، وإنه لم يكن من النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك نص ولا حد تحرم مخالفته ، ولذلك اختلف ترتيب المصاحف قبل مصحف عثمان ، قال واستجاز النبي صلى الله عليه وسلم والأمة بعده في جميع الأعصار ترك ترتيب السور في الصلاة والدرس والتلقين ، قال: وأما على قول من يقول من أهل العلم إن ذلك بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم حدده لهم كما استقر في مصحف عثمان وإنما اختلف المصاحف قبل أن يبلغهم التوقيف والعرض الأخير فيتأول قراءته صلى الله عليه وسلم النساء أولاً ثم آل عمران هنا على أنه كان قبل التوقيف والترتيب ، وكانت هاتان السورتان هكذا في مصحف أبي ، قال ولا خلاف أنه يجوز للمصلي أن يقرأ في الركعة الثانية سورة قبل التي قرأها في الأولى ، وإنما يكره ذلك في ركعة ولمن يتلو في غير صلاة ، قال وقد أباحه بعضهم وتأول نهى السلف عن قراءة القرآن منكوساً على من يقرأ من آخر السورة إلى أولها ، قال ولا خلاف أن ترتيب آيات كل سورة بتوقيف من الله تعالى على ما هي عليه الآن في المصحف ، وهكذا نقلته الأمة عن نبيها صلى الله عليه وسلم هذا آخر كلام القاضي عياض والله تعالى أعلم انتهى ما ذكره النووي . قال السيوطي في الإتقان والذي ينشرح له الصدر ما ذهب إليه البيهقي وهو أن جميع السور ترتيبها توقيفي إلا براءة والأنفال ، ولا ينبغي أن يستدل بقراءته صلى الله عليه وسلم سوراً ولا على أن ترتيبها كذلك ، وحينئذ فلا يرد حديث قراءته النساء قبل آل عمران لأن ترتيب السور في القراءة ليس بواجب ، ولعله فعل ذلك لبيان الجواز اه .

وقال الكرماني : ترتيب السور هكذا هو عند الله تعالى في اللوح المحفوظ وعليه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه وعرض

عليه في السنة التي توفي فيها مرتين ، وقال ابن الحصار ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ضعوا آية كذا في موضع كذا وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف اه . وقال البيهقي في المدخل كان القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم مرتباً سورة وآياته على هذا الترتيب إلا الأنفال وبراءة الحديث عثمان السابق اه . وقد ذكر السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه الإتيان روايات عديدة فراجع إن شئت وإلى ما سبق أشار الشيخ محمد العاقب الشنقيطي رحمه الله في نظمه كشف العمى بقوله :

قد أنزل القرآن دون ثنياً^(١) ليلته إلى سماء الدنيا
ثم على قلب النبي هجاً به الأمين أنجماً منجماً
وليس ترتيب النزول كالأدا وفي الأدا الترتيب بالوحي اقتدى^(٢)
فهو كما هو عليه مستطر في لوحه المحفوظ نعم المستطر
وذلك في السور في القول الأحق والحق في الآي عليه متفق
ويحرم التنكيس فيه والخبر جاء بتنكيس قراءة السور^(٣)

(١) الثنيا بضم الثاء مع الياء ؛ والثنوي بالفتح مع الواو : اسم من الاستثناء ؛ قاله في المصباح : أي أنزل القرآن إلى السماء الدنيا جملة واحدة دون استثناء شيء منه .
(٢) أي ليس ترتيب النزول كترتيب التلاوة ، فإن أول ما نزل (اقرأ باسم ربك الذي خلق) وأول القرآن الفاتحة .

(٣) أي يحرم التنكيس في الآيات . مطلقاً خطأ وقراءة ؛ وأما في السور فيحرم تنكيسها في الخط عن حالتها في المصحف ؛ أما في قراءتها فقد ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم فعله اه من كتاب إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام للشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي رحمه الله تعالى .
قال في فتح الباري : وأما ما جاء عن السلف من النهي عن قراءة القرآن منكوساً فالمراد به أن يقرأ من آخر السورة إلى أولها اه

(وأما أسماء السور) فبتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم كما ثبت ذلك من الأحاديث والآثار ، فمن ذلك ما أخرجه أحمد بإسناد حسن عن عثمان بن أبي العاص قال : « كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ شخصَ ببصره ثم صَوَّبَهُ ثم قال : أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى) إلى آخرها» (ومنه) ما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة «إن البيت الذي تقرأ فيه البقرة لا يدخله شيطان» (ومنه) ما أخرجه مسلم أيضا عن أبي الدرداء مرفوعا «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال» وفي لفظ : «من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف» ومن تتبّع ما ورد في خصائص بعض السور ظهر له ذلك واضحا جليا فلا داعي لإطالة البحث .

فلمن جميع ما تقدم أن ترتيب آيات القرآن توقيفي باتفاق العلماء ، وكذلك تسمية السور بأسماء خاصة وأن ترتيب سورته مختلف فيه ، فقال بعضهم إنه توقيفي ، وقال بعضهم : إنه من اجتهاد الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

هذا ولقد أنعمنا النظر في ترتيب السور فلم يظهر لنا ترجيح أحد القولين على الآخر ، فكل منهما وجهة ولا يسعنا إلا أن نفوضه إلى علام الغيوب ، ولا بأس أن نذكر هنا ما يؤيد كلا القولين فنقول :

(الدليل على أنه توقيفي) أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم هم أشد الناس اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وأبعدهم عن الابتداع والعمل بالظن والهوى ، ومما لا شك فيه أنه حين جمعهم للقرآن الكريم تحروا فيه كل شيء ، فاقدموا سورة على أخرى إلا باستناد إلى أمره صلى الله عليه وسلم أو فعله أو تقريره ، ولا يخفى أن النبي صلى الله عليه وسلم عرض القرآن على جبريل مرتين^(١) في السنة التي توفي فيها ، ولا ريب أن القرآن حينئذ

(١) قال في فتح الباري شرح صحيح البخاري واختلف في العرصة الأخيرة ؛ هل كانت بجميع الأحرف المأذون في قراءتها أو بحرف واحد منها وعلى الثاني فهل هو الحرف الذي جمع عليه عثمان جميع الناس أو غيره ، =

كان قد أنزل كله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرضه على جبريل هذه المرة كان من أوله إلى آخره ، وبالضرورة يكون ترتيبه على ما هو في اللوح المحفوظ الموافق على ما هو عليه الآن بهذه الصفة إذ لا يعرضه صلى الله عليه وسلم العرض الأخير على جبريل إلا مرتب الآيات والسور ، وإن زيد بن ثابت كان حاضرا هذه العرضة الأخيرة وهو كاتب الوحي فعلى هذه العرضة كتب مصحف أبي بكر ومصحف عثمان .

ثم لا يعقل أن يضعوا سور القرآن كيفما اتفق لهم ، فلو كان ترتيبها باجتهادهم لرتبوها إما بحسب تاريخ نزولها أو مواقعها ، وإما بحسب طولها وقصرها ، وإما بحسب ترتيب مصحف أحد كبار الصحابة كعلي بن أبي طالب ، وابن عباس وابن مسعود وأبي بن كعب وكل ذلك لم يكن فما هناك سوى التوقيف .

(والدليل على أنه اجتهدى) ما جاء في صحيح مسلم عن حذيفة قال : « صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة ، ثم مضى فقلت يصلى بها في ركعة فمضى فقلت يركع بها ، ثم افتتح النساء فقرأها ، ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلا . . . الخ » الحديث ، فكونه صلى الله عليه وسلم قرأ النساء أولا ثم آل عمران فيه دليل على أن ترتيب سور المصحف من اجتهاد الصحابة كما تقدم ذلك من قول القاضي عياض وأن ترتيبها في الصلاة ليس بواجب .

وأیضا ما جاء في صحيح البخارى عن يوسف بن ماهك قال : « إني عند عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها إذ جاءها عراقي فقال : أى الكفن خير ؟ قالت : ويحك وما يضرك ؟ قال

== وقد روي أحمد وابن أبي داود والطبري من طريق عبيدة بن عمر السلماني أن الذي جمع عليه عثمان الناس ووافق العرضة الأخيرة هم من الفتح . وتتوخد من هذه العرضة جملة أمور ؛ منها : إكمال نزول القرآن ؛ ومنها ترتيب الآيات والسور ؛ ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قد حفظ ما أنزله عليه جبريل حفظا جيدا كلمة كلمة وبلغه إلى الناس كما أنزل عليه ، ومنها الإشارة إلى قرب أجله صلى الله عليه وسلم ؛ فقد روي البخاري أنه أسر إلى ابنته فاطمة أن جبريل يعارضني بالقرآن كل سنة وإفنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا خضر أجلي .

يا أم المؤمنين أريني مصحفك قالت : لم ؟ قال لعل أولف القرآن عليه فإنه يقرأ غير مؤلف
قالت : وما يضرك أية قرأت قبل إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل . . . الخ
الحديث ؛ ففي قول عائشة للعراق وما يضرك أية قرأت قبل دليل على أن ترتيب السور
في التلاوة ليس بواجب ، وهو كذلك في جميع المذاهب فإنه يجوز ترك ترتيبها في الصلاة
والتلاوة والدرس ، لأن كل سورة مستقلة بذاتها مستوفية لآياتها ، ويفهم من هذا الحديث
أن الناس كانوا يقرءون القرآن ويكتبونه من غير ترتيب لسوره حتى جمع عثمان مصحفه
وحمل الناس عليه .

فلو كان ترتيب المصحف توقيفيا لم يختلف ترتيب السور في مصاحف كبار الصحابة
كعلي بن أبي طالب وأبي بن كعب ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، ومعاذ
ابن جبل ، وعائشة أم المؤمنين وزيد بن ثابت ، فكل واحد من هؤلاء كتب مصحفه على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فمصحف علي كان أوله اقرأ ثم المدثر ثم ن وهكذا إلى آخر المكي والمدني ومصحف
ابن مسعود كان أوله البقرة ثم النساء ثم آل عمران على اختلاف شديد. وقد ذكر ابن النديم
في كتابه الفهرست^(١) ترتيب سور مصاحف بعض الصحابة كما ذكره أيضا السيوطي
في كتابه الإتقان فراجعهما إن شئت .

فلو كان هناك أمر صريح أو إشارة خفية من النبي صلى الله عليه وسلم في ترتيب سور
المصحف لما عَزَبَ ذلك على هؤلاء وهم من أجلاء الصحابة وأكثرهم اتصالا به عليه
الصلاة والسلام .

(وختام المقام) أن ترتيب سور المصحف سواء كان توقيفيا أو اجتهدايا فإنه يجب
علينا اتباع المصحف العثماني في ترتيب سورته ورسم كتابته لأننا مأمورون باتباع الصحابة آثمون

(١) ألف ابن النديم كتابه الفهرست عام ٣٧٧ هجرية وهو يعد من أقدم الكتب وأهمها ، وقد ظهر
الآن في عالم المطبوعات .

بمخالفتهم ، قال عليه الصلاة والسلام كما في حديث العرياض بن سارية « ... فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ^(١) » ولهذا كان إجماعهم حجة ، وقد أجمعوا على اعتماد مصحف عثمان ونسخوا مصاحفهم على نمطه كما سبق بيانه ، فلا يوجد مسلم على وجه الأرض يرى مخالفته والله الحمد ، وهذا مصداق قوله تعالى : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » .

عدد المصاحف

التي فرقها عثمان رضى الله عنه في الأمصار

تقدم أن عثمان بن عفان لما فرغ من جمع مصحفه أرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمرهم أن يحرقوا كل مصحف يخالف المصحف الذي أرسله ، وقد اختلفوا في عدة المصاحف التي فرقها في الأمصار ؛ ف قيل إنها أربعة وهو الذي اتفق عليه أكثر العلماء ، وقيل إنها خمسة ، وقيل إنها ستة ، وقيل سبعة ، وقيل ثمانية .

(١) والحديث المروي عن عرياض بن سارية رضى الله عنه هو « قال وعظ رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون ؛ قلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد ، فإنه من يشئ منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ ؛ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة » رواه أبو داود والترمذي . وفي رواية أحمد وابن ماجه عن عرياض أيضا « قد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك ، ومن يشئ منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم ... » الخ الحديث .
والعرياض بن سارية رضى الله عنه هو بكسر العين وسكون الراء : كان من أهل الصفة وهو من نزل فيه قوله تعالى « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم » قال محمد بن عوف كان قديم الإسلام جدا ؛ نزل الشام ثم سكن حمص ومات في فتنة ابن الزبير سنة خمس وسبعين في خلافة عبد الملك بن مروان ، فقوله صلى الله عليه وسلم : « ومن يشئ منكم فسيرى اختلافا كثيرا » هذا من ضمن معجزاته عليه الصلاة والسلام التي لا تحصى فلقد وقع ويقع كثير من الأمور والفتن التي أخبر بها .

فكم من المغيبات ذكرا فبعضها مضى وبعض سيري

ومعجزات المصطفى ليست تعد وفي الشفا منها كثير قد ورد

أما كونها أربعة فقليل إنه أبقى مصحفاً بالمدينة وأرسل مصحفاً إلى الشام ومصحفاً إلى الكوفة ومصحفاً إلى البصرة ، وأما كونها خمسة فالأربعة المتقدم ذكرها والخامس أرسله إلى مكة ، وأما كونها ستة فالخمس المتقدم ذكرها ، والسادس اختلف فيه فقليل جعله خاصاً لنفسه وقليل أرسله إلى البحرين ، وأما كونها سبعة فالسبعة المتقدم ذكرها والسابع أرسله اليمن ، وأما كونها ثمانية فالسبعة المتقدم ذكرها ، والثامن كان لعثمان يقرأ فيه وهو الذي قتل وهو بين يديه اهـ من نهاية القول المفيد .

وبعث رضى الله عنه مع كل مصحف من يرشد الناس إلى قراءته بما يحتمله رسمه من القراءات مما صحح وتواتر^(١) فكان عبد الله بن السائب مع المصحف المسكى ، والمغيرة ابن شهاب مع المصحف الشامى وأبو عبد الرحمن السلى مع المصحف الكوفى ، وعامر ابن قيس مع المصحف البصرى ، وأمر زيد بن ثابت أن يقرئ الناس بالمدينة .

ولا ندرى لم لم يرسل عثمان رضى الله عنه لكل بلدة من البلاد الإسلامية مصحفاً أو بضعة مصاحف ، والظاهر والله تعالى أعلم أن ذلك كان لقلة النساخ في عهدهم ولعدم وجود الورق عندهم ، فقد كانوا يكتبونها على الجلود والعصب واللخاف والأكتاف ونحوها فربما يلزم لكتابة مصحف واحد قنطار من هذه الأشياء .

ولقد وصف الزنجباني مصحف على رضى الله عنه بأنه كان في سبعة أجزاء وقد أتى به يحمله على جمل وهو يقول هذا القرآن جمعته ، وروى أن صاحب بن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ هـ كان يحمل معه في أسفاره كتاب الأغاني على أربعين جملاً ، وذكروا أن الإمام الشافعى رحمه الله تعالى كان كثيراً ما يكتب المسائل على العظام حتى ملأ منها خبائياً^(٢) .

(١) وهذا اختلاف قراءات في لغة واحدة لا اختلاف لغات ؛ انظر في الفصل الثانى من الباب الثالث لتلطف على سبب اختلاف رسوم هذه المصاحف .

(٢) نستنتج مما ذكر : أن المصاحف التى رفعت على رؤوس الرماح فى الحرب بين علي ومعاوية رضى الله عنهما سنة ٣٧ البالغ عددها نحو ثلاثمائة مصحف طلباً للهدنة وحققاً للدماء ؛ لم تكن بمصاحف كاملة وإنما هى أجزاء من القرآن مكتوبة على نحو العصب والألواح والأكتاف وبذلك يمكن للرجل رفع ما كتب من القرآن على شئ ما ذكر ؛ فإطلاق المؤرخين رفع المصاحف فى هذه الحرب إنما هو من إطلاق الكل وإرادة الجزء والله أعلم .

كل ذلك كان لعدم انتشار الورق عندهم في ذلك الزمن^(١) ، ولا ندرى كيف كانوا يعثرون على مسألة من المسائل وهي مكتوبة على نحو العظام واللخاف والأكتاف التي يعسر ترتيبها ؟ لا شك أن مراجعتها والوقوف عليها ليس بسهل ، ومع ذلك كانوا أئمة الدين وأنجم الهدى .

والذي نراه أن المصاحف العثمانية التي أرسلت إلى الأمصار كتبت على الجلود وكتبت بالخط الكوفي الذي ما كانوا يعرفون من الخط سواء ، وكتبت بغير نقط ولا شكل ، ولم يكن فيها علامات للأجزاء والأحزاب ونحوها .

الفصل الخامس

في نزول القرآن على سبعة أحرف

روى البخارى في كتاب التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدنى حتى انتهى إلى سبعة أحرف » .

وأخرج أبو يعلى في مسنده أن عثمان قال على المنبر : أذكر الله رجلاً سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف » لما قام ، فقاموا حتى لم يُحْصَوْا فشهدوا بذلك فقال : وأنا أشهد معهم . رواه جمع من الصحابة يبلغ عددهم واحداً وعشرين صحابياً وقد نصَّ أبو عبيدة على تواتره .

وروى مسلم والبخارى واللفظ له عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « سمعت هشام ابن حكيم^(٢) يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فإذا

(١) إذا أردت الوقوف على ظهور الورق فعليك بمراجعة كتابنا « تاريخ الخط العربى وآدابه » وهو مطبوع بمصر القاهرة .

(٢) هو هشام بن حكيم بن حزام القرشى الأسدي ؛ أسلم يوم الفتح ومات قبل أبيه ؛ كان من فضلاء —

هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبت أساوره^(١) في الصلاة ، فتصبرت حتى سلم فلبنته^(٢) بردائه فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ فقال أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت كذبت فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت^(٣) فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم يقرئها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله اقرأ يا هشام ، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك أنزلت ، ثم قال اقرأ يا عمر : فقرأت القراءة التي أقرأني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك أنزلت ، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه^(٤) .

قال ابن حجر في فتح الباري على صحيح البخاري عند هذا الحديث مانصه :

« فصل » لم أقف في شيء من طرق حديث عمر على تعيين الأحرف التي اختلف فيها عمر وهشام من سورة الفرقان ، وقد زعم بعضهم فيما حكاه ابن التين أنه ليس في هذه

== الصحابة وخيارهم من يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر : قال أبو نعيم استشهد بأجنادين اهـ من الاستيعاب . وأجنادين : موضع بالشام من نواحي فلسطين ؛ بعضهم يقول إنه بلفظ الثنية وبعضهم بلفظ الجمع ؛ قاله صاحب (معجم البلدان) .

(١) أساوره : أي أثب عليه .

(٢) أي أخذته بردائه ، وهو بفتح اللام وتشديد الباء الأولى .

(٣) وسبب اختلاف قراءتهما كما ذكره ابن حجر في فتح الباري أن عمر حفظ هذه السورة من رسول الله صلى الله عليه وسلم قديماً ثم لم يسمع ما نزل فيها بخلاف ما حفظه وشاهده ؛ ولأن هشاماً من مسلمة الفتح فكان النبي صلى الله عليه وسلم أقرأه علي ما نزل أنيراً فنشأ اختلافهما من ذلك ؛ ومبادرة عمر للإنكار محمولة على أنه لم يكن سمع حديث « أنزل القرآن على سبعة أحرف » إلا في هذه الواقعة اهـ .

(٤) روي البخاري هذا الحديث في كتاب التفسير في باب « أنزل القرآن على سبعة أحرف » ورواه أيضاً في باب من لم ير بأساً أن يقول سورة البقرة وسورة كذا وكذا في كتاب التفسير ؛ ورواه مسلم في آخر كتاب صلاة المسافرين وقصرها في فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه عند بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف . ورواه الطبري أيضاً في تفسيره .

السورة عند القراء خلاف فيما ينقص من خط المصحف سوى قوله «وجعل فيها سراجا» وقرئ سراجا جمع سراج ، قال وباقي ما فيها من الخلاف لا يخالف خط المصحف . قال ابن حجر قلت : وقد تتبع أبو عمر بن عبد البر ما اختلف فيه القراء من ذلك من لدن الصحابة ، ومن بعدهم من هذه السورة فأوردته ملخصا ، وزدت عليه قدر ما ذكره وزيادة على ذلك ، وفيه تعقب على ما حكاه ابن التين في سبعة مواضع أو أكثرها منه .

ثم ذكر ابن حجر ما ورد من القراءات في سورة الفرقان فراجع إن شئت ، فلو نقلناه هنا لطال بنا الكلام اه .

وفي رواية لأبي بن كعب^(١) أنه قال «دخلت المسجد أصلي فدخل رجل فافتتح النحل فقرأ فخالفتني في القراءة ، فلما انفتل^(٢) قلت من أقرأك ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء رجل فقام وصلى فقرأ فافتتح النحل فخالفتني وخالف صاحبي ، فلما انفتل قلت من أقرأك ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال فدخل قلبي من الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية فأخذت بأيديهما وانطلقت بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت استقرئ هذين فاستقرأ أحدهما فقال أحسنت ، فدخل قلبي من الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية ، ثم استقرأ الآخر فقال أحسنت ، فدخل صدري من الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية ، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدري بيده ، فقال أعيذك بالله يا أباي من الشك ، ثم قال إن جبريل عليه السلام أتاني فقال : إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت اللهم خفف عن أمتي ، ثم عاد فقال : إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفين ، فقلت اللهم خفف عن أمتي ، ثم عاد فقال : إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف وأعطاك بكل ردة مسألة» الحديث.

(١) هو أبي بن كعب بن قيس الأنصاري النجاري سيد القراء ، وهو أحد فقهاء الصحابة وأقرؤهم لكتاب الله تعالى ، وهو أول من كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة كتب الوحي قبل زيد ومعه أيضا ، وروي أنس «أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا أبيبا فقال : إن الله أمرني أن أقرأ عليك : قال آله سماني لك ؟ قال نعم فجعل أبي يبيكي ، قال أنس ونبت أنه قرأ عليه (لم يكن الذين كفروا)

«مات أبي سنة اثنتين وعشرين» فقال عمر : اليوم مات سيد المسلمين ، وقيل مات في خلافة عثمان سنة ثلاثين ، وقيل غير ذلك اه ملخصا من الإصابة والاستيعاب .

(٢) انفتل أي انصرف من صلاته .

وفي صحيح مسلم عن أبي بن كعب رواية بهذا المعنى أيضا في آخر كتاب صلاة المسافرين وقصرها في فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ، وللطبري رواية بهذا المعنى عن أبي بن كعب أيضا .

وروى البخاري عن ابن مسعود^(١) رضى الله عنه قال « سمعت رجلا قرأ وسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ خلافا فجئت به النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فعرفت في وجهه الكراهية وقال كلا كما يحسن ولا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا » رواه البخاري في كتاب بدء الخلق في حديث الغار في أول باب منه .

وللطبري وللطبراني^(٢) عن زيد بن أرقم قال « جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقراني ابن مسعود سورة أقرأنيها زيد وأقرأنيها أبي بن كعب فاختلفت قراءتهم فبقراءة أيهم آخذ ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى إلى جنبه ، فقال عليّ ليقرأ كل إنسان منكم كما عليم فإنه حسن جميل » .

وعن هشام بن علي عن زيد بن علقمة النخعي قال « لما خرج عبد الله بن مسعود من الكوفة اجتمع إليه أصحابه فودّعهم ثم قال ، لا تنازعوا في القرآن فإنه لا يختلف

(١) هو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي ، أسلم قديما وهاجر المجرئين وشهد بدرأ والمشاهد بعدما ولازم النبي صلى الله عليه وسلم وكان يحمل نعليه ؛ قال أبو نعيم : كان سادس من أسلم وكان يقول أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة . واختلف في وفاته فقيل توفي سنة اثنتين وثلاثين وقيل غير ذلك اه ملخصا من الإصابة .

وينسب إلي أما أحيانا فيقال ابن أم عبد ، وكان يلج علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلبسه نعليه ويمشي أمامه ويستره إذا اغتسل ويوقظه إذا نام ، وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « أذنك علي أن يرفع الحجاب وأن تسمع سواي حتى أنهارك » رواه مسلم في كتاب السلام في باب استحباب السلام علي الصبيان وكان يعرف في الصحابة بصاحب السواد والسواك ، وزاد بعضهم والفراش والوساد ، وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وإلي ما ذكر أشار صاحب نظم عمود النسب بقوله :

ومن هذيل صاحب السواد والنعل والفراش والوساد

قال الإمام النووي في شرحه علي صحيح مسلم عند الحديث المذكور : السواد بكسر السين المهملة اتفق العلماء علي أن المراد به السرار بكسر السين وبالراء المكسرة وهو السر والمسار ، يقال ساودت الرجل مساودة : إذا سارقه اه .

(٢) الطبري هو الإمام محمد بن جرير الطبري المولود سنة ٢٢٤ هجرية . والطبراني من أصحاب الحديث .

ولا يتلاشى ولا ينفد بكثرة الرد وإن شريعتة الإسلام وحدوده وفرائضه فيه واحدة، ولو كان شئ من الحرفين ينهى عن شئ يأمر به الآخر كان ذلك الاختلاف، ولكنه جامع ذلك كله لا يختلف فيه الحدود والفرائض ولا شئ من شرائع الإسلام، ولقد رأيتنا نتنازع فيه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأمرنا نقرأ عليه فيخبرنا أن كلنا محسن ولو أعلم أحدا أعلم بما أنزل الله على رسوله منى لطلبته حتى أزداد علمه إلى علمي، ولقد قرأت من لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة قد كنت علمت أنه يعرض عليه القرآن في كل رمضان حتى كان عام قبض ففرض عليه مرتين فكان إذا فرغ أقرأ عليه فيخبرني أي محسن، فمن قرأ على قراءتي فلا يدعنها رغبة عنها، ومن قرأ على شئ من هذه الحروف فلا يدعنه رغبة عنه^(١) فإن من جحد بآية جحد به كله « اه رواه الطبراني في تفسيره وهل اللفظ واحد أم لا؟ يحتاج إلى المراجعة.

وهناك روايات كثيرة في نزول القرآن على سبعة أحرف اكتفينا بما ذكر، لأن سرد جميعها موجب للتطويل^(٢) فاختلاف هذه الأحرف إنما هو اختلاف ألفاظ وتلاوة لا اختلاف معان موجبة لاختلاف أحكامه.

(مثال ذلك) مارواه ابن فارس بسنده عن هاني، قال: كنت عند عثمان رضي الله عنه وهم يعرضون المصاحف فأرسلني بكثف شاة إلى أبي بن كعب فيها « لَمْ يَتَسَنَّ » و« فأمهل الكافرين » و« لا تبديل للخلق » قال فدعا بالدواة فحدا إحدى اللامين وكتب « نخلق الله » ومحا فأمهل وكتب « فمهل » وكتب « لَمْ يَتَسَنَّ » ألحق فيها هاء، والقراءة في المصاحف على هذا الإصلاح.

ولقد ذهب العلماء في المراد بهذه الأحرف السبعة إلى نحو أربعين قولاً ذكرها الإمام السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن، نذكر ملخص ذلك وهو: المختار منها أن

(١) وفي هذا المعنى روي الطبراني عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أنزل القرآن علي سبعة أحرف فن قرأ علي حرف فلا يتحول إلي غيره رغبة عنه ».

(٢) ذكر الإمام ابن جرير الطبري كثيراً من الروايات الواردة في نزول القرآن على سبعة أحرف في أول تفسيره وأطال الكلام فيه.

المراد سبع لغات كما صححه البيهقي في الشعب . واختلفوا في تعيينها ؛ فقال أبو عبيدة قريش وهذيل وثقف وهوازن وكنانة وتميم واليمن وقيل غير ذلك ، وجاء عن أبي صالح عن ابن عباس قال : نزل القرآن على سبع لغات ^(١) منها خمس بلغة العجز من هوازن ، ويقال لهم علياء هوازن .

قال أبو عبيدة : ليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات ، بل اللغات السبع مفرقة فيه ؛ فبعضه بلغة قريش ، وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة هوازن ، وبعضه بلغة اليمن ؛ ومعناه أن جبريل عليه السلام كان يأتي في كل عَرَضَة بحرف إلى أن تمت الأحرف السبعة ، وذلك تخفيف وتيسير على الأمة في التكلم بكتابهم كما خفف عنهم في شريعتهم ، هذا هو المعول عليه اه ^(٢) .

وقال أبو شامة : ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة ، وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل . وقال مكى بن أبي طالب : وأما من ظن أن قراءة هؤلاء القراء كعاصم ونافع هي الأحرف السبعة التي في الحديث فقد غلط غلطا عظيما ، قال ويلزم من هذا أن ماخرج عن قراءة هؤلاء السبعة مما ثبت عن الأئمة وغيرهم ، ووافق خط المصحف لا يكون قرآنا وهو غلط عظيم ، قال وهذه القراءات التي يقرأ بها اليوم وصحت رواياتها عن الأئمة جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن انتهى من فتح الباري على صحيح البخاري .

وقال ابن قتيبة لم ينزل القرآن إلا بلغة قريش ^(٣) ، واحتج بقوله (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ

(١) قال بعضهم : الحسكة في نزول القرآن على سبع لغات من أعيان العرب تأليف قلوبهم لما كان فيهم من الحمية العربية ولطلب فهم المراد ؛ فافتخر كل بلغة حين شاهدوا نزول القرآن فاستأنس كثير من فصاحتهم فكان سبب إيمانه اه .

(٢) ويدل على هذا ما أخرجه أبو داود من طريق كعب الأنصاري أن عمر كتب إلى ابن مسعود : إن القرآن نزل بلسان قريش فأقري الناس بلغة قريش لا بلغة هذيل اه وابن مسعود كان من هذيل .

(٣) ومعنى أن القرآن نزل بلغة قريش سبق بيانه في الجمع الثالث عند رواية البخاري فارجع إليه وهو

رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ) ؛ فعلى هذا تكون اللغات السبع فى بطون قريش ، وبذلك جزم أبو على الأهوازى ، وقال أيضا فى كتاب المشكل : إن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يقرئ كل أمة بلغتهم وماجرت به عادتهم ؛ فالهذلى يقرأ : عتَّى حين ، وغيره : حتَّى حين والأسدى : يعلمون وتعلمون وتسود وجوه ، وألم إعهد إليكم بكسر حرف المضارعة ، والتميمى يهيمز والقرشى لا يهيمز ، والآخر يقرأ ، قيل لهم ، وغيض الماء بإشمام الضم مع الكسر ، وهذا يقرأ عليهم وفيهم بضم الهاء وهكذا ، وكل ذلك ثابت بالوحى المنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم ، قال ابن قتيبة ولو أراد كل فريق من هؤلاء أن ينزل عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلا ويافعا وكهلا لاشتد ذلك عليه وعظمت الحنة فيه ولا يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلا وتذليل للسان وقطع للعادة فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل له متسعا فى اللغات ومتصرفا فى الحركات كتيسيره عليهم فى الدين اه ، وهذه اللغات والقراءة بها كانت موجودة ومعمولا بها إلى عهد عثمان رضى الله عنه ، فلما اختلطت قبائل العرب وعرف كل لغة الآخر وسهل على كل قبيلة النطق بلغة القبيلة الأخرى ، وحدث فى عهده رضى الله عنه ما يدعو إلى حمل الناس على القراءة بلغة واحدة أمر رضى الله عنه بجمع القرآن وكتابته وقراءته بلغة واحدة اه كل ذلك من كتاب الإتيان للسيوطى رحمه الله ومن غيره .

وفى نهاية القول المفيد ، قال المحقق ابن الجزرى : ولا زلت أستشكل هذا الحديث أى حديث « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف الخ » وأفسكر فيه وأمعن النظر من نحو نيف وثلاثين سنة حتى فتح الله علىَّ بما يمكن أن يكون صوابا إن شاء الله تعالى وذلك أنى تتبعت القراءات صحيحها وضعيفها وشاذها ، فإذا هى يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه لا يخرج عنها وذلك — إما فى الحركات بلا تغيير فى المعنى والصورة نحو البخل باثنين ويحسب بوجهين — أو بتغيير فى المعنى فقط نحو (فتلقى آدم من ربه كلمات) وإما فى الحروف بتغيير فى المعنى لا فى الصورة نحو تبلوا وتتلوا وعكس ذلك ، نحو بسطة وبصلة أو بتغييرهما نحو أشد منكم ومنهم ، وإما فى التقديم والتأخير نحو : فيقتلون ويقتلون ، أو فى الزيادة

والنقصان نحو ووصى وأوصى ، فهذه سبعة أوجه لا يخرج الاختلاف عنها اه كلامه^(١) .
وقد حمل ابن قتيبة وغيره العدد المذكور في حديث «أنزل القرآن على سبعة أحرف» على
الوجوه التي يقع بها التغير في سبعة أشياء ذكرها مفصلاً ابن حجر في فتح الباري على صحيح
البخاري عند الكلام على هذا الحديث فراجع إن شئت ، فإننا لم ننقلها منه خوف التطويل ،
وقد استوفى ابن حجر رحمه الله شرح هذا الحديث في فتح الباري ينبغي مطالعته فإنه
مبحث مهم .

ونحن نرى أنه لا يبعد أن يكون هذا الحديث متشابهاً يفوز معناه إلى الله تعالى
كما ذهب إليه بعض العلماء وذلك لأمرين :

الأول : كثرة اختلاف العلماء في معناه حتى بلغ نحو أربعين قولاً .

الثاني : ورود أحاديث كثيرة في هذا المعنى بعبارات مختلفة (منها) قوله صلى الله عليه
وسلم «أقرأني جبريل على حرف فراجعته ، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة
أحرف» رواه الشيخان ، وسلم برواية أخرى ، ولترمذي من وجه آخر أنه صلى الله عليه وسلم
قال : «يا جبريل إني بعثت إلى أمة أميين منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية

(١) فمضى قوله نحو البخل باثنين أي بقراءتين كآية (ويأمرون الناس بالبخل) في سورة النساء ، فقد قرئ
بالبخل بضم الباء وسكون الخاء وقرئ يفتحهما ؛ ومعنى قوله ويحسب بوجهين أي قرئ يفتح السين وكسرهما
كآية (يحسب أن ماله أخذه) ومعنى قوله أو بتغيير في المعنى فقط نحو (فتلقى آدم من ربه كلمات) أي قرئ
يرفع آدم علي أنه فاعل ونصب كلمات علي أنه مفعول به وقرئ بالعكس أي ينصب آدم علي أنه مفعول ويرفع
كلمات علي أنه فاعل ؛ ومعنى قوله نحو تبلوا وتتلوا أي قرئ قوله تعالى (هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت) بيونس
بالتاء ثم بالباء قبل اللام وقرئ تتلوا بتامين ؛ ومعنى قوله نحو أشد منكم ومنهم أي قرئ قوله تعالى (كانوا هم
أشد منهم قوة) بغافر أشد منهم وأشد منكم ؛ ومعنى قوله وأما في التقديم والتأخير نحو فيقتلون ويقتلون ؛ أي
قرئ قوله تعالى (يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) بالتوبة الأول بالبناء للعلوم والثاني للمجهول ؛
وقرئ بالعكس اه أخذنا هذا البيان مشافهة عن الأستاذ الشيخ أحمد التيجي عدة قراء الحجاز بمكة المشرفة
المتوفى في غرة محرم سنة ثمان وستين وثلاثمائة وألف رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، فقد كان تقياً صالحاً لا يشتغل
بغير القرآن المجيد .

قال السيوطي في الإتقان قلت ومن أمثلة التقديم والتأخير قراءة الجمهور (كذلك يطبع الله علي كل قلب
مشكبر جبار) وقرأ ابن مسعود علي قلب كل مشكبر جبار اه .

والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط» الحديث . (ومنها) «أنزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف كلها شاف كاف» رواه الطبراني (ومنها) «أنزل القرآن على سبعة أحرف فمن قرأ على حرف منها فلا يتحول إلى غيره رغبة عنه» رواه الطبراني . (ومنها) «أنزل القرآن على عشرة أحرف بشير ونذير ، وناسخ ومنسوخ ، وعظة ومتشابه ومثل ومحكم ، وحلال وحرام» رواه السجزي في الإبانة . (ومنها) «أنزل القرآن على ثلاثة أحرف» رواه أحمد وغيره . (ومنها) «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عند أضاءة بنى غفار^(١) فأتاه جبريل عليه السلام فقال : إن الله عز وجل يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف ، قال : أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لاتطبق ذلك ، ثم أتاه الثانية فقال : إن الله عز وجل يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين ، قال أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتي لاتطبق ذلك ، ثم جاءه الثالثة فقال : إن الله عز وجل يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف فقال أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لاتطبق ذلك ، ثم جاءه الرابعة فقال : إن الله عز وجل يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأبى حرف قرءوا عليه فقد أصابوا» رواه النسائي في سننه .

فإذا أمعنت النظر في هذه الأحاديث ظهرت لك منها جملة معان فتأمل جيداً .

والحقيقة التي لاتنكر أنه لولا عثمان رضي الله عنه جمع الأمة على مصحف واحد وعلى حرف واحد لذهب المسلمون اليوم في القرآن الكريم كل مذهب ، ولاختلفت القراءات لديهم كل الاختلاف ، ولوجد أعداء الدين مسلحاً سهلاً لإيقاع الشك والديسة في قلوب

(١) أضاءة هي بفتح الهزة وبضاد معجمة : ماء مستنقع كالغدير بالمدينة . قال ابن ظهيرة في الجامع اللطيف : أضاءة بنى غفار هومقبرة المهاجرين بمكة ، وهي ما بين فغ والجبل المسمى بالميقاح وبالبكاء دون الزاهر كما هو مقتضى كلام الأزرقي والفاشي ؛ قال الغازي في تاريخه بعد أن ساق كلام ابن ظهيرة ؛ أقول فتكون المقبرة المذكورة في الحقل المعروف الآن بالختلج الذي يبيت به أميرالحاج عند قدومه ثم يصبح يدخل مكة اه . ونحن نقول أضاءة بنى غفار يمكن أن تكون بالمدينة وبمكة أيضاً .

ضعاف المسلمين وجهالهم ، وإذا وقع الاختلاف والتكذيب في عهده رضى الله عنه فكيف بنا اليوم وقد بدأ الإسلام يعود غريبا ، فجزى الله صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ووفقنا لاتباع مسلكهم القويم ومنهجهم المستقيم آمين . وأجزل الله الثواب لعثمان بن عفان على جمعه القرآن .

ولننقل هنا نص ما ذكره الإمام محمد بن جرير الطبرى المولود سنة أربع أو خمس وعشرين ومائتين في تفسيره ، بعد أن بين وجهة حمل عثمان الناس على مصحفه وهو (فإن قال) بعض من ضعفت معرفته وكيف جاز لهم ترك قراءة أقرأهموها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم بقراءتها (قيل) إن أمرهم بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض وإنما كان أمر إباحة ورخصة الخ .

(ويسأل بعضهم) لِمَ لَمْ تكن الأحرف الستة موجودة وقد أنزلت من عند الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم وهو أقرأها أصحابه ؛ فإن نسخت فرفعت فما الدليل عليه ، وإن نسيها الأمة وتركها فذلك تضييع ما قد أمروا بحفظه؟ (فأجاب الإمام ابن جرير الطبرى) على هذه الأسئلة بقوله : لم تنسخ الأحرف الستة فترفع ولا ضيعتها الأمة وهى مأمورة بحفظها ولكن الأمة أمرت بحفظ القرآن وخيرت فى قراءته وحفظه بأى تلك الأحرف السبعة شاءت وضرب لها مثلا فى الفقه ، وهو إذا حنث مؤسر فى يمين فله أن يختار كفارة من ثلاث كفارات : إما بعثى أو إطعام أو كسوة فكذلك الأمة أمرت بحفظ القرآن وقراءته وخيرت فى قراءته بأى الأحرف السبعة شاءت فرأت لعله من العلل أوجبت عليها الثبات على حرف واحد قراءته بحرف واحد ، ورفض القراءة بالأحرف الستة الباقية ولم تحظر قراءته بجميع حروفه على قارئه بما أذن له فى قراءته به ، ثم أورد الطبرى أنباء ما قد حدث فى أيام أبى بكر وعثمان عن جمع المصحف اه . ولا يخفى أن جواب ابن جرير سديد ، قال أبو شامة وقد اختلف السلف فى الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ، هل هى مجموعة فى المصحف

الذى بأيدي الناس اليوم أو ليس فيه إلا حرف واحد منها ؟ مال الباقلاني إلى الأول ،
وصرح الطبري وجماعة بالثاني وهو المعتمد اه من فتح الباري .

وسبب اختلاف القراءات السبع وغيرها كما قال ابن هشام أن الجهات التي وجهت إليها
المصاحف كان بها من حمل عنه أهل تلك الجهة وكانت المصاحف خالية من النقط والشكل
قال : قُتِبَ أهل كل ناحية على ما كانوا تلقوه سماعاً عن الصحابة بشرط موافقة الخط
وتركوا ما يخالف الخط امثالاً لأمر عثمان الذي وافقه عليه الصحابة لما رأوا في ذلك من
الاحتياط للقرآن ، فمن نشأ الاختلاف بين قراءة الأمصار مع كونهم متمسكين بحرف
واحد من السبعة انتهى من فتح الباري على صحيح البخاري .

فوائد اختلاف القراءات

نزول القرآن بالأحرف السبعة لا يؤدي إلى التناقض في الأحكام الشرعية وأصول الدين
وفي الحلال والحرام والأمر والنهي ؛ فالاختلاف الواقع بين هذه الأحرف إنما هو اختلاف
ألفاظ وتلاوة فقط ، وتؤخذ منه جملة فوائد (منها) بيان حكم مجمع عليه كقراءة سعد بن
أبي وقاص وغيره « وله أخ أو أخت من أم » فإن هذه القراءة تبين أن المراد بالإخوة هنا
الإخوة للأم (ومنها) ترجيح حكم اختلف فيه كقراءة « أو تحرير رقية مؤمنة في كفارة
اليمين » ففيها ترجيح لاشتراط الأيمان كما ذهب إليه الشافعي وغيره ، ولم يشترطه أبو حنيفة
(ومنها) الجمع بين حكمين مختلفين كقراءة يَطْهَرُنَ وَيَطْهَرُنَ بالتخفيف والتشديد ، فينبغي
الجمع بينهما وهو أن الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر باقطاع حيضها وتطهر بالاغتسال
(ومنها) إيضاح حكم يقتضي الظاهر خلافه كقراءة (فامضوا إلى ذكر الله) فإن قراءة
فاسعوا يقتضي ظاهرها المشي السريع وليس كذلك ، فكانت القراءة الأخرى موضحة لذلك
(ومنها) تفسير ما لعله لا يعرف كقراءة (كالصُّوف المنفُوش) (ومنها) ما هو حجة

لترجيح قول بعض العلماء كقراءة (أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ) إذ اللمس يطلق على الجنس والمس (ومنها) ما هو حجة لأهل الحق ، ودفع لأهل الزيغ كقراءة (وَمَلِكًا كَبِيرًا) بكسر اللام من آية: (وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا) بسورة الإنسان . وردت عن ابن كثير وغيره ، وهي من أعظم الدليل على رؤية الله تعالى في الدار الآخرة ، وقد قيل : وخير ما فسّرت به بالوارد إلى غير ذلك ، انتهى من إجابة شيخ المقارئ المصرية لأسئلتنا التي كفا بعثناها إليه من مكة المشرفة ، وسنذكر منها في هذا الكتاب ما يناسب كل مقام وفصل إن شاء الله تعالى . ثم نذكر في آخر الكتاب نصّ جميع الأسئلة وإجابة شيخ القراء عليها بياناً للفائدة العامة ، فإنه مما يهتم بها أهل القرآن وأهل العلم ، وإنا لنشكر فضيلته على ذلك وندعوه له بالخير .

البَابُ الثَّالِثُ

وفيه خمسة فصول

الفصل الأول

في رسم المصحف العثماني وقواعده

المراد برسم المصحف ما كتبه الصحابة من الكلمات القرآنية في المصحف العثماني على هيئة مخصوصة لا تتفق مع قواعد الكتابة ، وينحصر أمر هذا الرسم في ست قواعد^(١) وهي : الحذف ، والزيادة ، والمهمز ، والبدل ، والوصل والفصل ، وما فيه قراءتان فكتب على إحداها ، وقد جمع هذه القواعد العلامة المرحوم الشيخ محمد العاقب الشنقيطي بقوله :

الرَّسْمُ فِي سِتِّ قَوَاعِدَ اسْتَقِلَّ حَذْفُ زِيَادَةٍ وَهَمْزٌ وَبَدَلٌ
وَمَا أَتَى بِالْوَصْلِ أَوْ بِالْفَصْلِ مُوَافَقًا لِلْفِطْرِ أَوْ لِلأَصْلِ
وَذُو قِرَاءَتَيْنِ مِمَّا قَدْ شَهِرَ فِيهِ عَلَى إِحْدَاهُمَا قَدْ اقْتَصَرَ

وشرح هذه القواعد يطول وإنما نأتي بجملة أمثلة اقتطفناها من كتاب إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام للعلامة المحدث الشهير شيخنا الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي رحمه الله تعالى (فمثال الحذف) تَعْلَمَنَّ مِمَّا عَلَّمْتَ ، رَبِّي أَكْرَمَنِي ، فَأَرْسِلُونِ ، يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ، وحذف واو داود ، وإحدى نون نُنَجِّي بالأنبياء ، وحذف إحدى اللامين مِنْ نَحْوِ اللَّيْلِ وَالَّذِي ، وحذف الألف مِنْ بَسْمِ اللَّهِ ، وَمِنْ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ، وحذف الواو مِنْ نَحْوِ يَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ ، وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ . وقد أشار الشيخ محمد العاقب

(١) أي في ستة أنواع ، فإن رسمه لا قاعدة له ولا يتمشى مع القواعد الإملائية .

الذى هو أخو شيخنا الشيخ محمد حبيب الله المذكور إلى مواضع حذف الواو من آخر الفعل بقوله :

وَحُذِفَ الْوَائِ بِغَيْرِ دَاعٍ فِي يَدْعُ الْإِنْسَانَ، وَيَدْعُ الدَّاعِ
سَدْعُ، صَالِحُ، وَيَمْحُ اللَّهُ إِنَّ سَبَقَ الْبَاطِلَ لَأَسْوَأَهُ^(١)

(ومثال الزيادة) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ، سَأُورِيكُمْ آيَاتِي ، وَأُولَئِكَ ، وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا
بِأَيْدِي ، بِلِقَائِي رَبِّهِمْ ، وَلَا تَقُولَنَّ لِسَائِي ، أَوْ لَا أَذْبَحَنَّهُ . (ومثال البدل) يَتَوَفَّيْكُمْ
وَمَنْ عَصَانِي ، وَالْأَقْصَا ، وَالصَّلَاةَ ، وَالرَّبُّو ، وَالزَّكَاةَ ، وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّاعِرِينَ ،
وَأَنَّ رَحِمَتَ اللَّهِ (ومثال الوصل) أَلَّنْ نَجْعَلْ لَكُمْ ، وَأَلَّنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ ، فَأَيْنَا تَوَلَّوْا
فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ، وَيَسْكُنَنَّ اللَّهُ (ومثال الفصل) أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ ، وَأَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ يَهُودٍ ، وَلَكِنِّي لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ ، وَمَالِ هَذَا الْكِتَابِ . (ومثال
مافيهما قراءتان فكتب على إحداها) كَالصِّرَاطِ كَتَبْتُ بِالْصَادِ مَعَ أَنْ قَرَأَ الْمَكِّيَّ مِنْ
رَوَايَةِ قُنْبُلٍ بِالسِّنِ الْخَالِصَةِ ، وَقَرَأَ خَلْفَ يَاشْمَامِ الْصَادِ زَايَاً ، وَمَثَلُهُ بِصَمَطَةٍ وَبِمُصَيِّطٍ
فِي كِتَابِ الْجَمِيعِ بِالْصَادِ لَاغِيرٍ ، وَكَالْأَلْفِ الْمَرْسُومِ فِي لَأَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا ، مَعَ أَنَّهُ قَرَأَ
بِيَاءَ الْمُضَارَعَةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَمْثَلَةِ (أما مثال الهمز) فَالْهَمْزُ لَهُ أَحْوَالٌ مُتَنَوِّعَةٌ وَأَمْثَلَةٌ
كَثِيرَةٌ تَعْرِفُ مِنْ كِتَابِ الْإِمْلَاءِ ، وَقَدْ فَصَّلَ عُلَمَاءُ الرَّسْمِ أَحْوَالَ الِهْمَزِ فِي الْقُرْآنِ فَلَا دَعَى
لَذِكْرِهَا هُنَا خَوْفَ التَّطْوِيلِ ؛ وَمَنْ أَرَادَ بَسْطَ الْقَوْلِ فَلْيَرْجِعْ إِلَى كِتَابِ الْقُرْآنِ ؛ وَسَنَذْكُرُ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى طَرَفًا مِنْ أَحْوَالِ الِهْمَزِ فِي آخِرِ الْبَابِ الرَّابِعِ .

(١) يعني تحذف الواو من قوله تعالى (ويمح الله الباطل) بالشوري بخلاف قوله (يمحو الله ما يشاء

ويثبت) بالرعدي فإنه باثبات الواو .

الفصل الثاني

في اختلاف رسم المصاحف العثمانية

سبق الكلام على بيان عدد المصاحف التي أرسلها عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى المدن والأمصار ، وهذه المصاحف كلها تسمى المصاحف العثمانية وهي التي يجب اتباع رسمها وإن اختلف رسم كل مصحف عن الآخر بالحذف والإثبات ؛ فمن قال بالحذف مثلاً في بعضها يدعى أنه هو الموجود في المصحف العثماني ، ومن قال بالإثبات يدعى عكس ذلك مع اتفاق الطرفين على أن الموجود في المصحف العثماني هو الحق الثابت في نفس الأمر بإجماع الأمة ، وذلك كالخلاف في كلمة (لدا) هل كتبت بالألف أم بالياء كما أشار إليه الخزاز في مورد الظمان بقوله :

وَفِي لَدَا فِي غَافِرٍ يَخْتَلِفُ وَفِي لَدَا الْبَابِ اتِّفَاقًا أَلِفٌ ^(١)
وقال في كلمة الربا :

وَبَعْضُهُمْ فِي الرُّومِ أَيْضًا كَتَبُوا وَأَوَّأَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى مِنْ رَبِّهَا
وقال في كلمة تَعَسَّأ :

وَابْنُ نَجَّاحٍ قَالَ عَنْ بَعْضِ أَثَرٍ تَعَسَّأَ بِيَاءَ وَهُوَ غَيْرُ مُشْتَهَرٍ
وكالخلافا الواقع في هذه الكلمات : لَأَوْضَعُوا ، وَلَأَتَمُّ ، وَلَأَتَوْهَا ، وَلِإِلَى ؛ هل تزد فيها ألف بعد الألف الأصلية كما زيدت في كلمة (لَأَذْبَحَنَّه) أم لا .

(واعلم) أن الخلاف الواقع في رسم بعض كلمات المصحف ليس خلافاً حقيقياً بل هو خلاف صوري ، أما الخلاف الواقع في وجوه القراءات السبع فهو خلاف حقيقي واقع بينهم

(١) أي كتبت (لدا) بالياء في آية (لذي الحناجر) بغافر ؛ وفي بعض المصاحف كتبت بالألف بخلافها في آية (لدا الباب) بيوسف فإنها بالألف اتفاقاً .

لكن مع تجويز كل واحد من السبعة قراءة غيره واعترافه بأنها متواترة وأنها من عند الله تعالى .

وهذا الخلاف في وجوه القراءات ليس على حد الخلاف في الأحكام الشرعية ، لأن كلا من وجوه القراءات حق في نفس الأمر كما صرح به عليه الصلاة والسلام ، وكلا من الأحكام الشرعية حق باعتبار الاجتهاد ، وفي نفس الأمر الحق واحد ليس إلا لحرمة العمل بالمقابل اه من إيقاظ الأعلام .

ذكر جملة من الأمثلة

التي اختلفت كتابتها ورسومها في المصاحف

قوله تعالى : (لَنْ أُنْجَاكَ) في سورة الأنعام مكتوب في المصحف الكوفي بالألف وفي غيره بالتاء بعد الياء : أُنْجَيْتَنَا . وقوله تعالى : (كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً) مكتوب منكم بالكاف في المصحف الشامي وبالهاء في غيره . وقوله تعالى : (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ) هو هكذا في إمام أهل العراق ، وفي إمام أهل الشام وأهل الحجاز وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ . وقوله تعالى : (وَمَا عَلَّمْتُمْ أَيُّدِيهِمْ) هكذا في بعضها وفي بعضها وَمَا عَلَّمْتُمْ أَيُّدِيهِمْ . وقوله تعالى : (وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا) هكذا في بعضها وفي بعضها وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا . وقوله تعالى : « سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ » بغير واو قبل السين وفي بعضها وسَارِعُوا بالواو . وقوله تعالى : (قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي) هكذا في بعضها وفي بعضها قَالَ إِنَّمَا بِالْألف . وقوله تعالى : (وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا) في بعض المصاحف بحذف الألف من باء حُسْبَانًا هكذا حُسْبَانًا . وقوله تعالى : (هُرُوتَ وَمُرُوتَ) في بعض المصاحف بإثبات الألف في الهاء والميم ، وفي بعضها بحذفها منهما . وقوله تعالى : (لَوْمَةٌ لَا تُمْ) في بعض المصاحف هكذا لُئِمَّ بحذف ألف اللد . وقوله تعالى : (فَأَخِيكُمْ تُمُّ يُمِيْتُكُمْ) في بعضها فَأَخِيَّكُمْ بالألف وكلمة (إبراهيم) مرسومة في سورة البقرة بحذف الياء في المصحف الشامي

والعراق ومرسومة بإثباتها في المصحف المكي والمدني ، وألف التثنية قد تحذف في بعض المصاحف ، وفي بعضها لا تحذف نحو قوله تعالى : (إِذْ كُفِّرَتْ طَائِفَتَانِ) وقوله : (كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ) إلى غير ذلك .

وهذا حسبما ذكره أئمة القراءات المتقدمون ونقلوه بالسند المتصل عن الثقات العدول الذين شاهدوا تلك المصاحف العثمانية .

سبب اختلاف رسوم المصاحف العثمانية

لأندي لم اختلفت رسوم تلك المصاحف التي كتبت بأمر عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرسلت إلى المدن والأمصار ، وقد أجاب على هذا العلامة الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوي وكيل الجامع الأزهر والمعاهد الدينية بمصر المتوفى عام ١٣٥١ هـ تقريباً رحمه الله تعالى في كتابه « عنوان البيان في علوم التبيان » بقوله : إن هذا الاختلاف بين تلك المصاحف إنما هو اختلاف قراءات في لغة واحدة^(١) لا اختلاف لغات قصد بإثباته إنفاذ ما وقع الإجماع عليه إلى أقطار بلاد المسلمين واشتهاره بينهم ، وإنما كتبت هذه في البعض بصورة وفي آخر بأخرى لأنها لو كررت في كل مصحف لتوهم نزولها كذلك ، ولو كتبت بصورة في الأصل وبأخرى في الحاشية لكان تحكما مع إيهام التصحيح ، ومثل هذا بعد أمر عثمان رضي الله عنه وبعثه إلى كل جهة ما أجمع الصحابة على الأخذ به - لا يؤدي إلى تنازع أو فتنة ، لأن أهل كل جهة قد استندوا إلى أصل مجمع عليه وإمام يرشدكم إلى كيفية قراءته . والحاصل أن المصاحف العثمانية كتبت بحرف واحد وهو حرف قريش ، وأن ذلك الحرف يسع من القراءات ما يرسم بصور مختلفة إثباتاً وحذفاً وإبدالاً ، فكتبت في بعضها برواية ، وفي بعضها برواية أخرى تقليلاً للاختلافات في الجهة الواحدة بقدر الإمكان ، فسكنا اقتصر على لغة واحدة

(١) وهي لغة قريش كما سبق الكلام عند جمع عثمان المصحف .

في جميع المصاحف اقتصر على رسم رواية واحدة في كل مصحف، والمدار في القراءة على عدم الخروج عن رسم تلك المصاحف ، ولذلك لا يحظر على أهل أى جهة أن يقرأوا بما يقتضيه رسم الجهة الأخرى اه كلامه رحمه الله تعالى، وهو كلام حسن وجواب سديد .

ولم نقف على شيء من كلام المتقدمين والمتأخرين من العلماء في هذا الموضوع سواه ، فمن لم يقتنع بجواب الشيخ العدوى المذكور نقول له : إن رسم المصاحف العثمانية سرٌّ من الأسرار التي لم تهتد إلى حلّه فحول العلماء ونوابغ العقلاء كما سنتكلم عنه ، فما علينا غير الاتباع والتسليم .

الفصل الثالث

في رسم القرآن الكريم هل هو توقيفي أم لا ؟

اختلف العلماء في رسم المصحف العثماني ، فبعضهم يقول : إنه من اصطلاح الصحابة ، وبعضهم يقول : إنه توقيفي ، ويستدلون عليه بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان هو الذي على زيد بن ثابت القرآن من تلقين جبريل عليه السلام ، كما يشهد بذلك إطباق القراء على قوله تعالى «واخشوني» في البقرة بإثبات الياء، وفي المائدة بحذفها في الموضعين ونظائر ذلك كثيرة مما يدل على أن هجاء القرآن وكتابته بالتوقيف وأنه ليس من الرسم الموضوع ، وقد كتب القرآن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن غير مجموع في موضع واحد ، ولا مرتب السور .

والذي يظهر لنا - والله تعالى أعلم - أن رسم المصحف العثماني غير توقيفي ونستدل على قولنا هذا بخمسة أمور :

(الأمر الأول) أن من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم كونه أميًا لا يكتب ولا يقرأ كتابا كما قال تعالى : « وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ

بِئَمِينِكَ إِذَا لَأَرْتَابَ الْمُتَطَلُونَ^(١) » فكيف يملئ عليه الصلاة والسلام زيد بن ثابت على حسب قواعد الكتابة والإملاء من نحو الزيادة والنقص والوصل والفصل .

فهل كان يقول صلى الله عليه وسلم لكاتب الوحي: اكتب كلمة (إبراهيم) في سورة البقرة كلها بغير ياء ، واكتبها في بقية القرآن بالياء واكتب كلمة « بِأَيُّدٍ^(٢) » بياءين ، واكتب كلمة « وَجَاءَ يَوْمٌ يُؤْمَذُ بِجَهَنَّمَ^(٣) » بزيادة ألف بعد الجيم ، واكتب كلمة (لِسَاءٍ^(٤)) بزيادة ألف بعد الشين ، واكتب كلمة (أَفَيْنَ مَاتَ^(٥)) بزيادة ياء قبل النون ، واكتب كلمة (اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ) بهمزة فوق الواو وألف بعدها ، واكتب هذه الكلمات (جَاءَهُ . فَأَمَرَهُ . تَبَوَّاهُ) بغير ألف فيها بعد واو الجماعة وفيما عدا هذه الكلمات أثبت الألف بعدها ، واكتب كلمة (مِائَةً) بالألف ، واكتب كلمة (فِئَةٍ) بغير ألف ، واكتب كلمة (سَعَوْا) التي بالحج بالألف بعد الواو، واحذفها من (سَعَوْا) التي بسبأ ، واكتب كلمة (وَاحْشَوْنِي) بالياء في البقرة، واحذفها منها في التي بالمائدة، واحذف اللام الثانية من كلمة (الْيَلِ) وأثبتها في كلمة (اللُّؤْلُؤُ) واكتب الكلمات: (الصَّلَاةُ . الزَّكَاةُ . الرَّبُّوا) بالواو، واكتب (قُرَّتْ عَيْنِي) بالتاء واكتب (قُرَّةُ عَيْنٍ) بالهاء ، وافصل كي عن لا في (كَيْ لَا يَكُونُ دُولَةً) وأوصلها في (لِكَيْلَا تَأْسَوْا) وهكذا في جميع القرآن الكريم .

فإن كان إملاء النبي صلى الله عليه وسلم القرآن لكاتب الوحي بهذه الصفة ، فالرسم توقيفي بلا جدال لكن لم نَرَ منقولاً أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يملئ كاتب الوحي بهذه الصفة والكيفية ، فلو كان كذلك لتواتر عنه صلى الله عليه وسلم ، وما كان ذلك خافياً

(١) فالأمية في حقه عليه الصلاة والسلام كمال؛ وفي حق غيره نقص، وذلك أنه لو كان متعلماً للكتابة والقراءة لقالوا إن هذا القرآن ليس من عند الله ، وإنما وضعه من نفسه بقوة علمه ومعرفته .

(٢) من آية (والسباء بنيناها بأيدي) .

(٣) من آية (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله) .

(٤) من آية (أفئن مات أو قتل)

على أحد ، ولو كان كذلك أيضا لكان عليه الصلاة والسلام عارفا بأصول الكتابة وقواعد الإملاء ، وكيف وهو النبي الأُمِّي .

(الأمر الثاني) لما اختلف زيد بن ثابت ومن معه في كلمة (التَّائُت) أيكتبونه بالتاء أم بالهاء رفعوا الأمر إلى عثمان رضى الله عنه فأمرهم أن يكتبوها بالتاء ، فلو كان الرسم توقيفيا بإملاء النبي صلى الله عليه وسلم بالكيفية التي ذكرناها لقال لهم زيد : إن النبي صلى الله عليه وسلم أمرني بكتابتها بالتاء ، ولقال عثمان لزيد كاتب الوحي : اكتبها بالكيفية التي أمرك بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(الأمر الثالث) لو كان الرسم توقيفيا لما اختلف الرسم في المصاحف التي أرسلها عثمان رضى الله عنه إلى المدن والأمصار كما سبق بيانه قبل هذا الفصل .

(الأمر الرابع) لو كان الرسم توقيفيا لصرح بذلك الإمام مالك ، ولما جوز كتابة الصحف والألواح للصغار المتعلمين بغير الرسم العثماني ، ولصرح بذلك أيضا جميع الأئمة .

(الأمر الخامس) لو كان الرسم توقيفيا لنعتوه (بالرسم التوقيفي) أو (بالرسم النبوي) وما كانوا نعتوه (بالرسم العثماني) نسبة لعثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه .

فاستدلّاهم بأن زيد بن ثابت كتب كلمة (واخشوني) بالبقرة بإثبات الياء وكتبها في المائدة بحذفها في غير محله ، لأن ثبوت الياء أو حذفها يعلم من وقوف القارئ على الكلمة فإن وقف بالسكون على نون واخشوني كتبت بالنون فقط ، وإن وقف على الياء كتبت بالياء .

قال بعضهم :

إن مدار الرسم والكتابة معتبر بالوقف والبداء .

فزيد بن ثابت عرف ذلك من وقف النبي صلى الله عليه وسلم على الكلمة ، فعلم

مما ذكرناه أن رسم المصحف ليس توقيفيا ، وإنما هو من وضع الصحابة واصطلاحهم

لحكمة لم ندرها .

بقى علينا أن نعرف لماذا لم يكتبوا المصحف على قواعد الكتابة ، ولماذا لم يشوا في كتابته على وتيرة واحدة؟ هذا سؤال يجب أن يوجه إلى الصحابة الذين كتبوه بأمر عثمان رضي الله عنه ، وأتى يكون ذلك ؟ وقد ذهبوا إلى جوار ربهم الكريم ، ومن هنا يقول العلماء : إن رسم المصحف سر من الأسرار لم يطلع عليه أحد ، وإن خطه معجز كلفظه المقروء وإذا كان أهل القرن الأول وأهل القرن الثاني لم يعرفوا سرّ هذا الأمر كما سيأتي في الصحيفة التالية فكيف يعرفه المتأخرون عنهم بأكثر من ألف سنة ، فليس علينا إلا التسليم والاتباع بدون مناقشة ولا جدال .

هذا ولا تتوهمنّ عليهم السهو أو الخطأ في كتابة كلام الله تعالى ، وقد مرّ عليك بطلان ذلك في الفصل الثالث من الباب الثاني في ضبط وتصحيح المصحف الكريم بصحيفة ٦١ ، ولا يخطرنّ أيضاً ببالك أنهم ما كانوا يعرفون أصول الكتابة ، فلذلك اضطربوا في رسم المصحف فإن هذا وهم باطل كما سنقيم الدليل عليه في الفصل الخامس .



كتب المؤلف في الصورة العليا سورتي الفلق والناس بتمامهما بالخط الكوفي
وتحتها دعاء لطيف وبعض آيات قرآنية وأشعار أدبية ؛ وإذا أمعنت النظر
تجد فيها خمسة أنواع من الخطوط العربية ؛ وأما الصورة التي تحت الأولى
فقد كتب فيها هذين البيتين :

صَرَفْتُ زَمَانًا فِي فُنُونٍ جَمَعْتُهَا وَأَفْرَعْتُ جُهْدِي وَالْجُنُونُ فُنُونُ
فَلَمَّا تَجَلَّى الْأَمْرُ وَانْكَشَفَ الْغُطَا تَبَيَّنَ لِي أَنَّ الْفُنُونَ جُنُونُ

فإنه غفر الله له أحب أن يتفرغ لعبادة الله تعالى فيما بقي من حياته ؛ وهو يسأل الله الكبير المتعال أن
يوفقه لمراضاته وأن يشرح صدره لعبادته وأن ينور قلبه بالاشتغال بالقرآن وتدبر آياته حتى يخرج من هذه
الدنيا وهو على أحسن الأحوال محتوما له بالأعمال الصالحة وبالإيمان الكامل ؛ اللهم حقق له آماله بفضلك
ورحمتك يا أرحم الراحمين آمين .

وصلي الله على سيدنا محمد المختار وعلى آله وأصحابه البررة الأخيار وسلم تسليما كثيرا .

الفصل الرابع

في حكم اتباع رسم المصحف العثماني

حكم اتباع رسم المصحف العثماني بالاجوب باتفاق الأئمة قاطبة وإن لم ندرك حكمة كتابته على هذه الصورة من الرسم المخالف لقواعد الكتابة الإملائية ، وإليك تفصيل ذلك :

(قال بعضهم) لقد أجمع على كتابة المصاحف العثمانية اثنا عشر ألفاً من الصحابة رضي الله عنهم فيجب على كل مسلم أن يقتدي بهم ويفعلهم لقوله صلى الله عليه وسلم : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ » الحديث وقوله : « اقتدوا بالذين من بعدى أبي بكر وعمر فإنهما جبل الله الممدود ، من تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى » وقال البيهقي في شعب الإيمان : من يكتب مصحفاً فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف ولا يخالفهم فيه ولا يغير مما كتبوه شيئاً فإنهم كانوا أكثر علماً وأصدق قلباً ولساناً وأعظم أمانة ، فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكاً عليهم .

وسئل مالك رحمه الله تعالى^(١) : هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟ فقال : لا إلا على الكتبة الأولى رواه الداني في المتنع ، ثم قال ولا مخالف له من علماء الأئمة ، وقال في موضع آخر : سئل مالك عن الحروف في القرآن مثل الواو والألف أترى أن تغير في المصحف إن وجد فيه كذلك؟ قال لا ، قال أبو عمرو : يعنى الواو والألف المزيدين في الرسم المعدومتين في اللفظ نحو أولوا ، وفي رواية قال أشهب : سئل مالك فقيل له : أرايت من استكتب مصحفاً أترى أن يكتب على ما أحدثه الناس من الهجاء اليوم ؟ قال لا أرى ذلك ولكن يكتب على الكتبة الأولى^(٢) ، قال الداني في المحكم ، ولا مخالف لمالك في ذلك

(١) ولد الإمام مالك سنة ٩٥ هجرية وتوفي سنة ١٧٩ .

(٢) يفهم من هذا أن الأئمة في القرنين الأولين أدركت مخالفة الرسم العثماني لقواعد كتاباتهم ورغبوا في كتابة المصاحف على القواعد الكتابية فاستفتوا الإمام مالكا فلم يفتهم بجواز ذلك فامتثلوا وأطاعوا ، وماعلينا إلا اتباعهم والافتداء بهم .

من علماء الأئمة ، لأن ما روى عنه هو مذهب باقى الأئمة ومستند الأئمة الأربعة هو مستند الخلفاء الأربعة ، وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى ^(١) تحرم مخالفة خط مصحف عثمان فى واو أرباء أو ألف أو غير ذلك ، ونقل الجعبرى وغيره إجماع الأئمة الأربعة على وجوب اتباع هذا المرسوم .

قال القرطبى فى أوائل تفسيره : وقال أشهب سمعت مالكا ، وسئل عن العشور التى تكون فى المصحف بالحرة وغيرها من الألوان فكره ذلك ، وقال تعشير المصحف بالخبر لأبأس به ، وسئل عن المصاحف يكتب فيها خواتم السور فى كل سورة ما فيها من آية ، قال إني أكره ذلك فى أمهات المصاحف أن يكتب فيها شئ أو يشكل ؛ فأما ما يتعلم به الغلمان من المصاحف فلا أرى بذلك بأسا ، قال أشهب . ثم أخرج إلينا مصحفا لجلده كتبه إذ كتب عثمان المصاحف فرأينا خواتمه من خبر على عمل السلسلة فى طول السطور ورأيت معجوم الآى بالخبر اه . قوله معجوم الآى بالخبر : أى موضوع فى آخر كل آية نقطة من الخبر للفصل بين الآيات .

قال الخزاز فى مورد الظمان مشيراً إلى إجابة مالك :

وَمَالِكٌ حَضَّ عَلَى الْإِتِّبَاعِ لِفِعْلِهِمْ وَتَرْكِ الْإِبْتِدَاعِ
إِذْ مَنَعَ السَّائِلَ مِنْ أَنْ يُحَدِّثَا فِي الْأَمَّاتِ نَقْطَةً مَا قَدْ أُحْدِثَا
وَإِنَّمَا رَأَاهُ لِلصَّبِيَّانِ فِي الصَّحَفِ وَالْأَلْوَاكِحِ لِلْبَيَانِ
وَوَضَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ كُتُبًا كُلُّ يُمِينٍ عَنْهُ كَيْفَ كُتِبَا
أَجَلُّهَا فَاعْلَمْ كِتَابُ الْمُقْنَعِ وَقَدْ آتَى فِيهِ بَنْصَرٌ مُقْنَعٌ

قوله : وإنما رآه للصبيان الخ : أى إن مالكا رحمه الله جواز كتابة الألواح والصحف بغير الرسم العثماني للصغار الذين يتعلمون القرآن حتى لا يصعب عليهم التعليم ، وهذا القول عن مالك ذكره أيضا العلامة الشيخ محمد مكى نصر فى كتابه « القول المفيد فى علم التجويد » .

(١) ولد الإمام أحمد سنة ١٦٤ هجرية وتوفى سنة ٢٤١ .

وقال الشيخ محمد العاقب الشنقيطي رحمه الله تعالى :

رسمُ الكتابِ سنةٌ متَّبعةٌ كما نحا أهلُ المناحي الأربعة
لأنه إما بأمرِ المصطفى أو بإجماع الراشدين اختلفا
وكلُّ مَنْ بَدَّلَ مِنْهُ حَرْفًا بَاءٌ يَكْفُرُ أو عليه أَشْفَا^(١)

وقال القاضي عياض في آخر كتاب الشفا : أجمع المسلمون أن من نقص حرفا فاصدا
لذلك أو بدله بحرف آخر مكانه أو زاد فيه حرفا مما لم يشمل عليه المصحف الذي وقع عليه
الإجماع وأجمع على أنه ليس من القرآن عامدا لكل هذا أنه كافر اه كلامه ، وأيده
شرّاحه .

وقال الشيخ عبد الرحمن بن القاضي المغربي : ولا يجوز مخالفة مرسوم المصحف العثماني
ولا يلتفت إلى اعتلال من خالف بقوله : إن العامة لا تعرف مرسوم المصحف ويدخل عليهم
الخلل في قراءتهم في المصحف إذا كتب على المرسوم العثماني إلى آخر ما عللوا به ؛ فهذا
ليس بشيء لأن من لا يعرف المرسوم من الأمة يجب عليه أن لا يقرأ في المصحف حتى يتعلم
القراءة على وجهها ويتعلم مرسوم المصحف ، فإن فعل غير ذلك فقد خالف ما أجمعت عليه
الأمة ، وحكمه معلوم في الشرع الشريف ، ومن علل بشيء فهو مردود عليه لمخالفته للإجماع
المتقدم ، وقد تعدت هذه المفسدة إلى خلق كثير من الناس في هذا الزمان فليحتفظ من ذلك
في حق نفسه وحق غيره اه من إيقاظ الأعلام .

وجاء في كتاب «نهاية القول المفيد في علم التجويد» مانصه : أجمع أهل الأداء وأئمة
القراء على لزوم تعلم مرسوم المصحف العثماني فيما تدعو إليه الحاجة ، وقال الإمام الخراز
في كتابه عمدة البيان في الزجر عن مخالفة رسم المصاحف مانصه :

فواجبٌ على ذَوِي الأَذْهَانِ أَنْ يَتَّبِعُوا الْمَرْسُومَ فِي الْقُرْآنِ
وَيَقْتَدُوا بِمَنْ رَأَاهُ نَظَرًا إِذْ جَعَلُوهُ لِلْإِمَامِ وَزَرًا

(١) قال في المصباح : أشفيت علي الشيء بالألف : أشرفت .

وَكَيْفَ لَا يَصْحُحُ الْاِقْتِدَاءُ بِمَا أَتَى نَصًّا بِهِ الشَّاهِدُ
رَوَى عِيَاضٌ أَنَّهُ مِنْ غَيْرِ حَرْفًا مِنَ الْقُرْآنِ عَمْدًا كَفَرًا
زِيَادَةً أَوْ نَقْصًا أَوْ إِنْ بَدَلًا شَيْئًا مِنَ الرَّسْمِ الَّذِي تَأَصَّلًا

فَعَلِمَ مِمَّا سَبَقَ إِجْمَاعُ الْأُمَّةِ عَلَى عَدَمِ جَوَازِ كِتَابَةِ الْقُرْآنِ بِغَيْرِ الرَّسْمِ الْعُثْمَانِيِّ ، أَمَّا مَا ذَكَرَهُ
الدِّمِشْقِيُّ فِي كِتَابِهِ « إِتْحَافُ فَضَلَاءِ الْبَشَرِ فِي الْقُرْآنِ الْأَرْبَعَةَ عَشَرَ » بِأَنِّ شَيْخَ الْإِسْلَامِ
الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ قَالَ : لَا يَحُوزُ كِتَابَةُ الْمُصْحَفِ الْآنَ عَلَى الْمُرْسُومِ الْأَوَّلِ بِاصْطِلَاحِ الْأُمَّةِ
لَثَلَا يَوْقَعُ فِي تَغْيِيرِ مَنْ الْجَهَالِ ، فَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِ بَعْضُهُمْ بِقَوْلِهِ : وَهَذَا لَا يَنْبَغِي إِجْرَاؤُهُ عَلَى إِطْلَاقِهِ
لَثَلَا يُوْدَى إِلَى دَرَسِ الْعِلْمِ وَلَا يَتْرُكُ شَيْءٌ قَدْ أَحْكَمَهُ السَّلَفُ مِرَاعَاةَ لُجْهِلِ الْجَاهِلِينَ لِأَسِيَا وَهُوَ
أَحَدُ الْأَرْكَانِ الَّتِي عَلَيْهَا مَدَارُ الْقُرْآنِ (١) اهـ .

فَإِنْ قِيلَ : لِمَ لَمْ يَقُولُوا بِاتِّبَاعِ رَسْمِ الصُّحُفِ الْبَكْرِيَّةِ وَهِيَ كُتِبَتْ قَبْلَ مُصْحَفِ
عُمَانَ ؟ فَنَقُولُ : إِنْ مُصْحَفُ أَبِي بَكْرٍ كَانَ مَكْتُوبًا بِجَمِيعِ الْأَحْرَفِ السَّبْعَةِ وَلَا بَدَأَ أَنْ تَكُونَ
كِتَابَةُ كُلِّ حَرْفٍ مِنْهَا بِرَسْمٍ صَرِيحٍ لَا يَحْتَمِلُ قِرَاءَةَ حَرْفٍ آخَرَ ، وَإِنْ أَبَا بَكْرٍ لَمْ يَحْمِلِ
النَّاسُ عَلَى اتِّبَاعِ مُصْحَفِهِ لِعَدَمِ الضَّرُورَةِ إِلَى ذَلِكَ كَمَا سَبَقَ بَيَانُهُ (٢) ، فَإِنَّ النَّاسَ كَانُوا يَقْرَءُونَ
فِي زَمْنِهِ بِالْأَحْرَفِ السَّبْعَةِ فَكَانَ مُصْحَفُهُ الَّذِي جَمَعَهُ مَحْفُوظًا عِنْدَهُ ، ثُمَّ كَانَ عِنْدَ عُمَرَ ثُمَّ كَانَ
عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ ، فَلَمَّا مَاتَتْ غُسِلَ غَسَلًا فَلَمْ يَبْقَ لَهُ أَمْرٌ (٣) .

أَمَّا مُصْحَفُ عُمَانَ فَقَدْ اسْتَنْسَخَهُ مِنَ الصُّحُفِ الْبَكْرِيَّةِ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ فَقَطْ مِنَ
الْأَحْرَفِ السَّبْعَةِ وَهُوَ حَرْفُ قُرَيْشٍ ، وَتَرَكَ الْأَحْرَفَ السَّائِغَةَ الْبَاقِيَةَ خَشْيَةَ اخْتِلَافِ النَّاسِ
فِي الْقِرَاءَةِ وَأَمَرَ بِحَرْقِ جَمِيعِ الْأَلْوَاحِ وَالْمُصَاحِفِ غَيْرِ مُصْحَفِهِ الَّذِي جَمَعَهُ حَتَّى لَا تَكُونَ فِرْقَةٌ
وَلَا اخْتِلَافٌ ، وَحَمَلَ النَّاسُ عَلَى مُصْحَفِهِ وَوَافَقَهُ الصُّحَابَةُ عَلَى هَذَا الْعَمَلِ الْمُبْرُورِ ، فَصَارَ اتِّبَاعُهُ
وَاجِبًا فِي تَرْتِيبِهِ وَرَسْمِهِ ، وَأَنَّ كُلَّ مُصْحَفٍ مِنَ الْمُصَاحِفِ الَّتِي أَرْسَلَهَا عُمَانُ إِلَى الْمَدِينِ

(١) أَنْظِرِ الْفَصْلَ الْأَوَّلَ مِنَ الْبَابِ الرَّابِعِ لَتَقِفَ عَلَى مَا يَتَرْتَّبُ عَلَى مَخَالَفَةِ الرَّسْمِ الْعُثْمَانِيِّ .

(٢) أَنْظِرِ الْفَصْلَ الْأَوَّلَ مِنَ الْبَابِ الثَّانِي عِنْدَ جَمْعِ أَبِي بَكْرٍ لِلْقُرْآنِ .

(٣) تَقَدَّمَ فِي الْجُمُعِ الثَّلَاثِ سَبَبُ غَسْلِ الصُّحُفِ الْبَكْرِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بَعْدَ وَفَاتِهَا .

والأمصار كتب برسم غير رسم الآخر ليحتمل الرسم وجهاً من القراءات^(١)، فلما صار العمل على هذه المصاحف العثمانية قالوا بوجوب اتباع رسم أى مصحف منها، ولا بد أن يكون رسم مصحف عثمان موافقاً لرسم الصحف البكرية في حدود الحرف الواحد الذي جمع مصحفه عليه، وهو حرف قريش خصوصاً في حذف الألف من نحو الكتف والإنس وإسحق وإسماعيل، وزيادة الواو في نحو أولئك وأولوا وغير ذلك، والله تعالى أعلم بغيبه.

ومما يناسب هذا المقام ذكر أربعة أسئلة من الأسئلة التي كنا بعثناها لمشيخة المقارئ المصرية^(٢) مع الإجابة عليها.

(السؤال الأول) هل من ضمن القراءات المتواترة^(٣) قراءة روعى فيها رسم المصحف العثماني أم لا؟.

(فأجابنا عليه) شيخ القراء هناك فضيلة الأستاذ المحقق الشيخ على محمد الضباع^(٤) بقوله: رسم المصحف ركن من أركان القراءة، فكل قراءة مراعى فيها هذا الرسم. وقد وردت نصوص أئمة الأداء بأن أئمة القراءة بالكوفة وأبا عمرو المازني ونافع بن أبي نعيم المدني اعتنوا بمتابعة خط المصحف في الوقوف الاختبارية^(٥) لقصد توقيف القارئ على حقيقة رسمها، واستحسن ذلك المحققون لسائر القراء اهـ.

(والسؤال الثاني) هل يطلق على من كتب مصحفاً بقراءة من القراءات المتواترة أنه خالف رسم المصحف العثماني، وأنه ارتكب محظوراً أم لا؟.

-
- (١) انظر في آخر الفصل الثاني من الباب الثالث لتقف على علة اختلاف الرسم في المصاحف العثمانية.
- (٢) لما عزمنا على تأليف هذا الكتاب خطرت في بالنا جملة أسئلة عددها تسعة عشر سؤالا مما يتعلق بالقرآن الكريم فاستفتينا فيها مشيخة المقارئ المصرية؛ فأجابتنا عليها في اليوم العاشر من شهر شعبان عام ألف وثلاثمائة وثلاث وستين هجرية؛ ونحن نذكر في هذا الكتاب من تلك الأسئلة والإجابة عليها ما يناسب كل مقام، وسنذكر إن شاء الله تعالى في آخر الكتاب جميع الأسئلة والإجابة عليها تكملة للفائدة العامة.
- (٣) سيأتي بيان القراءات المتواترة في السؤال الثالث قريباً.
- (٤) الضباع بالضاد المعجمة والياء الموحدة المشددة.
- (٥) الوقف الاختباري بالياء الموحدة: هو اختبار القارئ ليعلم كيف يقف على رسم المصحف العثماني من مقطوع وموصول وثابت ومخدوف وتاء تأنيث لم تكتب بهاء.

(فأجابنا عليه) شيخ القراء المذكور بقوله: كاتب المصحف إذا رسم هجاء كلماته بصورها الرسمية على وجه مما أثر عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والزم فيما ورد فيه منها رسمان كل منهما لقراءة— ربما يطابق قراءة معينة من القراءات المتواترة، ثم ضبطه بأي طريق من طرق الضبط على وجه معتبر عند أهل الأداء، فلا يقال إنه خالف الرسم العثماني ولا إنه ارتكب محظورا وإن كانت الصورة التي أتى بها لانهكي صورة بعينها لمصحف من المصاحف الستة^(١) لأن المعتبر في متابعة الرسم العثماني تصوير الكلمة القرآنية على وجه أثر عن تلك المصاحف أو بعضها، وأما الضبط فقد جرى عمل المسلمين على الترخيص به دفعاً للالتباس ومنعاً للتحريف والخطأ في كلام رب العالمين . اهـ

(والسؤال الثالث) ماهي القراءات المتواترة وكم عددها وما أسماؤها، وما معنى القراءة الشاذة، وهل تصح الصلاة بها في أحد المذاهب أم لا، وما مثالا؟ وهل من يقرأ بها في غير الصلاة للتعبد يثاب عليها أم لا؟ فإن لم تصح الصلاة بها ولم يؤجر قارئها فما معنى كونها قراءة شاذة، وهل يترتب عليها حكم شرعي أم لا؟ .

(فأجابنا عليه) شيخ القراء المذكور بقوله: القراءات المتواترة هي كل قراءة صح سندها بنقل جماعة لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم من البداية إلى المنتهى، ووافقت العربية مطلقاً ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً، والذي جمع في زماننا هذه الأركان الثلاثة هو قراءة الأئمة العشرة^(٢) نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر، ويعقوب، وخلف، أخذها الخلف عن السلف إلى أن وصلت إلينا فقرأه أحدهم كقراءة باقيهم في كونها مقطوعاً بها . . . الخ ما أجابنا به شيخ القراء حفظه الله تعالى اهـ .

وقد اكتفينا بهذه النبذة من إجابته على سؤالنا المذكور المتشعب بياناً للقراءات المتواترة

(١) هذا على القول بأن المصاحف التي أرسلها عثمان بن عفان إلى الأمصار ستة وقد تقدم ذكر الاختلاف

في عددها فراجع في صحيفة ٧٩

(٢) سيأتي الكلام على ذكرهم وتاريخ وفاتهم في الفصل الأول من الباب الرابع .

ولم نذكر بقية الإجابة خوفاً من التطويل مع أنها نافعة قيمة ، كيف لا وهي صادرة من علامة محقق ؟ أ كثر الله من أمثاله ^(١) .

ولما كان في الإجابة بعض حمل تحتاج لزيادة الإيضاح رأينا أن نعقب عليها بشرح مختصر نقلناه من كتاب « عنوان البيان في علوم التبيان » وهو منقول عن الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى فنقول :

(قوله ووافقت العربية مطلقاً) أى ولو بوجه من وجوه النحو ، سواء كان أفصح أم فصيحاً مجعاً عليه أم مختلفاً فيه اختلافاً لا يضر مثله إذا كانت القراءة مما شاع وذاع وتلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح ؛ إذ هو الأصل الأعظم والركن الأقوم ، وكـ من قراءة أنكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم ولم يعتبر إنكارهم كإسكان بارئكم ويأمركم وخفض الأرحام والفصل بين المضافين في مثل (قتل أولادهم شركائهم) فإذا ثبتت الرواية لم يرد لها قياس عربية ولا فشو لغة ، لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها .

(وقوله ووافقت أحد المصاحف العثمانية) يعنى ما كان ثابتاً في بعضها دون بعض كقراءة ابن عامر « قالوا اتخذ الله ولداً » في البقرة من غير واو ، و « بالزبر وبالكتاب المنير » بزيادة الباء في الاسمين ، فإن ذلك ثابت في المصحف الشامي ، فإن لم يكن في شيء من المصاحف العثمانية فشاذ لمخالفته الرسم الجامع عليه .

(وقوله ولو تقديراً) كملك يوم الدين فإنه كتب في الجميع بلا ألف فقراءته بالألف توافقته تقديراً لحذفها في الخط اختصاراً وقد يوافق اختلاف القراءات الرسم تحقيقاً نحو تعلمون بالياء والياء ، ويغفر لكم بالياء والنون ونحو ذلك مما يدل تجرده عن النقط والشكل في حذفه وإثباته على فضل عظم الصحابة رضى الله عنهم في علم الهجاء خاصة وفهم ثاقب في تحقيق كل علم . اهـ من كتاب « عنوان البيان » للعلامة الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوى رحمه الله تعالى .

(١) انظر نص الإجابة بتأملها في آخر الكتاب .

ولقد طلبنا من الأستاذ الجليل مرجع القراء وعمدتهم عندنا بمكة المشرفة الشيخ أحمد ابن محمد التيجي رحمه الله تعالى إيضاح ما ذكر من إسكان بارئكم ، ويأمركم ، وخفض الأرحام ؛ والفصل بين المضافين في مثل « قتل أولادهم شركائهم » (فأجابنا بما يأتي) :
 إن أبا عمرو بن العلاء أحد أئمة القراء يقرأ كلمة (بارئكم) من قوله تعالى : (فَتَوْبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ) بإسكان الهمزة تخفيفاً ، ويقرأ كلمتي (يَأْمُرُكُمْ ، وَيَأْمُرُهُمْ) من قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) ومن قوله تعالى : (يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ) بإسكان الراء في الكلمتين للتخفيف ، وإن حمزة أحد أئمة القراء يقرأ كلمة (والأرحام) من قوله تعالى : (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ) بكسر الميم عطفًا على الضمير المحرور .

وأما قوله تعالى : (وَكَذَلِكَ زَيْنَ لَكثيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَ كَاؤُهُمْ) بسورة الأنعام فيقرأ ابن عامر أحد أئمة القراء زَيْنَ بضم الزاي فعل مجهول ، وقتل بضم اللام نائب فاعل ، وأولادهم بفتح الدال مفعول للمصدر ، وشركائهم بكسر الهمزة مضاف إليه وقتل هو المضاف وقد فصل بينهما بأولادهم ، والفصل بين المضاف والمضاف إليه لا يجوز عند أكثر النحويين إلا في الشعر ، لأن المضاف إليه بمنزلة جزء المضاف كما لا يجوز عندهم إسكان الهمزة من قوله تعالى : (فَتَوْبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ) وهو اسم محرور ، وإسكان الراء من قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ) وهو فعل مضارع مرفوع ، ولكن ثبوت القراءة بما ذكر عن هؤلاء الأئمة مقدم على القواعد النحوية فالقراءة هي الأصل المعتبر اه قول الشيخ التيجي رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

(والسؤال الرابع) هل يجوز إتلاف المصاحف المطبوعة على غير رسم المصحف العثماني أم لا وهل لها حرمة أم لا ؟ .

(فأجابنا عليه) شيخ القراء المذكور بقوله : إذا كان في المصحف المطبوع كلمات رسمت على خلاف الرسم العثماني المشهور ، وكانت هذه الكلمات مما يترتب على رسمها كذلك إخلال

بحكم من أحكام تلاوة القرآن كوصل ما أثر عن الرسم العثماني قطعه وعكسه أو كرسم هاء التأنيث التي يقتضى الرسم العثماني رسمها بالتاء هاء ، فخشية أن يتسرب التحريف إلى اللفظ الشريف يتعين إتلاف ذلك للمصحف إذا تعذر إصلاحه ، أما إذا كانت تلك الكلمات مما لا يترتب على رسمها كذلك إخلال بحكم من أحكام اللفظ كإثبات بعض الألفات أو الياءات أو الواوآت المحذوفات في الرسم العثماني لقصد الاختصار ، فلا بأس ببقائه واحترامه تبعاً لما جرى عليه بعض متأخري المشاركة من الترخيص بإثباتها تيسيراً على العامة وتنزيلاً لها منزلة الضبط لأنها تؤدي ما يؤديه ولم أر في ذلك نصاً يعتد به ، وهل تعدّ هذه الأحرف من القرآن أولاً؟ الظاهر من عمل العاديين أن منهم من عدّها مراعاة للفظ ، ومنهم من أسقطها مراعاة للخط العثماني ، وهذا أولى وأحوط محافظة على المرسوم وخشية أن يزاد في القرآن ما ليس منه .

انتهت الأسئلة الأربعة والإجابة عليها ، وسيأتى في آخر الكتاب جميع الأسئلة والأجوبة .
 (خلاصة ما تقدم) أن الواجب علينا اتباع رسم المصحف العثماني وتقليد أئمة القراءات خصوصاً علماء الرسم منهم والرجوع إلى دواوينهم العظام كالمنع لأبي عمرو الداني والعقيلة للشاطبي ، فإن أئمة القراءات المتقدمين قد حصروا مرسوم القرآن الكريم كلمة كلمة على هيئة ما كتبه الصحابة في المصاحف العثمانية ، ونقلوا ذلك بالسند المتصل عن الثقات العدول الذين شاهدوا تلك المصاحف .

هذا ، ولقد بحثنا كثيراً في دور الكتب « الكتبخانات » بالحجاز ومصر عن نفس المصاحف العثمانية فلم تقف على خبر موثوق نطمئن إليه بوجودها .

ولقد جاء في خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى للسهمودي أنه في الحريق الأول الذي حصل للمسجد النبوي سنة ستمائة وأربع وخمسين للهجرة كان من جملة ما احترق الكتب والمصاحف ولم يسلم من الحريق سوى بعض أشياء منها المصحف الشريف العثماني . . . الخ فعلى هذا كان المصحف العثماني موجوداً بالحرم النبوي بالمدينة المنورة إلى التاريخ المذكور ثم لا يعلم أحد أين ذهب ، ويقول بعض من نعاصرهم : إنه كان موجوداً بالمدينة المنورة إلى أن خرج الأتراك من الحجاز عام ألف وثلاثمائة وأربع وثلاثين ، وإنه ربما نقل إلى الآستانة .

ولقد رأينا في « مجلة الدنيا وكل شيء » التي تصدر بمصر في كل أسبوع مرة واحدة بتاريخ ٢٨ جمادى الثانية عام ١٣٥٧ هـ الموافق ٢٤ أغسطس عام ١٩٣٨ أن حكومة ألمانيا ستعيد في ستة أشهر من تنفيذ المعاهدة الحالية إلى حكومة ملك الحجاز النسخة الأصلية لمصحف الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه والتي أخذت من المدينة المنورة بواسطة القوات الأتراك وثبت أنها سلمت للإمبراطور السابق غليوم الثانى هذا ما وقفنا عليه في هذا الشأن^(١).

فوائد اتباع الرسم العثمانى

اعلم أن في اتباع الرسم العثمانى جملة فوائد (منها) وقوف الناس على كيفية كتابة المصاحف في ابتداء الأمر (ومنها) النص على بعض اللغات الفصيحة ككتابة هاء التأنيث تاء على لغة طيء وكحذف ياء (يوم يأت لاتكلم نفس) على لغة هذيل (ومنها) إفادة المعانى بالقطع والوصل في بعض الكلمات نحو (أم من يكون عليهم وكيلا) فإن قطع أم عن من يفيد معنى بل دون وصلها بها (ومنها) أخذ القراءات المختلفة من اللفظ المرسوم برسم واحد نحو (وما يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ) فلو كتبت وما يخادعون لفاتت قراءة وما يخدعون (ومنها) عدم الاهتداء إلى تلاوته على حقه إلا بالتلقى شأن كل علم نفيس يتحفظ عليه اه من إجابة مشيخة المقارئ المصرية لأسئلتنا. وفي آخر الكتاب تجد نص جميع الأسئلة والإجابة عليها.

الرد على الإفرنج

القائلين باستنباط القراءات من الرسم

يقول بعض المستشرقين من الإفرنج أمثال جولدم زيهر اليهودى ونولدكة الألماني المولود عام ١٨٣٦م^(٢) إن رسم المصحف هو الأصل وإن القراءات تابعة له نشأت عن عدم وجود الشكل والنقط أى (الحركات والإعجام) في الحروف والكلمات أيام الصحابة فنحن نرد هنا

(١) الظاهر أن هذه الحكاية لا أصل لها بتاتا؛ فصحف عثمان بن عفان رضى الله عنه إن لم يكن محفوظاً في المتاحف التركية فلا وجود له أصلاً ومن المستحيل وجوده لدى الإفرنج والله تعالى أعلم به وبغيبه .

(٢) كان بدء اهتمام الإفرنج باللغة العربية من القرن العاشر للميلاد ثم زاد اهتمامهم باللغات الشرقية كالعربية والتركية والفارسية وتخصص أناس منهم في دراستها فترجموا كثيراً من العلوم إلى لغاتهم ، ومن القرن الثامن عشر للميلاد إلى الآن نبغ كثيرون منهم . وقد ذكر جورجي زيدان في كتابه : تاريخ آداب اللغة العربية ؛ أسماء طائفة من المستشرقين وأعمالهم فراجع إن شئت .

على قولهم هذا بالبرهان القاطع حتى لا يتوهم ذلك أحد من المسلمين ، وأنى لهؤلاء الإفرنج أن يفهموا كلام رب العالمين وشرعية خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم وهم قد كفروا به ؟ ، ولئن استمعنا إلى فلسفتهم وآرائهم في بعض المواضع لاسمح لهم أن يتناولوا الأبحاث الدينية الإسلامية ويخوضوا في المسائل الدقيقة المهمة ، على أننا لانفكر للغربيين نظرياتهم الصائبة في بعض النواحي التاريخية واستكشافاتهم العظيمة للآثار العمرانية ، ومخترعاتهم الهائلة في المصالح الحيوية ، وإنما ننكر عليهم الخوض في الأبحاث الدينية الإسلامية لأنها غير مبنية على التصورات العقلية والتخيلات الفكرية ، بل إنها مبنية على قول الله تبارك وتعالى وعلى سنة نبينا العربي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ، وهم لا يؤمنون بكتاب الله ولا يقرّون رسالة نبينا ، ولا يعرفون من اللغة العربية ودقائقها ما يعرفه أهلها ، فمن الإنصاف والعدل أن يرجعوا إلى كبار علمائنا الأعلام فيما يشكل عليهم من الأمور إذا ما أرادوا الوصول إلى الحقيقة . وإليك فساد رأيهم في بحث القراءات . اعلم أننا لو أخذنا بقولهم هذا للزم أن الصحابة والتابعين هم الذين استنبطوا هذه القراءات من رسم المصحف العثماني ، فعليه يكون قد تطرق التحريف والتبديل في القرآن العظيم وهذا مستحيل بصريح قوله تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) وقوله جل جلاله : « وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) .

وحاشا لله أن يتهاون الصحابة أو يعملوا برأيهم في أمر من أمور الدين فضلا عن القرآن الكريم الذي هو أساس الدين الإسلامي الحنيف ، وإنما هم تلقّوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مشافهة وسماعا كلمة كلمة ، وآية آية ، وسورة سورة بالقراءات التي تدخل في معنى حديث « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه » .

ولقد وصل إلينا القرآن المجيد من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتواتر القطعي والإسناد الصحيح عن الثقات العدول والعلماء الفحول طبقة بعد طبقة ؛ فالقراءات مأخوذة من النبي صلى الله عليه وسلم مشافهة وسماعا وليست مستخرجة من رسم المصحف ، بل الرسم (٨ - تاريخ القرآن)

تابع لها مبنى عليها ، وأى دليل أعظم على هذا مما وقع لعمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم حينما سمعه يقرأ سورة الفرقان على حروف كثيرة لا يعرفها عمر ، ومما وقع لأبي بن كعب في المسجد مع الرجلين اللذين قرأ كل منهما سورة النحل في الصلاة بقراءة تخالف قراءة أبي ، ومما وقع لعبد الله بن مسعود مع رجل سمعه يقرأ قراءة تخالف قراءته ، ومما وقع كذلك مع غير هؤلاء ، فيحتكمون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقرّ كلا منهم على قراءته ويقول : « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فافقهوا ما تيسر منه » وتفصيل ما وقع هؤلاء الصحابة الأجلاء مذكور في الفصل الخامس في نزول القرآن على سبعة أحرف فراجعوه وهو بصحيفة ٨١ .

ولقد أنعمنا النظر فوجدنا أنه لا يمكن أخذ القراءات من رسم المصحف العثماني إذ الرسم لم يوضع للدلالة على شيء منها ، وما جاء من قراءة بعض الكلمات بالغيبة والخطاب أو بالرفع والنصب إنما هو بالتلقي والأخذ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا لاحتمال ذلك من صورة الرسم الحالية من النقط والتشكيل في ذلك الزمن .
وإليك بيان ذلك ليتضح لك ما ذكرناه :

فمثلا قول الله تعالى : (أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ ... ^(١)) قرئ أم يقولون بالغيبة وأم تقولون بالخطاب ، وقوله تعالى : « وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ وَلَكِنْ أَتَيْتَ ... ^(٢) » قرئ يعملون بالغيبة وبالخطاب ، وقوله تعالى : (وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ . قُلْ مَنْ كَانَ ... ^(٣)) قرئ بالغيبة وبالخطاب ، وقوله : (وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا ... ^(٤)) قرئ بالغيبة وبالخطاب .

كل ذلك كان بالتلقي من النبي صلى الله عليه وسلم ، لا من رسم المصحف الذي يحتمل القراءة بالياء والتاء لعدم وجود النقط فيه ، فلو كان كذلك لقرئ قوله تعالى : (وَلَا تَنْفَعُهَا

شَفَاعَةً وَلَا هُمْ... (١) بالياء والتاء مع أنه ما قرئ إلا بقاء التانيث فقط بخلاف قوله تعالى :
(وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ...) (٢) فقد قرئ بالياء والتاء .

وقول الله تعالى : (فَبَشِّرْ نَاهَا بِاسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ اسْحَاقَ يَعْقُوبَ) (٣) قرئ
يعقوب بالنصب والرفع ، وقوله تعالى : (وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ وَلَنْ تَرْضَى
عَنْكَ ...) (٤) قرئ ولا تسأل بالرفع والجزم ، وقوله تعالى : (وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ
مُصَلًّى) (٥) قرئ بكسر الخاء وفتحها ، وقوله تعالى : (فَأَمْتَعَهُ قَلِيلًا ...) (٦) قرئ بالتشديد
والتخفيف ، وقوله تعالى : (وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ...) (٧) قرئ بتشديد ولكن
ونصب البر ، وقرئ بتخفيف ولكن ورفع البر .

كل ذلك كان بالتلقى من النبي صلى الله عليه وسلم لا من رسم المصحف الذي يحتمل
القراءة بالرفع والنصب أو بالكسر والجزم لعدم وجود الحركات في المصحف في ذلك الزمن ،
فلو كان كذلك لقرئ قوله تعالى : (إِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (٨)
بنصب فيكون مع أنه ما قرئ إلا بالرفع فقط ، بخلاف قوله تعالى : (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ
شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (٩) فقد قرئ فيكون بالرفع والنصب .

ثم إنه ما كل كلمة رسمت في المصحف العثماني لتدل على القراءات لكن أحياناً
توافق القراءات الرسم نحو : تعلمون بالتاء والياء ويغفر لكم بالياء والنون ، وفا كهين
وفكهين ، وأسرى وأسارى ، وتنادوهم وتفدوهم .

وأحياناً تقرأ الكلمة بحمالة وجوه بينما الرسم لا يدل على كل ذلك نحو كلمة (جبريل)
فقد قرئت بكسر الجيم وفتحها ، وقرئت جبرئيل بفتح الجيم والراء وبعدها همزة مكسورة ممدودة

(١) هذه الآية قبل (وإذا ابتلي إبراهيم ربه) بسورة البقرة .

(٢) هذه الآية بعد (أنأمرون الناس بالبر) بأربع آيات ، بسورة البقرة .

(٣) بسورة هود .

(٤) وه و٦ و٧ بسورة البقرة .

(٨) بآل عمران . (٩) بيس .

وقرئت جبرئيل بفتح الجيم والراء وبعدها همزة مكسورة غير ممدودة ، وكلمة (ميكال) قرئت بلا همزة وقرئت ميكائيل بهمزة مكسورة ممدودة ، وقرئت ميكال بهمزة مكسورة غير ممدودة . وأحياناً لا يرمز الرسم إلى شيء من القراءات وإن خالف قواعد الإملاء نحو : (لَا أَذْبَحَنَّهُ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ وَجَايٍ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ) بزيادة ألف في الكلمات الثلاث ونحو : (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ، وَبِأَيْتِكُمُ الْمَفْتُونِ) بزيادة ياء فيهما ونحو : سُبْحَنَ اللَّهِ ، وَسَلَامٌ عَلَيْكَ ، وَجَاءَ ، وفاءو بحذف الألف منها ، فهذه الكلمات ونحوها ليس فيها غير قراءة واحدة ، وهي التي تقرأها اليوم وإن جاء رسمها على خلاف القاعدة ^(١) .

فلم نذكرناه أن القراءات هي الأصل وأن الرسم تبع لها لا كما يقول المستشرقون من الإفرنج إنها ناشئة من الرسم وتابعة له ، ولا نعتقد أنه يوجد مسلم على وجه الأرض يأخذ بآرائهم المبنية على التخيلات ، ويترك أقوال أئمة المسلمين وعلمائهم المستندة إلى الكتاب والسنة .

الفصل الخامس

في معرفة الصحابة لقواعد الإملاء والكتابة

يعتقد كثير من الناس أن الصحابة رضوان الله عليهم ما كانوا يعرفون قواعد الإملاء وأصول الكتابة ويستدلون على هذا برسم المصحف العثماني حتى ابن خلدون يقول بهذا في مقدمته ؛ على أنهم لو قالوا : إن الكتابة لم تكن منتشرة فيهم لكان أولى من نسبتهم إلى جهل أصولها وقواعدها مع أنها ما وصلت إلينا إلا منهم .

(١) أخذنا ما ذكرناه من أوجه القراءات من الأستاذ الجليل الشيخ أحمد التيجي رحمه الله تعالى المتقدم ذكره في الفصل الخامس من الباب الثاني .

ونحن نعتقد اعتقاداً جازماً بأن الصحابة كانوا يعرفون قواعد الإملاء والكتابة حق المعرفة^(١) ، ونستدل على قولنا هذا استدلالاً فنياً بثلاثة أمور .

(الأمر الأول) قال الألوسي في تفسيره روح المعاني ما نصه : والظاهر أن الصحابة كانوا متقنين رسم الخط عارفين بما يقتضى أن يكتب وما يقتضى أن لا يكتب ، وما يقتضى أن يوصل وما يقتضى أن لا يوصل إلى غير ذلك ، لكن خالفوا القواعد في بعض المواضع لحكمة اه .

قوله في بعض المواضع : أى من القرآن الكريم ورسم كلماته ، فالألوسي وهو العالم المتبحر وصاحب التفسير الكبير لا يقول هذا إلا بعد النظر والتحقيق وإن لم يذكر الشواهد التي تؤيد قوله .

(الأمر الثانى) مما لا يخفى على أحد أن الصحابة كانوا يرسلون الملوك والأمراء في مهمات الأمور ، وكانوا يكتبون فيما بينهم العقود والمستندات من بيع وشراء وضمان وعطاء ، فلو كتبوا هذه الأمور على غير قواعد الإملاء والكتابة ، لأدى ذلك إلى الالتباس والخطأ في فهم مرادهم ، مع أن الحروف والكلمات ما وضعت إلا لتدل على الكلام الملفوظ^(٢) ، فإن اختلفت كتابته اختلف اللفظ فاختلف المعنى فاختلط الأمر عليهم .

وأى دليل أعظم على نباهة العرب قبل اختراع الحركات « التشكيل » من تفرقتهم في الكتابة بين عمر و بين عمرو بزيادة الواو في الاسم الأخير لئلا يحصل لبس واشتباه ، فلو تأملت لم اختاروا الواو علامة للتفرقة بين الاسمين دون غيرها من الأحرف الهجائية لظهر لك ذكاؤهم المفرط وقوة تفكيرهم في ذلك ، فإنه لن يصلح لهذا غير حرف الواو فقط . على أن بعض كتاباتهم وخطوطهم لازالت محفوظة لدينا ، ففي دار الكتب العربية بمصر يوجد كثير من كتابة القرن الأول والقرون التي تليه على الأحجار والجلود والأوراق

(١) لا ننكر أن الأمية كانت متغلبة عليهم والتعليم لم يكن منتشراً بينهم ؛ لكن نقول إن المتعلمين منهم كانوا متقنين القراءة والكتابة على الوجه الصحيح والقواعد المرعية كما سيظهر لك في هذا الفصل .

(٢) ولذلك عرفوا الخط بأنه تصوير اللفظ بحروف هجائية .

البُزْزِيَّة^(١) ، وقد شاهدناها بأنفسنا حين إقامتنا بها^(٢) وقرأناها فلم نجد فيها خطأ إملائيًا ، ولا غلطة كتابية ، وكنا نرغب أن نضع هنا صورة صحيفة من القرآن الكريم المكتوب في عهد الصحابة ورسم شيء من خطوطهم غير أن ظروف الحالة لم تساعدنا على ذلك لكن وضعنا بعض ذلك في كتابنا تاريخ الخط العربي وآدابه فراجعه إن شئت .

ولا نذهب بك بعيدا فهذه جبال الحجاز كم توجد في صخورها وأحجارها من كتابات الصحابة وخطوطهم خصوصا في المدينة المنورة ومكة المشرفة والطائف المأنوس ، ولقد وقفنا عليها في هذه الأما كن فعجبنا من حسن خطها وصحة كتابتها وتحقيق حروفها ، وقد كتبت بأنواع متعددة من الخط الكوفي، نرجو الله أن يحفظها من التلف ، فإن كثيرا من الكتابات على الصخور لم يبق لها أثر ، لأن الناس يكسرونها إلى قطع لبناء البيوت^(٣) كما شاهدنا في صخور بعض الشعاب والجبال من الكتابات التي يرجع عهدها إلى ما قبل الإسلام ، وغالبا هي مكتوبة بالحروف الحميرية أو المسند فإننا لم نتحقق من ذلك لأنه يحتاج إلى التخصص والفراغ التام .

وقد استنتجنا من رؤيتنا لها أن هذه الأما كن التي هي بين الجبال كانت في يوم من

(١) كان الورق البردي يصنع قديما من لب السيقان الطويلة للنبات المعروف باسم (سيبرس بايبرس) بعد جعله شرائح رقيقة تصف بجانب بعض ليتكون منها طبقة ثم تصقل بعد ذلك فتصير صحيفة رقيقة ، وقد بينا ذلك في كتابنا (تاريخ الخط العربي وآدابه) المطبوع بمصر .

(٢) ذهبنا من مكة المكرمة إلى مصر عدة مرات (الأولى) بصحبة والدنا رحمه الله تعالى وكان عمرنا ثمانية عشر سنة وذلك عام ١٣٤٠ للهجرة لطلب العلم بالأزهر الشريف وقد مكثنا به سبع سنين كانت من أبرد وأفضل أيام حياتنا ظاهرا وباطنا وشه الحمد (والثانية) كانت في عام ١٣٥٣ ومكثنا بها سنتين (والثالثة) كانت في عام ١٣٦٥ ونحن في طريقنا إلى بلاد الأكراد عن طريق حيفا ودمشق وبغداد (والرابعة) كانت في عام ١٣٦٧ لطبع بعض مؤلفاتنا (والخامسة) كانت في عام ١٣٦٩ لطبع بعض المؤلفات أيضا (والسادسة) كانت في عام ١٣٧٢ لإعادة طبع كتابنا هذا : تاريخ القرآن ؛ وفي هذه المرة كان معي أهلي وأطفالي منهم ولدى عبد الرحمن وقد أكل السنة ودخل في الثانية أنبته الله نباتا حسنا . وجعله من سعداء الدارين

(٣) حيفا لو أمرت الحكومة بمنع العمال من إتلاف الصخور والأحجار المكتوبة ؛ فبن في حفظها فوائد جمة كما أفادتنا رؤيتنا لها في هذا الموضوع المهم .

الأيام مساكن لأقوام نزلوا بها ، ولا يبعد أن يعثر الباحث بين هذه الجبال على كهوف وغيران تحتفظ في زواياها على آثارهم وكنوزهم كما رأى بعضهم ذلك ^(١) .

(الأمر الثالث) إن الخط الكوفي وصل إلى الحجاز من أهل الحيرة والأنبار (وهما من مدن العراق) ووصل إليهما من طارى طراً عليهم من اليمن ، فالصحابه رضي الله عنهم كانوا يكتبون بالخط الكوفي الذي هو فرع من الخط الحميري العربي القديم الذي كان منتشرا باليمن ، وليس من المعقول أن الخط الحميري الذي هو أساس الخط العربي لا يكون له أصول وقواعد معروفة ، بل إن للخطوط التي هي أقدم من الخط الحميري بآلاف السنين قواعد تامة لا تخفى على من تخصص بفك طلاسمها وترجمتها في وقتنا الحاضر ، وذلك كالخط الهيرغليني بأنواعه الثلاثة والفينيقي والآشوري والسرياني .

ولقد أجمع المؤرخون على أن أول من أدخل الكتابة إلى مكة المشرفة حرب بن أمية ^(١) .

(١) روى ابن كثير في الجزء الثاني من تاريخه عند ذكر أخبار عبد الله بن جدعان وبعد أن ساق نسبه قال : وهو ابن عم والد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان من الكرماء الأجواد في الجاهلية المطيعين للمستنين وكان في يده أمره فقيرا ملقا وكان شريرا يكثر من الجنائيات حتى أبغضه قومه وعشيرته وأهله وقبيلته وأبغضوه حتى أبوه فخرج ذات يوم في شعاب مكة حائرا بائرا فرأى شقا في جبل فظن أن يكون به شيء يؤذى فقصده لعله يموت فيستريح مما هو فيه ؛ فلما اقترب منه إذا ثعبان يخرج إليه ويثب عليه فجعل يحيد عنه ويثب فلا يغنى شيئا فلما دنا منه إذا هو من ذهب وله عينان هما ياقوتتان فكسره وأخذه ودخل الغار فإذا فيه قبور لرجال من ملوك جرهم ومنهم الحارث بن مضاض الذي طالت غيبته فلا يدرى أين ذهب (ومضاض هو ابن عمرو الجرهمي وهو أول من صار إليه أمر البيت بعد نابت بن إسماعيل عليه السلام وقد تزوج إسماعيل بنت مضاض فجاءته باثني عشر بنتين) ووجد عند رؤوسهم لوحا من ذهب فيه تاريخ وفاتهم ومدد ولايتهم وإذا عندهم من الجواهر واللائي والذهب والقضة شيئا كثير ؛ فأخذ منه حاجته ثم خرج وعلم باب الغار ثم انصرف إلى قومه فأعطاهم حتى أحبوه وسادهم وجعل يطعم الناس وكلما قل ما في يده ذهب إلى ذلك الغار فأخذ حاجته ثم رجع وكانت له جفنة يأكل منها الراكب علي بعيره ووقع فيها صغير ففرق ... الخ اه من تاريخ ابن كثير .

(٢) وترجمته : هو حرب بن أمية بن عبد شمس جد معاوية بن أبي سفيان ، تعلم الخط من بشر بن عبد الملك حيث كان له صحبة بحرب بن أمية لتجارته عندهم في بلاد العراق وقد سافر بشر معه إلى مكة فتزوج الصبية بنت حرب المذكورة أخت أبي سفيان ، وقد تعلم الخط من حرب المذكور جماعة منهم عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله وغيرهم رضي الله عنهم ؛ وحرب هذا كان قائد قريش كلها يوم الفجار وهو الذي تحمل الديات من ماله حينما دعا الناس إلى الصلح في ذلك اليوم ورهن لسدادها ولده أباسفيان وكان =

ابن عبد شمس بن مناف القرشي وهو تعلمها في أسفاره من عدة أشخاص ، منهم بشر بن عبد الملك^(١) ثم تعلم منهما جماعة من قريش بمكة .

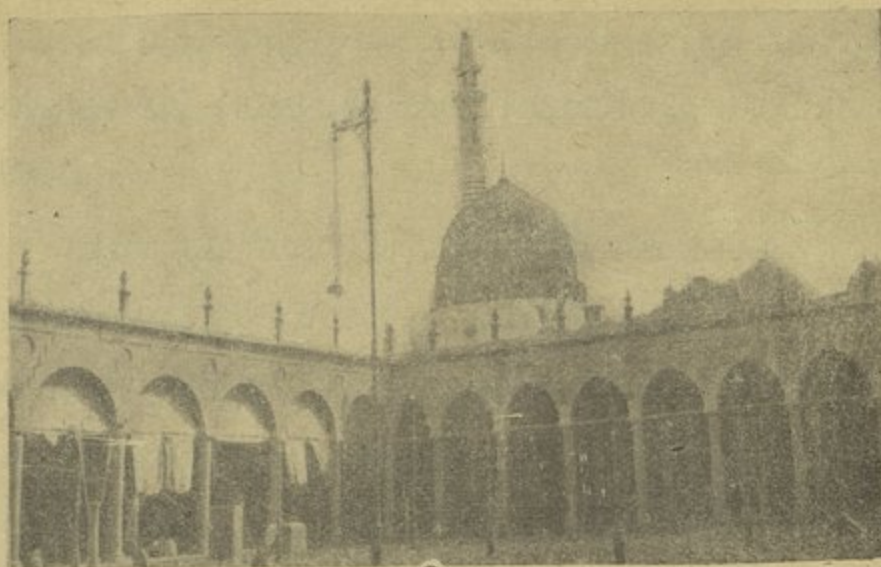
أما المدينة فقد ذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلها وكان فيها يهودى من يهود ماسكة يعلم الصبيان الكتابة وكان فيها بضعة عشر رجلا يعرفونها : منهم زيد بن ثابت وكان يكتب العربية والسريانية ، ثم انتشرت الكتابة بالمدينة أكثر من انتشارها بمكة بتجريس النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد روى أنه أمر عبد الله بن سعيد بن العاص أن يعلم الناس الكتابة ، وجاء عن عبادة بن الصامت قال : علمت ناساً من أهل الصفة الكتابة والقرآن ، ولقد جعل المسلمون فدية الكاتب من أسارى غزوة بدر الكبرى تعليم عشرة من صبيان المدينة وبذلك كثرت المتعلمون ، حتى بلغ عدد كتابه صلى الله عليه وسلم نحو أربعين رجلاً .

ومن بدء الهجرة إلى أمر عثمان رضى الله عنه بجمع القرآن يكون قد مرّ ربع قرن أفلا يكون التعليم منتشرًا في هذه المدة ، فهل بعد هذا نقول : إن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ما كانوا يعرفون قواعد الكتابة والإملاء ، ومن أراد زيادة الإيضاح عن دخول الخط في الحجاز ، فعليه بمراجعة كتابنا تاريخ الخط العربى وآدابه وهو مطبوع بمصر .

== حرب يسمر مع عبد المطلب بن هاشم وقد دامت الألفة بينهما طويلاً من الجزء الثاني من محاضرات الخضرى بزيادة وتصرف ؛ وفي كتاب الأعلام : تزعم العرب أن الجن قتله بشار حية ، وفيه قال الشاعر :

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

وقد فاتنا أن نذكر ترجمته هذه عند ذكر اسمه في كتابنا « تاريخ الخط العربى وآدابه » المطبوع بمصر .
(١) وترجمته : هو بشر بن عبد الملك أخو أكيدر بن عبد الملك بن عبد الجندى ثم السكونى صاحب دومة الجندل ؛ كان بشر المذكور يأتي الحيرة فيقيم بها الخين ، وكان نصرانياً فتعلم الخط العربى من أهل الحيرة ثم أتى مكة في بعض شأنه فرآه سفيان بن أمية بن عبد شمس وأبو قيس بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب يكتب فسألاه أن يعلمهما الهجاء ثم أراهما الخط فكتب ، ثم إن بشرا وسفيان وأبا قيس أتوا الطائف في تجارة فصحبهم غيلان بن سلمة الثقفى فتعلم الخط منهم وفارقهم بشر ومضى إلى ديار مضر فتعلم الخط منه عمرو بن زرة بن عدس فسمى عمرو الكاتب ثم أتى بشر الشام فتعلم الخط منه ناس هناك اه بتصريف من كتاب فتوح البلدان للبلاذرى .
وفاتنا أن نذكر ترجمته هذه عند ذكر اسمه في كتابنا تاريخ الخط العربى وآدابه .



صورة جزء من المسجد النبوي وقد ظهرت المنارة والقبة التي على القبر الشريف
ويرى الحمام يلتقط الحبوب من أرض المسجد .

(فإن قيل) حيث ثبت أنهم كانوا يعرفون قواعد الكتابة ، فلم اضطربوا في كتابة بعض الكلمات في المصحف العثماني ؟ (نقول) إن هذا الأمر هو اللغز الذي جعل الأفكار حائرة لم تهتد إلى حله فحول العلماء وكبار العقلاء ، ومن هنا نسبوا إلى الصحابة الجاهل بقواعد الكتابة ، فلو نظروا إلى كتاباتهم العامة المتداولة بينهم لما نسبوا ذلك إليهم (وإن قيل) إن قواعد الإملاء والنحو والصرف وضعها علماء الكوفة وعلماء البصرة^(١) (نقول) نحن

(١) إمام البصريين هو سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر ، واختلف في تاريخ وفاته ف قيل سنة ١٨٨ وقيل غير ذلك ؛ وإمام الكوفيين هو : الكسائي علي بن حمزة أحد القراء العشرة ، واختلف في تاريخ وفاته أيضا ف قيل سنة ١٩٢ وقيل غير ذلك . ولقد جرى بينهما جدال طويل في بعض قضايا النحو فتشيع لسيبويه أهل البصرة والكسائي أهل الكوفة ؛ وبسبب ذلك نشأ الخلاف بين النحويين وإيجاد المذهبين مذهب البصريين ومذهب الكوفيين ثم جاء بعدهما أئمة زادوا في تلك القواعد .

لأنكر ذلك ، ولكن ليس المعنى أنهم اخترعوا تلك القواعد من عند أنفسهم ، كلا ، وإنما وضعوا نصب أعينهم لغة العرب وكتابتهم فبنوا عليها قواعدهم واستنتجوها منها حتى يكون النطق مطابقا لنطقهم والكتابة موافقة لكتابتهم ، فالقواعد دائرة على لغة العرب وكتابتهم لا العكس .

والحقيقة أن قواعد كتاباتنا وشكل خطوطنا مأخوذة عن العرب الأقدمين ، ومهما تعددت أنواعها وتطورت صورها فالأصل واحد لم يتغير ، ولو أردنا بسط هذا الكلام بحسب فن الخطوط لخرجنا عن الموضوع الذي نحن بصدده ، فتأمل ما ذكرناه لك جيدا فإنه مبحث نفيس لا تجده في غير كتابنا هذا ، والله الموفق للصواب .

فهل بعد هذه الأدلة ننسب إلى الصحابة الجهل بقواعد الكتابة والإملاء ؟ حاشاكم من ذلك ، وهم أنجم الهدى وأئمة الدين واللغة والكتابة .

(ومن اللطائف المناسبة لهذا المقام) : ما يروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه لقي أعرابيا فسأله هل تحسن القراءة ؟ قال نعم ، فقال : اقرأ بأمر القرآن ، فقال الأعرابي : والله ما أحسن البنات فكيف الأم ؟ فضربه عمر بالدرة (بكسر الدال وتشديد الراء : هى السوط) وأسأله إلى الكتاب ليتعلم فكث فيه حيناً ثم هرب ، فلما رجع لأهله أنشدهم :

أَتَيْتُ مُهَاجِرِينَ فَعَلِمُونِي ثَلَاثَةَ أَسْطُرٍ مُتَّابِعَاتٍ
كِتَابَ اللَّهِ فِي رَقٍّ صَحِيحٍ وَآيَاتِ الْقُرْآنِ مَفْصَّلاتٍ
وَحَطُّوا لِي أَبَا جَادٍ وَقَالُوا : تَعَلَّمْ سَعْفَصًا وَقُرَيْشَاتٍ
وَمَا أَنَا وَالْكِتَابَةَ وَالتَّهَجِّي وَمَا حَطَّ الْبَنِينَ مَعَ الْبَنَاتِ

وفى عنوان البيان : إن أوّل من جمع الأولاد فى المكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وأمر عامر بن عبد الله الخزازى أن يلازمهم للتعليم ، وجعل رزقه من

بيت المال ، وأمره أن يكتب للبليد في اللوح ، ويلقن الفهم من غير كتب ، وسأله
تخفيف التعليم ، فأمر المعلم بالجلوس بعد صلاة الصبح إلى الضحى العالى ، ومن صلاة
الظهر إلى صلاة العصر ويستريحون بقية النهار ، ولما خرج رضى الله عنه إلى الشام
عام فتحها ومكث شهراً ، ثم رجع إلى المدينة وقد استوحش الناس منه فخرجوا للقائه
تلقاه الصغار على مسيرة يوم ، وكان ذلك يوم الخميس فباتوا معه ورجع بهم يوم الجمعة
فتعبوا في خروجهم ورجوعهم ، فشرع لهم الاستراحة في اليومين المذكورين فصار ذلك
سنة متبعة ، ودعا بالخير لمن أحيا هذه السنة ، انظر الفواكه الدواني على رسالة أبى زيد
القيروانى اه من عنوان البيان .

الباب الرابع

وفيه فصولان

الفصل الأول

فيما لو كتبنا القرآن الكريم بقواعد كتاباتنا

يقول بعض المتعلمين : لو كان نسخ القرآن وطبعه بقواعد كتاباتنا لكان أولى وأحسن من الرسم العثماني ، وكما سبق أنه لا يجوز ذلك بإجماع الأمة والعلماء فإننا نبين في هذا الفصل ما يترتب على قولهم هذا فنقول :

إننا لو كتبنا القرآن على طريقتنا المألوفة لأدّى ذلك إلى ذهاب شئ من وجوه القراءات إذ من القواعد المقررة عند الأمة أن الوقف الاختباري على كلمات القرآن يتبع الرسم العثماني والوقف الاختباري بالباء الموحدة كما تقدم : هو اختبار القارى ليعلم كيف يقف على رسم المصحف العثماني من مقطوع وموصول وثابت ومحذوف وتاء تأنيث لم تكتب بهاء .

فمثلا إن كلمة (الضعفاء) مرسومة في المصحف العثماني بصورتين :

(الصورة الأولى) كما تراها بألف بعد الفاء ثم همزة على السطر ؛ فهذه وما رسم مثلها لا اختلاف بين أئمة القراءات ^(١) في الوقف عليها بالهمز تبعاً للرسم ماعدا حمزة وهشام فيقفان عليها بالألف ولا ينظران إلى الهمز ^(٢) .

(١) أئمة القراءات عشرة ، وهم : أبو عمرو بن العلاء المتوفى سنة ١٥٤ هجرية ، وعبد الله بن كثير المتوفى سنة ١٢٠ هـ ، ونافع بن نعيم المتوفى سنة ١٦٩ هـ ، وعبد الله بن عامر المتوفى سنة ١١٨ هـ ، وعاصم بن بهدلة الأسدي المتوفى سنة ١٢٨ هـ ، وحمزة بن حبيب الزيات العجلي المتوفى سنة ١٥٦ هـ ، وعلي بن حمزة الكسائي إمام النحاة المتوفى سنة ١٨٩ هـ ، وأبو جعفر بن يزيد القعقاع المدني المتوفى سنة ١٣٢ هـ ، ويعقوب بن إسحاق الحضرمي المتوفى سنة ١٨٥ هـ ، وقيل سنة ٢٠٥ هـ ، وخلف بن هشام بن طالب (ولم نقف على تاريخ وفاته) .

(٢) إن قيل لم لم يقفوا على الهمزة اتباعاً للرسم ؟ قالوا وقفوا عليها بحسب ما تلقوا عن مشايخهم وهم عن مشايخهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحمزة هو ابن حبيب الزيات أحد أئمة القراءات ؛ وهشام هو ابن عمار وهو روي عن ابن عامر أحد الأئمة .

(الصورة الثانية) هكذا « الضَعْمُؤَا » بحذف ألف المدمن الفاء ووضع الهمزة على واو وألف بعدها ؛ فهذه وما رسم مثلها بالواو أو مارسم بالياء نحو « أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ » يقفون عليها بالهمز ولا ينظرون إلى زيادة الواو أو الياء في الرسم ماعدا حمزة وهشاما فإنهما يقفان على مارسم بالواو باثني عشر وجها : خمسة منها على القياس وسبعة على الرسم ، ويقفان على مارسم بالياء بإبدال الهمز ألفا بخمسة أوجه على الوجه القياسي ، وبأربعة أوجه على الرسمي ، ويعلم كل ذلك من علماء القراءات .

وإن كلمة (المَلَّأ) مرسومة بصورتين : (الصورة الأولى) كما تراها بوضع الهمزة على الألف ، فهذه وما رسم مثلها لا اختلاف بين القراء في الوقف عليها بالهمز تبعاً للرسم ماعدا حمزة وهشاما فيقفان بإبدال الهمز ألفاً ، ولهما رَوْمٌ حركة الهمزة فقط (والصورة الثانية) هكذا (المَلَّوْا) بهمزة على واو وألف بعدها فيقفون عليها بالهمز ولا ينظرون إلى زيادة الواو ، بخلاف حمزة وهشام فإنهما يقفان عليها بالوجهين المتقدمين ولهما الوقف بالواو فيقولون (المَلَّوْا) ولهما الرَوْمُ والإشمام ^(١) .

وإن كلمة (رحمت) المرسومة أحياناً بالتاء وأحياناً بالهاء ، فبعضهم يقف على التاء بحسب الرسم ، وبعضهم على الهاء بحسب الأصل ، ومثلها كل كلمة تشابهها نحو (نِعَمْتُ ، وَسُنْتُ وامرأت) .

وإن كلمة (إبراهيم) التي رسمت في البقرة هكذا (إبراهيم) فقد قرأها ابن عامر إبراهيم وقد ورد في غير البقرة قراءة إبراهيم إبراهيم أيضاً ، وذلك في بعض المواضع التي بيّنها الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى .

وإن كلمة (نُنَجِّر) في آية (كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّرُ الْمُؤْمِنِينَ) بيونس مرسومة

(١) الروم بفتح الراء : هو الإتيان بثلاث الحركات ، والاشمام : هو ضم الشفتين بعد إسكان الحرف .

يحذف الياء من الجيم بالاتفاق ، ولذا وقف كل القراء عليها بحذف الياء تبعاً للرسم ما عدا يعقوب فإنه يقف بإثباتها للدلالة على الأصل .

وإن كلمة (لَكِنَّا) في آية (لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي) بالكهف مرسومة بالألف وهي تحذف وصلاً عند جميع القراء بخلاف ابن عامر فإنه يمدّها ، أما في الوقف فإنهم يقفون عليها بالألف بالاتفاق حسب الرسم .

وإن كلمة (يُخَدِّعُونَ) من آية (يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا) لو رسمت بالألف هكذا (يُخَادِعُونَ) لفاتت قراءة يُخَدِّعُونَ .

وإن لفظ (كلمة) المرسوم بالتاء من آية (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا) لو رسمت بالألف على قراءة الجمع هكذا (كلمات) لفاتت قراءة الأفراد ، ولذلك رسموها بالتاء بدل الهاء .

أما الكلمات التي ترسم أحياناً متصلة وأحياناً منفصلة نحو : أنْ لَّا ، وأنْ لَوْ ، وبئسما ، وعمّا ، وكيلاً . فالوقف على الحرف الأخير بالاتفاق إن كانت متصلة ، وعلى الحرف الأول أو الثاني إن كانت منفصلة ، أي يكون القارئ مخيراً في ذلك اهـ ذكرنا هذه الأوجه من القراءات نقلاً عن الشيخ أحمد التيجي بمدرسة الفلاح بمكة رحمه الله تعالى .

والأمثلة المذكورة تكفي للبيب وتغني عن التطويل ، والحافظ للقرآن الكريم بجميع القراءات يعرف ما لا يعرفه غيره في هذا الموضوع ، فإذا فهمت ما شرحناه هنا ظهر لك خطورة نسخ القرآن العظيم بقواعد كتابتنا المألوفة ، نعم إذا كتبنا نحو هذه الكلمات المرسومة في المصحف العثماني هكذا : (ربّ العالمين ، الرؤيا ، إسماعيل ، الليل ، مال هذا الرسول ، هذا غلّ ، لا أذبحنه ، ولا تقولنّ لشيءٍ أَرَأَيْتَ الَّذِي ، وَأَلَوْ اسْتَقَمُوا) بحسب قواعد كتاباتنا هكذا (ربّ العالمين ، الرؤيا ، إسماعيل ، الليل ، مال هذا الرسول ، هذا غلام لا أذبحنه ، ولا تقولنّ لشيءٍ ، أَرَأَيْتَ الَّذِي ، وَأَنْ لَوْ اسْتَقَمُوا) .

لابأس به إذ لا يضر هذا التعديل البسيط ولا يحصل به إخلال بحكم من أحكام التلاوة لكن لم يجوز أحد من الأئمة والعلماء مخالفة الرسم العثماني في نسخ المصحف وطبعه مطلقاً ضرراً أو لم يضر ولم يستثنوا من هذا الحكم شيئاً من الكلمات .

الفصل الثاني

فيما لو اتبعنا رسم المصحف العثماني في كتاباتنا

لا يمكن لنا أن نتبع رسم المصحف العثماني في كتاباتنا العامة لأن مرسومه لا قاعدة له ، فالصحابة رضي الله عنهم ما مشّوا في كتابته على وتيرة واحدة ، فأحياناً يكتبون الكلمة في موضع بشكل ، وأحياناً يكتبونها في موضع بشكل آخر ، ولهذا قالوا : « خط المصحف لا يقاس عليه » .

نعم رسموا بعض كلمات في جميع القرآن على صورة واحدة ، وذلك نحو : « الملشكة الإنس ، الشيطان ، سلطان ، الصراط ، العالمين ، أسطير ، هذا ، ذلك ، هؤلاء ، أولوا ، أولئك » فإنهم حذفوا ألف المد من هذه الكلمات ، وزادوا واواً في أولوا وأولئك . ونحن نتبعهم في كتابة الكلمات الخمسة الأخيرة على ما رسموا ، غير أننا نحذف الألف من آخر كلمة أولو ، وأما في المصحف فبالألف هكذا : أولوا .

ولنذكر لك طائفة من الكلمات المتباعدة لفظاً المتباينة رسماً في هذا الجدول الآتي ليتضح لك ما ذكرناه من أن مرسومه لا قاعدة له .

جـ دُول

وفيه بعض الكلمات القرآنية المرسومة في المصحف العثماني
في موضع بشكل ، وفي موضع بشكل آخر

وَمَنْ يُعْظَمْ شَعِيرَ اللَّهِ	وَالسَّمَاءَ بَيْنَهَا بِأَيْدٍ	اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ
سُنَّتِ الْأَوَّلِينَ	عَلَّمُوا بَنِي إِسْرَءِيلَ	هِيَ عَصَا أَتَوَكَّوْا عَلَيْهَا
فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ	الَّذِينَ أَسْأَلُوا السُّوْأَى	أَوْ مِنْ وَرَأَى حِجَابٍ
لَا يَلُافُ قُرَيْشٍ إِلَهُ لِفِهِمْ	وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ	وَمَا دُعُوا الْكَافِرِينَ
لَكُمْ آيَةُ الثَّقَلَانِ	أَصْحَبُ لُثَيْكَةٍ	إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
لَتَنَخِذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا	امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قَرَّتْ	وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَنَّمَ
أَفْتَوْنِي فِي رُءْيَايَ	قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ	وَجَاءَهُ عَلَى قَيْصِهِ
رَحِمَتْهُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ	ثَلَاثَ مِائَةِ سَنِينَ	قَالَ يَلْبَسُوا لَنَا خُذْ
وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ	أَفَايِنْ مَاتَ أَوْ قَتَلَ	بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ
وَلَا مُسْتَنَسِينَ	أَلَنْ حَصَّ حَصَّ الْحَقُّ	وَأَلَوْ اسْتَقَمُوا

أَلَمْ ذَلِكَ (الْكِتَابُ) لِكُلِّ أَجَلٍ (كِتَابُ)
و إِذْ (قَالَ) رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ
و كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا (كَذَابًا)
إِنَّا لَمَّا (طَغَا) ^(١) الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ
إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ (الْبَيِّنَةُ) ^(٢)
إِنَّ الصَّافَّاءِ وَالْمُرَوَّةَ مِنْ (شَعَائِرِ) ^(٣) اللَّهِ
الْقُرُونِ الْأُولَى (بَصَائِرِ) ^(٤) لِلنَّاسِ
و إِنْ تَعَدُّوا (نِعْمَةً) ^(٥) اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا
(سُنَّةً) ^(٦) مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ
وَأَلْفِيَا سَيِّدَهَا (لَدَا) ^(٧) الْبَابِ
وَامْتَازُوا الْيَوْمَ (أَيْهَا) ^(٨) الْمُجْرِمُونَ
قَالَ (ابْنُ أُمٍّ) ^(٩) إِنَّ الْقَوْمَ
و يُقَرِّئُ فِي الْأَرْحَامِ (مَا نَشَأُ) ^(١٠)

لِكُلِّ أَجَلٍ (كِتَابُ)
(قَالَ) رَبُّ أَحْكُمُ بِالْحَقِّ
لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَعْوًا وَلَا (كَذِبًا)
فَأَمَّا مِنْ (طَغَى) ^(١) وَآثَرَ الْحَيَاةِ
فَهُمْ عَلَى (بَيِّنَةٍ) ^(٢) مِنْهُ
وَالْبُذُنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ (شَعَائِرِ) ^(٣) اللَّهِ
هَذَا (بَصَائِرِ) ^(٤) لِلنَّاسِ
و إِنْ تَعَدُّوا (نِعْمَتِ) ^(٥) اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا
فَلَنْ تَجِدَ (لِسُنَّتِ) ^(٦) اللَّهِ تَبْدِيلًا
إِذِ الْقُلُوبُ (لَدَى) ^(٧) الْخَنَازِيرِ
سَنَفَرُغُ لَكُمْ (أَيُّهُ) ^(٨) الثَّقَلَانِ
قَالَ (يَبْنُوهُمْ) ^(٩) لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي
أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا (مَا نَشَاءُ) ^(١٠)

- (١) بِالْأَلْفِ بِالْحَاقَةِ .
وَمِثْلُهَا أَوْ أَنْ يَطْنِي بَطْنُهُ أَيْضًا .
(٢) بِالْأَلْفِ فِي الْبَقَرَةِ .
(٣) بِدُونِ أَلْفٍ بِالْخِج .
(٤) بِالْأَلْفِ بِالْقَصَصِ .
(٥) بِالْأَلْفِ بِالْجَائِثَةِ .
(٦) بِالْأَلْفِ بِالْإِسْرَاءِ .
(٧) بِالْأَلْفِ بِغَافِرٍ .
(٨) بِالْأَلْفِ وَبِفَصْلِ ابْنِ عَنْ أُمٍّ بِالْأَعْرَافِ .
(٩) بِالْأَلْفِ مَفْرُودَةً بِالْخِج .
(١٠) بِالْأَلْفِ بِغَافِرٍ .
(١١) بِالْأَلْفِ مَعِ اتِّصَالِ ابْنِ بِأُمٍّ بِطْنِهِ .
(١٢) بِالْأَلْفِ مَعِ اتِّصَالِ ابْنِ بِأُمٍّ بِطْنِهِ .
(١٣) بِالْأَلْفِ مَعِ اتِّصَالِ ابْنِ بِأُمٍّ بِطْنِهِ .
(١٤) بِالْأَلْفِ مَعِ اتِّصَالِ ابْنِ بِأُمٍّ بِطْنِهِ .
(١٥) بِالْأَلْفِ مَعِ اتِّصَالِ ابْنِ بِأُمٍّ بِطْنِهِ .
(١٦) بِالْأَلْفِ مَعِ اتِّصَالِ ابْنِ بِأُمٍّ بِطْنِهِ .
(١٧) بِالْأَلْفِ مَعِ اتِّصَالِ ابْنِ بِأُمٍّ بِطْنِهِ .
(١٨) بِالْأَلْفِ مَعِ اتِّصَالِ ابْنِ بِأُمٍّ بِطْنِهِ .
(١٩) بِالْأَلْفِ مَعِ اتِّصَالِ ابْنِ بِأُمٍّ بِطْنِهِ .
(٢٠) بِالْأَلْفِ مَعِ اتِّصَالِ ابْنِ بِأُمٍّ بِطْنِهِ .

أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ (الأمثال) ^(١)	أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ (الأمثال) ^(١)
(تَبَارَكَ) ^(٢) الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ	(تَبَارَكَ) ^(٢) الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ
إِذْ يَقُولُ (لِصَحْبِهِ) ^(٣) لَا تَحْزَنَ	قَالَ لَهُ (صَاحِبُهُ) ^(٤) وَهُوَ يُحَاوِرُهُ
كَذَّبَ أَصْحَابُ (لَيْسِكَةَ) ^(٥) الْمُرْسَلِينَ	وَأَصْحَابُ (الْأَيْسَكَةِ) ^(٦) وَقَوْمُ تَبَع
(لِكَيْلًا) ^(٧) تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ	(كَيْ لَا) ^(٨) يَكُونَ دَوْلَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ
(أَءِذَا) ^(٩) مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا	(أَئِذَا) ^(١٠) مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا
أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ (أَلَّنْ) ^(١١) نَجْمَعَ عِظَامَهُ	وَأَنَا ظَنَنَّا (أَنْ لَنْ) ^(١٢) تَقُولَ الْإِنْسُ
وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ (بِظَالِمٍ) ^(١٣) لِلْعَبِيدِ	وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ (بِظَالِمٍ) ^(١٤) لِلْعَبِيدِ
لَوْ شِئْتَ (لَتَّخَذْتَ) ^(١٥) عَلَيْهِ أَجْرًا	وَإِذَا (لَتَّخَذُوكَ) ^(١٦) حَلِيلًا
(وَمَا دُعُوا) ^(١٧) الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ	(وَمَا دُعَاهُ) ^(١٨) الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ
(أَهْلَقِي) ^(١٩) الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا	(قُلْ أَوْ تَبَسَّكُمْ) ^(٢٠) يَخِيرُ مِنْ ذَلِكَ

- (١) بالألف بالاسراء . (٢) بدون ألف بالفرقان . (٣) بالألف بالفرقان . (٤) بدون ألف بالملك . (٥) بالألف بالكهف . (٦) بدون ألف بالتوبة . (٧) بألف بقاء . (٨) بدون ألف بالشعراء . (٩) منفصلة بالحشر . (١٠) متصلة بالحديد . (١١) الهمة الثانية مفردة بالصافات . (١٢) الهمة الثانية مفردة بالصافات . (١٣) باثبات النون بعد الألف ومثلها « كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا » ومثلها « وأنا ظننا أن لن نعجز الله » . (١٤) كل هذه الآيات في الجن . (١٥) بحذف النون بعد الألف بالقيامة ومثلها « وألو استقاموا على الطريقة » بالجن . (١٦) بالألف بآل عمران . (١٧) بدون ألف بالحج . (١٨) بالألف بالاسراء . (١٩) الهمة مفردة بالرعد . (٢٠) الهمة علي واو بغافر . (٢١) الهمة الثانية علي واو بآل عمران . (٢٢) الهمة الثانية مفردة بالقمر .

(وَيَمَحُ) (٢) اللَّهُ الْبَطْلَ وَيُحَقُّ الْحَقَّ	(يَمَحُوا) اللَّهُ (١) مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّتُ
(فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ) (٤) سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ	(لَا يَسْتَأْخِرُونَ) (٣) سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ
حَتَّى إِذَا (اسْتَيْسَسَ) (٦) الرَّسُلُ	(وَلَا تَأْيِسُوا) (٥) مِنْ رَوْحِ اللَّهِ
وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا (فَأَحْيَاكُمْ) (٨) ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ	وَهُوَ الَّذِي (أَحْيَاكُمْ) (٧) ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ

فعلم مما ذكرناه في هذا الجدول أن الصحابة رضى الله تعالى عنهم لم يتخذوا طريقة واحدة يسيرون عليها في كتابة المصحف العثماني فكيف يسهل علينا اتباع رسمه في كتاباتنا العامة؟ وسندكر إن شاء الله تعالى في الفصول الآتية كثيرا من الأمثلة وغرائب الرسم .

بيان ما يسوغ لنا اتباعه

من المرسوم ، وما لا يسوغ

إذا أمعنا النظر وقارنا بين مرسوم المصحف العثماني وبين طريقة كتابتنا نجد في بعض الحالات لا يسوغ لنا اتباع رسمه لحصول الالتباس وصعوبة القراءة ، وفي بعض الحالات يستحسن لنا اتباعه لأنه على القاعدة الصحيحة .

(فبيان ما لا يسوغ لنا اتباع رسمه) نحو ما ذكرناه في الجدول المتقدم .

وكذلك حذف ألف المد من الكلمات نحو : رب العالمين ، ذلك الكتب لاريب فيه أضغت أحلم ، هل أتى على الإنسان ، يجعلون أصابعهم ، والمرسلت عرفا ، فالعصفت عصفا والنشירת نشرا ، فالفرقت فرقا فالماقيت ذكرا .

- | | |
|---|--------------------------------|
| (١) بالواو بآخر الرعد . | (٢) يحذف الواو بالشوري . |
| (٣) الهمزة على الألف بالأعراف . | (٤) يحذف ألف الهمزة بيونس . |
| (٥) بزيادة ألف بين التاء والياء بيوسف . | (٦) يحذف الألف بيوسف . |
| (٧) بالألف في آخر الحج . | (٨) يحذف الألف في أول البقرة . |

ونحو : اَمْرَاتُ ، وَقُرَّتُ ، وَرَحِمَتْ ، وَنِعِمَّتْ ، وَسُدَّتْ ، وَالْيَلُ ، وحذف نبرة الهمة
أى سِدَّتْهَا من نحو السَّيَّاتِ ، وَخَطَّيْنِ ، وَمُتَكِّئِينَ إلى غير ذلك من الكلمات التى
لا يمكن استقصاؤها ولا تخفى مخالفتها ، ولنضرب مثالا لذلك بهذه الجمل الآتية وهى :

« أيها الطلاب النجباء : من حفظ العلوم والأدب ، وسبق أقرانه فى الطلب تُعْطَى له جائزة
من الديوان العالى ، ويوظف حسب درجة معلوماته وقوة ملكته ، فاجتهدوا رعاكم الله
تعالى فى طلب العلم وصابروا عليه تنالوا سعادة الدارين ، فالعلماء نور البلاد ، والجهلاء شرار
العباد ، واقربوا العلم بالعمل تكونوا من الفائزين » .

فإذا كتبنا هذه الجمل بحسب رسم المصحف العثماني تكون صورتها هكذا :

أَيُّهُ الطُّلُبُ النُّجَبَا : من حفظ العلوم والأدب وسبق أقرانه فى الطلب ، تعطى له
جَزِيْرَةٌ من الديوان العلى ، ويوظف حسب درَجَةِ معلومته ، وقُوَّةِ ملكته ، فاجتهدوا
رِعَاكُمْ الله تعالى فى طلب العلم وصَبِرُوا عليه تَنَالُوا سَعَادَةَ الدَّارَيْنِ ، فالعلماء نور البلاد ،
وَالْجُهَلَاءُ شرار العبد ، واقربوا العلم بالعمل تكونوا من الفائزين .

فالفرق فى كتابة الجمل المذكورة بالرسم العثماني ، وبقواعد كتابتنا عظيم جدا كما هو
ظاهر ، فالرسم العثماني خاص بكتابة المصاحف فقط لا يستسيغه الإنسان فى غيرها .

(أما بيان ما يستحسن لنا اتباعه) فى نحو هذه الكلمات : اشتره ، ومثوله ،
وإحدهما ، ويغشها ، وتقومها ، وهل أتمك ، وترضه ، وتجمك .

فكتابة الرسم العثماني لها أصح من كتابتنا لأن أصلها يأتى ونحن نكتبها بالألف هكذا :

اشتره ، مثواه ، إحداها ، يغشاها ، تقواها ، وهل أتناك ، ترضاه ، نجاكم .

(ويستحسن لنا اتباعه أيضا) فى الهمزات المرسومة فى نحو هذه الكلمات : « واسئل ،
والمُنَشَّات ، والظَّمَّان ، وقُرْءَان ، ومَّاب ، ووطأ ، وخطأ ، وليطفئوا ، ومسئولا ،
وشركاءى ، والمُسِيء ، ويسئمون ، ويحترؤون ، وشطئه ، وشيئا » .

وقد تتفق مع مرسوم المصحف في كتابة بعض الكلمات ، ولكثرة استعمالها لانشعر بذلك (مثاله) بسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله ، هذا ، ذلك ، هاأتم ، هؤلاء ، ههنا ، أولئك ، أولاء ، أولو^(١) لكن ، إذا ، طه ، الذين ، ووضع ألف بعد واو الجماعة ، والهمزات بأنواعها (عدا ما استثنيه هنا) إلى غير ذلك مما لا يخفى .

وكان من حق هذه الكلمات أن تكتب هكذا :

(باسمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ، لاِ اِلٰهَ اِلَّا اللّٰهُ ، هاذا ، ذاك ، هاأتم ، هاألاء ، هاهنا ، ألائك ، ألو ، ألاء ، لاكن ، إذن ، طاها ، اللذين^(٢)) .

لأن الكتابة تكون على حسب النطق ، فإن كان الحرف ممدوداً تزد فيه أحد حروف المد التي هي الألف والواو والياء ، بحسب حركة ذلك الحرف من فتح أو ضم أو كسر ، فتأمل جيداً هذه المسألة .

أحوال الهمزة في القرآن

اعلم أن جميع حالات الهمز في المصحف العثماني مضبوط على القواعد المحررة ، ما عدا شيئاً يسيراً وهو في هذه الكلمات الآتية : (ءَأَمِنْتُمْ ، ءَأَنزَلَ ، ءَأَلِدُ ، ءَأَذَا ، ءَأَنَا ، ءَأَنَّكَ ،

(١) أي في زيادة الواو التي قبل اللام من أولو ، أما الألف التي بعد الواو الثانية فهي تثبت في الرسم العثماني وتحذف على قاعدتنا . وقد أشار بعضهم إلى زيادة الواو في أولو ، أولاء ، أولئك بقوله :

تُزَادُ وَاوٌ وَسَطَ الثَّلَاثَةِ أُولَى أُولَاتٍ وَأُولَا الْإِشَارَةِ
وَأَخِرًا تُزَادُ وَاوٌ سَمَرُو فِي حَالَةِ الرَّفْعِ كَذَا فِي الْجَرِّ

(٢) القاعدة كما ذكره الخصري على ابن عقيل في أول اسم الموصول أن يكتب الذي وجمعه والتي بلام واحدة لكثرة استعمالها والذين واللتين مثني بلامين على الأصل في كل ما أوله لام حلى بال وللفرق بينه وبين الجمع نصبا وجرا وحمل الرفع عليهما اه من الخصري . أما في رسم القرآن فقد كتب جميع ما ذكر بلام واحدة .

رَعَا ، الرُّعْيَا ، وَرَعِيَا ، أَرَاءَيْتَ^(١) ، أَلَّنْ ، الْمَلَأُوا ، نَبَّأُوا ، لَا تَظْمَأُوا ، الْعَلَمُوا ، الضَّعَفُوا ،
نَشُوا ، شَرَكُوا ، شَفَعُوا ، يَتَفَيَّوْا ، تَفَتَّوْا ، يُنَشُّوْا ، أَتَوَكَّوْا ، أَنْبَأُوا ، يَبْدُؤْا ،
الْبَلَّوْا ، دُعُوا^(٢) ، مُسْتَنْسِنِينَ ، فَلْيَسْتَنْذِنُوا ، فَلَا يَسْتَخِرُونَ^(٣) وَلَا تَأَيَّسُوا^(٤)
يَبْنُوْمْ ، مَتَّكْنَا ، مِنْ وَرَائِي حِجَابٌ ، إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ، يَسْأَلُكَ ، وَسْئَلُ^(٥)
يَجْرُونَ ، وَمِنْ أُنَائِي اللَّيْلِ ، لَتَنُؤْا .

ثم إن الهمة قد توضع على نبرة « أَى سِنَةٍ » وقد لا توضع عليها (فالحالة الأولى)
في نحو هذه الكلمات : « فِتْنَةٌ ، خَاسِسٌ ، بِالْخَاطِئَةِ ، السَّيِّئَةِ » .

(والحالة الثانية) في نحو هذه الكلمات : « السَّيِّئَاتِ ، مَتَّكِ خَطِيئِينَ ، مَتَّكِيَيْنِ ،
الْأَفِيدَةِ ، وَشَيْئًا » على أننا لو تأملنا الكلمتين « الأفيدة وشيئًا » ونحوها من
كل همزة وقعت بعد سا كن لوجدنا حذف النبرة منها أولى وأصح .

(ومما يناسب هذا المقام) ذكر سؤال من الأسئلة التي كنا بعثناها لمشايخه القاري
المصرية مع الإجابة عليه^(٦) وهو « المعروف أن الهمة اخترعها الخليل بن أحمد الفراهيدي
المتوفى عام مائة وسبعين فلم تكن إذا موجودة في مصحف عثمان بن عفان رضى الله عنه فلم
لم تكتب الممرزات في المصحف الأميري الذي طبعته الحكومة المصرية عام ألف وثلاثمائة
واثنين وأربعين هجرية على القواعد الإملائية ؛ فمثلا كلمة أفرء يتم كتبت الهمة الثانية
مفردة ، وكذلك أَرَاءَيْتَ الذي ، مع أنهما مفتوحتان وما قبلهما مفتوح أيضا ، بخلاف

(١) كتبت الهمة في « أَرَاءَيْتَ الذي يكذب » مفردة بخلافها في « ورأيت الناس يدعون » فإنها كتبت
على الألف .

(٢) يلاحظ أن الكلمات الستة عشر التي أولها الملوأ وآخرها دعوا زيدت في أواخرها ألف .

(٣) هذا في سورة يونس ، أما التي بالأعراف فإنها هكذا فلا يستأخرون .

(٤) أى وبزيادة ألف وكذلك « إنه لا يائس » بخلاف « فلما استيسوا » ومثلها « حتى إذا استيس » كلاهما
بدون ألف وهذه الكلمات كلها في سورة يوسف ، وأما التي بسورة الرعد وهى « أفلم يائس » فإنها بالألف .

(٥) الشاهد في الهمة لا في حذف الألف التي قبل السين .

(٦) سبق أن ذكرنا في صحيفة ١٠٧ تاريخ ورود إجابة مشايخه المقاري المصرية على أسئلتنا .

« ورأيت الناس ، وكلمة أتم كتبت همزة الأولى مفردة فلم لم تكتب على الألف مثل أَيْطَمْعُ ، ولم لم تكتب همزة الثانية من أءنَّا على الياء ، مثل أئِذَا وكنتاها مكسورتان وما قبلهما مفتوح » .

(فأجابنا عليه) شيخ القراء هناك فضيلة الأستاذ الشيخ على محمد الضباع إجابة طويلة مختصرها فيما يأتي وهو : أن صورة همزة ليست في مصحف عثمان لأنها من علامات الضبط الذي أحدث بعد عهده ، والهمز في القرآن ، إما أن يكون همز قطع أو وصل ، فهمزة الوصل ترسم ألفا ، ونص أهل الرسم على حذفها في خمسة أحوال (الأولى) مثل وأتوا وفأتوا (الثانية) مثل : وسئلَ وفسئلَ (الثالثة) مثل : للدار للذين (الرابعة) مثل أتخذتم أفترى (الخامسة) مثل بسم الله .

وأما همزة القطع فالأصل في رسمها أن تكتب ألفاً إذا وقعت أولاً وإلا كتبت بصورة الحرف الذي تتول إليه في التخفيف أو تقرب منه ، فإن كانت تخفف ألفاً أو كالألف فقياسها أن تكتب ألفاً ، وإن كانت تخفف ياء أو كالياء فقياسها أن تكتب ياء ، وإن كانت تخفف واوا أو كالواو فقياسها أن تكتب واوا ، وإن كانت تخفف بال حذف بنقل أو غيره فقياسها الحذف .

وتفصيل هذا الأصل أن همزة القطع على قسمين ساكنة ومتحركة ، فالساكنة تقع وسطاً وطرفاً ، والمتحركة تقع ابتداءً ووسطاً وطرفاً هذا هو القياس في العربية وخط المصاحف العثمانية .

وجاءت أحرف في خط المصاحف خارجة عن هذا القياس لمعنى مقصود ووجه مستقيم يعرفه من قدر للسلف قدرهم .

ومن هذه الأحرف كلمة « رأيت » كيف جاءت بعد همزة الاستفهام نحو « أريت ، أفرئت ، أريت ، أفرئتم » فإنه رسم في بعض المصاحف بحذف الألف التي بعد الراء ،

وقد ضبطت في المصحف الأميري بوضع القطعة «الهمزة» مكانها لتدل عليها ، ولعلها حذفت لاحتمال القراءتين فإنها قرئت بالهمزة وتركها .

ومنها «أَنْذَرْتَهُمْ» وبابه فإنه رسم في المصاحف بألف واحدة ، وهل هي الأولى أو الثانية ؟ الذي جرى عليه العمل في المصحف الأميري أنها الثانية ، ولذا وضعت قطعة الضبط وهي «الهمزة» مكان همزة الاستفهام لتدل عليها .

ومنها «أَنْزَلْنَا» ونحوه من كل ما اجتمع فيه همزتان مفتوحة ومكسورة والأولى للاستفهام فإنه رسم في بعض المواضع بحذف صورة الهمزة الثانية وهي الياء ، وقد وضع علماء الضبط القطعة مكانها لتدل عليها .

وقد استوفى علماء القراءة والرسم ما خرج عن الأصل من باب الهمز في كتبهم فارجع إليها إن شئت اه .

هذا مختصر ما أجابنا به فضيلة شيخ المقارئ المصرية حفظه الله تعالى ، ولقد فصل جميع ما جاء مجملا عن أحوال الهمز في إجابته التي سنذكرها في آخر الكتاب إن شاء الله تعالى . كما سنذكر جميع الأسئلة التي وجهناها إلى فضيلته مع إجابته عليها ، أكثر الله من أمثاله وبارك في حياته .

فهل علماء الإفرنج الذين يدرسون علوم القرآن يفهمون مثل هذه المسائل الدقيقة — كلا والله لا يفهمونها ، فليحذر المؤمنون من دسائسهم ولا يغتروا بأقوالهم في المسائل الدينية .

الباب الخامس

في ذكر شيء من مرسوم القرآن الكريم

وفيه أربعة فصول

الفصل الأول

في رسم الكلمات الآتية

إبراهيم ، أيها ، سَعَوْا ، عَتَوْا ، لام الجر المقطوع عن مجرورها ،

إبدال هاء التأنيث تاء — وغيرها

نذكر في كل فصل من فصول هذا الباب شيئاً من الكلمات القرآنية على رسم المصحف العثماني معتمدين في النقل على المصحف الأميري الذي طبعته الحكومة المصرية سنة ألف وثلاثمائة واثنين وأربعين هجرية .

فمثلاً كلمة « إبراهيم » مرسومة في سورة البقرة هكذا « إِبْرَاهِيمَ » وفي بقية القرآن هكذا « إِبْرَاهِيمَ » فالألف التي بعد الراء محذوفة من الصورتين ، وكلمة « أيها » مرسومة في جميع القرآن بالألف بعد الهاء ما عدا ثلاثة مواضع فرسومة فيها بحذف الألف هكذا « أَيُّهُ » نحو (سَنَقَرُكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ) بسورة الرحمن .

وكلمة « عَتَوْا » التي بالأعراف وضعوا فيها ألفاً بعد الواو ، بخلاف « عَتَوْ » التي بالفرقان فإنهم حذفوها منها .

وكلمة « سَعَوْا » التي بالحاء وضعوا فيها ألفاً بعد الواو بخلاف « سَعَوْ » التي بسبأ فإنهم حذفوها منها .

وكلمة « مائة » كتبوها بالألف^(١) ولم يكتبوا كلمة « فئة » مثلها مع أنها تشابهها في الحركات ، وأثبتوا الألف بعد واو فعل جَمَعَ في القرآن كله^(٢) ماعدا أربع كلمات وهي : « جاءو . فاءو . باؤو . تَبَوَّءو » فإنهم حذفوا الألف منها بعد الواو ، وأبدلوا هاء التأنيث تاء^(٣) في ما يأتي من الكلمات ، وذلك في بعض المواضع التي تعرف من علم التجويد وفن الرسم وهي : « رحمة . نعمة . سنة . امرأة . كلمة . شجرة . جنة . قرّة . فطرة . بينة . بقية ، ابنة . لعنة . معصية » .

مثال ذلك : رحمتُ الله ، وبنعمتِ الله ، سنّتُ الأولين ، امرأتُ العزيز ، كلمتُ ربك ، إن شجرتَ الزقوم ، وجنتُ نعيم ، قرّتُ عين لي ولك ، فطرتَ الله التي فطر الناس عليها ، فهم على بيّنتٍ منه بسورة فاطر ، بَقِيَّتُ الله خير لكم ، ومريم ابنت عمران ، أن لعنتَ الله ، ومَعْصِيَتِ الرسول .

فهذه الكلمات فيما عدا المواضع التي ذكرت في علم التجويد ترسم بالهاء^(٤) ، ولولا خوف التطويل لذكرنا تلك المواضع كلها .

(١) وإلى زيادة الألف في مائة أشار بعضهم بقوله :

ووسطا تراد في لفظ مائه ولومع الآحاد كالخمسمائه

(٢) القاعدة الإملائية : أن تراد الألف بعد واو فعل جمع نحو ضربوا واضربوا ولم يضربوا ، وإلى

هذا أشار بعضهم بقوله :

تراد في واو الضمير كاشعروا بأنهم لم يظلموا إذ قدروا

إلا جمع اسم كألوا الفضل وضاربو زيد ، وفعل مفرد كيدعو . لكن رسم المصحف لا يتمشي مع القواعد فلم تحذف الألف من « نحن أولوا قوة » ومن « لمن كان يرجوا الله » وحذفت من الكلمات الأربع (جاءو . فاءو . ياءو . تبوءو) .

(٣) والقاعدة الإملائية أن كل تاء بعد الفتحة تربط .

(٤) وبما أنه ورد في رسم المصحف العثماني إبدال هاء التأنيث تاء أحيانا كما هو مذکور أعلاه فإننا لانخطئ .

« الأتراك في كتابتهم لبعض الأسماء التي في آخرها هاء بالتاء نحو : نعمت ، عصمت ، شوكت ، جودت ، طلعت ، رأفت ، حكمت ، دولت ، حرمت ، عدالت ، سماحت ، نزاهت . والظاهر أنهم يكتبونها كذلك بحسب نطقهم .

وإلى ما ذكر أشار العلامة المرحوم الشيخ محمد العاقب بقوله :

فَمَا أَتَى مِنْ صُورٍ مَزِيدَةٍ فِيهِ وَحَذَفِ أَحْرَفٍ عَدِيدَةٍ
كَالِيَاءِ إِذْ زِيدَتْ لَدَى بَأْيِيدٍ وَحُذِفَتْ مِنْ قَوْلِهِ ذَا الْأَيْدِ
وَالْأَلْفِ الْمَزِيدِ فِي لَفْظِ مِائَةٍ وَفِي أَقَامُوا دُونَ جَاءُوا وَفَتْهُ
وَالْأَلْفِ الْمَرْسُومِ فِي فِعْلِ سَعَوْا فِي الْحَجِّ دُونَ غَيْرِهِ وَفِي عَتَوْا
وَنِعِمَّتِ إِذْ رُسِمَتْ بِالتَّاءِ طَوْرًا وَطَوْرًا صُوِّرَتْ بِالْهَاءِ
وَالْأَحْرَفِ الَّتِي يُهَجَّى الْقَارِي^(١) بِهَا هِجَاءُ الْإِلْدَةِ الصَّغَارِ^(٢)
فَكُلُّ ذَا لِعَلَّةٍ مُقَدَّرَةٍ وَحِكْمَةٍ عَنِ الْحِجَا مُحَدَّرَةٍ
أَنْفَاسُهُ لِلنَّفْسِ لَا تُنَسَمُ وَسِرُّهُ عَنِ الْوَرَى مُطْلَسَمُ
وَقَدْ تَكَلَّفَ شُيُوخُ الْكِتَبَةِ فَسَارَعُوا فِيهِ لِنَفْحَتِ الْأَجْوِبَةِ
فَذَكَّرُوا مِنْ ذَلِكَ مَا لَا يُقْنِعُ قَلْبًا وَلَا غِلَّ غَلِيلٍ يَنْفَعُ^(٣)

ومثلاً : قطعوا لام الجر عن مجرورها في أربعة مواضع نحو « مالِ هذا الرسول » .
وقطعوا في عن ما بأحد عشر موضعاً نحو « لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ » .
وقطعوا كل عن ما في خمسة مواضع نحو « كُلَّ مَا دَخَلْتُ أُمَّةً » .
وقطعوا من عن ما في ثلاثة مواضع نحو « فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ » .
وقطعوا حيث عن ما في موضعين نحو « وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ
شَطْرَهُ » .

وقطعوا أن الخففة المفتوحة عن لا في عشرة مواضع نحو « أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا » .
ووصلوا بئس بما في ثلاثة مواضع نحو « بِنَسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ » .

(١) المراد بالأحرف هنا فوائح بعض السور نحو حمّ وطسم وكهيمص .

(٢) الالدة بكسر الهمزة وسكون اللام : الصبية .

(٣) أي لا يزال عطش عطشان .

ووصلوا أين بما في خمسة مواضع نحو « أَيْنَا تُقِفُوا » :

ووصلوا كي بلا في أربعة مواضع نحو « لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ » .

إلى غير ذلك مما لو أحصيناه لطال بنا الشرح ، ولهذا لم نذكر بيان كل المواضع في جميع ما تقدم ، ويعلم تفصيلها من كتب التجويد .

ولقد ذكر نوع الفصل والوصل العلامة الشيخ محمد العاقب الشنقيطي رحمه الله تعالى في نظمه كشف العمى بقوله :

فَصَلِّ فِي مَا الْفَصْلُ إِحْدَى عَشْرَةَ	مِنْ بَعْدِ لاجُنَاحِ أُخْرَى الْبَقَرَةَ
وَالشُّعْرَا وَالرُّوْمَ فِيهِمَا اسْتَقَرَّ	وَإِثْنَانِ مَعَ يَمْلُوكُمُ مِثْلَ الزُّمَرِ
وَبَعْدَهُمْ فِي الْأَنْبِيَا وَتَقَلَّ	قَبْلَ أَفْضَلُ وَأَوْحَى وَلَا
وَبَاتَّصَالِ الْخَطِّ يَسْمَا خَلَا	مَا فَالَ أَوْ لَامَ عَلَيْهِ دَخَلَا
وَقَطْعُ مِمَّا قَدْ أَتَى يَقِينَا	مِنْ مَا رَزَقْنَا فِي الْمُنَاقِينَا
وَقَبْلَهَا حَرْفَانِ بِاسْتِوَاءِ	مَعَ مَلَكْتُ فِي الرُّوْمِ وَالنِّسَاءِ
وَكَلَمًا بِالْإِتِّصَالِ يُدْرَى	إِلَّا سَأَلْتُمُ وَرَدُّو تَرَا
وَقُطِعَتْ أَمْ مَنْ يَكُونُ فِي النَّسَا	وَقَبْلَ يَأْتِي وَخَلَقْنَا أَسْسَا
وَأَيْنَمَا بِالْوَصْلِ عَنْهُمْ يُؤْخَذُ	مَعَ ثُمَّ يُدْرِكُكُمْ يُوجِّهُ أُخْذُوا
وَسُورَةُ الْأَحْزَابِ كَيْ لَا الْأَوَّلُ	فِيهَا وَفِي نَحْلِ وَحَشْرِ يُفْصَلُ
وَحُكْمُ لَامِ الْجُرِّ أَنْ يَنْفَصِلَا	فِي مَالِ هَذَا وَالَّذِينَ هَوُلَا
وَأُخْرِجَتْ تَخْرُجَ مَالِ اللَّهِ	مَعَ انْعِدَامِ الشُّبْهِ وَالتَّضَاهِي
فَصَلِّ وَحَيْثُ مَا يَفْصَلُ قَدْ فَشَا	عَنْ مَا نُهُوا عَنْ مَنْ تَوَلَّى وَيَشَا
وَلَاتَ حِينَ ثُمَّ هُمْ وَيَوْمَ هُمْ	فِي غَافِرٍ وَالذَّارِيَاتِ وَابْنِ أُمِّ
فَصَلِّ وَوَصَلُّ أَيْمًا قَدْ التَّزِمُ	كَوَيْسُكَانَ فِيمَ مِمَّنْ عَمَّ مِمَّ

مَهْمَا وَإِلَّا رُبَّمَا وَأَمَّا كَأَنَّمَا هَلَمْ مَعَ نِعَمًا
هَذَا وَغَيْرُ ذَا مِنْ الْبَدِيهِى وَذِكْرُهُ يَقْدَحُ فِي النَّبِيهِ
فَاقْطَعْ إِذَا صَحَّ وَصِلَ إِنْ لَمْ يَصَحَّ وَالْفَرْقُ بَيْنَ ذَا وَذَلِكَ يَتَّضِحُ

الفصل الثانى

فى رسم البسملة ، وهمزة نحو أنذا ، وتبارك ، وألف المدّ

وألف التثنية ، وما كتب بلام أو لامين وغيرها

حذفوا من « بسم الله الرحمن الرحيم » ثلاث ألفات : الأولى من بسم ، والثانية من الله ، والثالثة من الرحمن ، والعلماء لم يبحثوا عن حذف الألف من الاسمين الشريفين ، بل ذكروا تعليقات متنوعة عن حذفها من بسم فقط ، على أنه مهما ذكروا من التعليقات لحذفها منه فما هو إلا من قبيل الاستئناس والتمليح لا غير ، لأن الحقيقة التى لا تنكر أن كتابة البسملة بهيئتها المعروفة لدينا هى من رسم المصحف العثمانى من ابتداء الأمر قبل النظر فى العلل والأسباب^(١) .

ثم لاندري لم حذفت ألف بسم من البسملة فقط ولم تحذف من « اقرأ باسم ربك » ومن « سبح اسم ربك » ومن « فسبح باسم ربك العظيم » مع العلم بأنه كان من حق البسملة أن تكتب على حسب النطق هكذا « باسم اللاه الرحمان الرحيم » .

(١) جاء فى أول تفسير القرطبي : روى الشعبي والأعمش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكتب باسمك اللهم حتى أمر أن يكتب باسم الله فكتبها ، فلما نزلت (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) كتب بسم الله الرحمن ، فلما نزلت (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم) كتبها ، وفى مصنف أبي داود قال الشعبي وأبو مالك وقتادة وثابت بن عماره إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم حتى نزلت سورة النمل اه من التفسير المذكور ومعنى كتابة رسول الله صلى الله عليه وسلم البسملة أنه أمر بكتابتها ، وهذا من قبيل : بنى الأمير المدينة ، فالنبي عليه الصلاة والسلام أى لا يقرأ ولا يكتب .

و يرى بعضهم بمناسبة حذف الألف من بسم تطويل الباء منها بمقدار نصف الألف ليدل عليها ولأنه أول حرف يكتب من القرآن فتطويله من قبل التعظيم ، وإلى هذا أشار الشيخ محمد العاقب رحمه الله تعالى بقوله :

يُطَوِّلُ الْبَاءَ وَيُحْذِفُ الْأَلِفَ مِنْ لَفْظِ بِسْمِ اللَّهِ كَيْفَمَا أَلِفٌ
وَحَدُّ طُولِهِ بِلاَ أَزْدِيَادٍ مِقْدَارُ نِصْفِ أَلِفِ الْمُعْتَادِ
وَهَلْ لِلْإِشْعَارِ بِمَا قَدْ سَلَبْنَا أَوْ لِيُرَى أَوَّلُ حَرْفٍ كُتِبَا
مُقَابِلًا بِالرَّفْعِ وَالتَّحْسِينِ قَوْلَانِ فِي تَفْسِيرِ فَخْرِ الدِّينِ

(ونحن نقول) إن تطويل الباء وكتابة الحروف راجع لقواعد تحسين الخط التي وضعها الخطاطون لإظهار جمال الحروف ، ففي بعض أنواع الخطوط يستحسن تطويل الباء الواقعة أول الكلمة كما في الخط الكوفي وخط الثلث والنسخ ، وفي بعضها يستحسن تقصيرها كما في الخط الفارسي وخط الرقعة

ومن اللطائف المناسبة قول أبي سعيد الرستمي :

مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْطَى الْمَزِيدَ عَلَى الْعَنَى وَيُحْرَمُ مَا دُونَ الرِّضَا شَاعِرٌ مِثْلِي
كَمَا أَحَقَّتْ وَأَوْ بَعَثُوا زِيَادَةً وَضُوبِقَ بِسْمِ اللَّهِ فِي أَلِفِ الْوَصْلِ
وحذفوا الألف من « وَاسْأَلْ » أينما وقعت في القرآن فيكتبونها هكذا « وَاسْأَلْ ، فَسْأَلْ » ولم يحذفوها من نحو « وَاسْتَغْفِرْهُ وَاسْتَغْفِنِي ، وَاسْتَغْفِرُوا » .
وحذفوا إحدى اللامين من هذه الكلمات : « اللَّيْلُ . وَالَّذِي . وَالَّذَانِ . وَالَّذِينَ . وَالَّتِي . وَالَّتِي » وكان من حقها كتابتها بلامين بحسب النطق .
ولم يحذفوها من هذه الكلمات : « اللَّطِيفُ . اللَّوْلُو . اللَّهُو ، اللَّعْبِينَ . اللَّغْوُ . اللَّوَامَةُ . اللَّاتُ . اللَّغْنَةُ . اللَّهُب » .
وحذفوا ألف المد الواقعة بعد الواو من نحو هذه الكلمات : « وَالْقَوَاعِدُ . وَحُدَّةُ .

إخوانكم . أخوالكم . أزواجه . لواقع . ألوانكم . أبوابا . أموالكم . الصواعق . رؤس .
بأكواب . بأفواههم . السموت . » .

ولم يحذفوها بعد الواو من نحو هذه الكلمات : « الواقعة . توارت . الجوار . السكوافر .
لهي الحيوان . السكواكب . وأكواب . الحواريون . أبواب . لواحة . خوار .
الثواب . » .

وأثبتوا ألف المد في كلمة « لَاهِيَّةٌ قُلُوبُهُمْ » بأول الأنبياء وحذفوها من هذه الكلمات
« لَيْسَيْنِ . لَفِيَّة . لَقِيهِ . لَعِين . » .

وحذفوا ألف المد أيضا من نحو « قالوا جزؤه ^(١) » ، وذلك جزؤا ^(٢) ، وجزؤا
سبئة ^(٣) .

ولم يحذفوها من نحو « جزأهم عند ربهم ^(٤) » ، جزأؤكم جزاء موفورا ^(٥) ، لهم جزاء
الضعف ^(٦) .

وأثبتوا ألف المد غالبا إذا وقعت بعدها همزة نحو « حدائق ، الأرائك ، الخاضعين ،
خائفا ، طائفة ، وابتغاكم ، هذا بصائر ^(٧) » ولم يثبتوها في نحو « سَحَّحَتْ ، كَبَّرَ الإِثْمَ ،
الخبث ، إسرائيل . » .

وكتبوا الهمزة الثانية من « أُنْذَا ، وَأُنْثَا » مفردة أحيانا وعلى النبرة أحيانا أخرى
نحو « أُنْذَا متنا ، أءذا كنا ترابا ، أئننا لخرجون ، أءنا لمبعوثون . » .

وكتبوا « وإذا رءا الذين ، وءراء المجرمون » بألف بعد الهمزة المفردة بخلاف
« ما كذب الفؤاد ما رأى ، لقد رأى من ءآيت ربّه » فإنه بياء بعد الهمزة التي رسمت فوق
الألف .

(١) يسورة يوسف . (٢) بالحشر . (٣) بالشوري .

(٤) بالبينه . (٥) بالاسراء . (٦) بسبا .

(٧) كتبت بصائر بالألف في سورة القصص والإمراء والأعراف ، وأما التي بالجائية فقد كتبت بغير

ألف هكذا « بَصْمِير » .

وكتبوا بالواو هذه الثمانية الكلمات « الصلوة ، الزكوة الحيوة ^(١) الربوا ، النجوة ،
الغدوة ، مشكوة ، منوة » .

وقد جمعها المرحوم الشيخ محمد العاقب في قوله :

وفي الصَّلَاةِ والحَيَاةِ فَاصْبِرْ مُصَمِّرٌ مِثْلُ الرَّبِّ
مِشْكَاةُ الزَّكَاةِ وَالنَّجَاةُ مَعَ مَنَاةَ وَالْغَدَاةِ كَيْفَمَا وَقَعَ ^(٢)

وكتبوا قوله تعالى : (وَلْيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ) وقوله : (لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ)
بالألف وكان الأولى كتابتهما بالنون لأنهما فعلان اتصلت بهما نون التوكيد الخفيفة .
وكتبوا « إذا » بالألف نحو (تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ) أما كتابتها في غير المصحف
فقد اختلفوا ، فمنهم من يكتبها بالنون ومنهم من يكتبها بالألف ، وانظر تفصيل ذلك
في حاشية الخضرى على ابن عقيل عند قول صاحب الألفية : (ونصبوا باذا المستقبلا)
وإلى ما ذكر أشار بعضهم بقوله :

نُونُ إِذَا وَنُونُ تَوْكِيدٍ تَخَفَّ نَحْوُ إِذَا لَنَسْفَعًا فَبِالْأَلِفِ

كَذَلِكَ التَّنْوِينُ فِي اسْمٍ نُصِبَا مِثْلُهُ أَهْلًا وَسَهْلًا مَرَحَبًا

ما لم يكن الخ .

ووضعوا ألفاً بعد دال ثمود إذا وقعت في محل نصب فقط نحو : (أَلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا
رَبَّهُمْ بِسُورَةِ هُودٍ ، وَثَمُودًا مَّا أَبْقَى بِسُورَةِ النِّجْمِ ، وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَخْصَبَ الرَّسِّ بِسُورَةِ الْفُرْقَانِ) .
وحذفوا الألف من « تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ » ومن « تَبَارَكَ الَّذِي يَبْدِئُ الْمَلِكَ » ومن
« ماء مبركا » ومن « شجرة مبركة » .

(١) تكتب الثلاث الكلمات الأولى بالواو إذا لم تضاف إلى ضمير ، فإن أضيفت كتبت بالألف نحو
(إلا حياتنا الدنيا ، في صلاتهم ، وكذلك ، وما ماقيتم من رباً) ما عدا «أصلوتك تأمرك ، وإن صلوتك
سكن لهم» .

(٢) كان الأولى كتابة الكلمات المذكورة في البيتين بالواو لكن عدلنا عن ذلك لتسهيل قراءتها .

وأثبتوها في « فتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ » وفي « فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ » وفي « وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ » وفي « مُنزَلًا مُبَارَكًا » .

وحذفوا الألف من « أو أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ » في الأحقاف ، وفي « على آثَرِهِمْ » في الصافات وفي الزخرف وفي الحديد .

وأثبتوها في « على آثَارِهَا » بالكهف ، وفي « وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ » في آيتين بسورة غافر .

وحذفوا الألف من نحو « وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ » ومن « انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ » بالفرقان ، ومن « وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ » وأثبتوها في « فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ » وفي « كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ » وفي « انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ » بالإسراء .

وحذفوا الألف من لفظة « كتاب » في جميع القرآن ما عدا هذه الآيات فإنهم كتبوها بالألف، وهي « مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ ، لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ، إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ، طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ » .

وأثبتوا الألف في لفظة (قال) في جميع القرآن ما عدا هذه الآيات فإنهم كتبوها بغير ألف، وهي « قُلْ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ ، قُلْ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ ، قُلْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ، قُلْ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ . قُلْ أُولَوْجِئْتُمْ » .

الفصل الثالث

في ألف الثانية ، ورسم صيغ المبالغة وصيغ المفرد والجمع

ورسم صاحبكم وأسماء بعض الأنبياء وألف المد

لا يحدفون ألف الثانية غالباً نحو « هل يستويان ، هذان خصمان ، تستفتيان ، جنّتان ، يخلصان » .

وقد يحدفونها نادراً نحو : « إن هذان لسحران » .

ولا يحدفون غالباً ألف المد في صيغ المبالغة نحو : « تواباً ، أوّاباً ، وهّاجاً ، ثجاجاً ، دياراً ، كباراً ، الوهّاب ، الكفّار ، حمالة ، شاقوا الله ، وأنّ الله ليس بظلام للعبيد »
التي بآل عمران فقط .

وقد يحدفونها منها نادراً نحو : « وما أنا بظالم للعبيد » التي بالحج والتي بق ، علم الغيوب ، تُشَقُّونَ فيهم ، ولا تحضُّونَ على طعام ، وهو الخلق العليم ، إلى العزيز الغفر .
ولا يحدفون ألف المد في صيغ المفرد غالباً نحو : « عالم الغيب ، لقادر ، ناصر ، ساجدا ، كاذبة ، فاعل ، فاسق » شاكر ، قانتا ، كاشفة ، صابرا ، وكان الكافر ، وهو ظالم لنفسه ، كانت ظالمة ، وعمارة ، سقاية » .

وقد يحدفونها منها نادراً نحو : « وهى ظلمة ، وإني لأظنه كذّاباً ، إني عميل فسوف ، عقيبة ، ميقت ، فما متع » .

أما حذف ألف المد في صيغ الجمع فمطرد نحو : « ربّ العلمين الظالمين ، شكرون ، في السّاجدين ، خدّون ، الكفّرون ، إنّ المنافقين ، الراسخون ، من العّبرين ، الحكيمين » .

وأثبتوا الألف في « وما صاحبكم بمجنون ، قال له صاحبه وهو يحاوره ، ثم تفكروا

ما بصاحبكم من جنة ، وصاحبهما في الدنيا معروفا ، فنادوا أصحابهم فتعاطى ، ولا تكن كصاحب الحوت » .

وحذفوها من « فقال لصاحبه ، إذ يقول لصاحبه ما اتخذ صاحبه ، وصاحبه وبنيه » .
وحذفوها من بعض الأسماء نحو : « إبراهيم ، إسماعيل ، إسحق ، سليمان ، هرون ، صالح » .

أما حذف ألف اللد وإثباتها في غير ما ذكرناه فهو كثير في القرآن الكريم ، فمثال الحذف : هذا غلْمٌ ، بُهْتَنٌ ، بَضْعَةٌ ، خُشْعَةٌ ، إِذْ يَتَنَزَّعُونَ ، وَالْمُحَصَّنَاتُ ، حُفْظُونَ ، الْإِنْسُنُ ، سُلْطَنٌ ، شَيْطَنٌ .

ومثال الإثبات : أنصار الله ، وإذا خاطبهم ، علمه البيان ، عجاف ، من أساور ، وأما الجدار ، إلى نعاجه ، الحراب ، من عاصم ، يُحْسِنَان .

(ويقول) الحسن بن أحمد الهمداني صاحب كتاب الإكليل^(١) : إن قاعدة الكتابة الحُمَيْرِيَّة إذا وقعت الألف في وسط الكلمة حذفت نحو « همدان وريام » فإنهم يكتبونها هكذا « همدن وريم » وكانوا يثبتون واو عليهمو كما يثبتون ضمة آخر الحرف اه غير أن رسم المصحف لا يتبع قاعدة خاصة ولا يتمشى على طريقة واحدة كما رأيت .

الفصل الرابع

في بعض غرائب رسم المصحف العثماني

لقد ذكرنا في الفصول المتقدمة كثيرا من الكلمات المتنوعة ، ونذكر في هذا الفصل جملة من الكلمات التي تعد غريباً في بابها وطريقاً في كتابتها ؛ فمن ذلك :

(١) هو أوسع كتاب في الحروف الحُمَيْرِيَّة ويقع في عشرة أجزاء ولا يوجد منها سوى جزوين في المكتبة المملوكية ببرلين ، ويقال إنه موجود بكامل أجزائه في مكتبة جلالة الإمام يحيى ملك اليمن السابق رحمه الله تعالى .
والحسن بن أحمد الهمداني المذكور هو من أهل القرن الرابع للهجرة فإنه توفي سنة ٣٦٤ هجرية تقريبا ، وهو الذي ألف أيضا كتاب صفة جزيرة العرب .

أنهم رسموا كلمة « لَأَذْبَحَنَّهُ » بزيادة ألف بعد ألفها الأصلية .

ورسموا كلمة « أَفَإِنْ مَاتَ » وكلمة « أَفَإِنْ مِتَّ » بزيادة ياء قبل النون

في الكلمتين .

ورسموا كلمة « وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ » وكلمة « بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ » بيايين

في الكلمتين .

ورسموا كلمة « سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ » بزيادة واو بعد الألف بخلاف ما يماثلها نحو:

« مَا أُرِيكُمْ » بسورة غافر .

ورسموا كلمة « يَبْنُونَ » متصلة ببعضها بسورة طه بخلاف ما يماثلها في الأعراف

فإنها هكذا « قَالَ ابْنَ أُمَّ » .

ورسموا كلمة « وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ » بالفجر، وكلمة « وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ » بالزمر

بزيادة ألف بعد الجيم فيهما بخلاف ما يماثلها نحو: « سَيِّءٌ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا » في سورة

هود وفي سورة العنكبوت أيضا .

ورسموا كلمة « وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ » بالكهف بزيادة ألف بعد الشين .

ورسموا كلمة « أَحْصِبْ لَثِيكَةَ » بالشعراء بحذف الألف بخلاف ما يماثلها بسورة ق

فإنها هكذا « أَحْصِبْ الْأَيْكَةَ » .

ورسموا كلمة « مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » بفاطر بوضع همزة على الواو وألف بعدها .

ورسموا مثلها كلمة « وَمَا دُعُوا الْكَافِرِينَ » التي بغافر ، وأما التي بالرعد فإنها هكذا

« وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ » .

ورسموا كلمة « فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ » بسورة هود بوضع همزة على واو فألف بعدها

بخلاف ما يماثلها بالحج فإنها هكذا « مَا نَشَاءُ » .

ورسموا كلمة « الضُّعَفَاءُ » بوضع همزة على واو فألف بعدها وذلك بسورة غافر فقط

بخلافها في غيرها فإنها كتبت هكذا « الضُّعَفَاءُ » .

ورسموا كلمة « يَأْتِيهَا الْمَلَأُ » وكلمة « قُلْ هُوَ نَبَوَّا عَظِيمٌ » بوضع الهمزة على الواو فألف بعدها في الكلمتين .

ورسموا كلمة « إلى فرعون ومَلَايِهِ » بزيادة ياء قبل الميم .

ورسموا كلمة « لَتَنَخَذَنَّ عَلَيْهِ أَجْرًا » بالكهف بحذف الألف بخلاف ما يمثّلها نحو : « وَإِذَا لَاتَخَذُوكَ خَلِيلًا » بالإسراء فإنه يثبت الألف .

ورسموا كلمة « مائة » بالألف بخلاف « فئة » فإنها بحذفها .

ورسموا كلمة « إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » يثبت الألف بخلاف ما يمثّلها نحو : « وَإِنِّي فَأَتَّقُونَ » فإنه يحذف الألف .

ورسموا هذه الكلمات فقط « جاءو . فاءو . باءو . تبوءو » في القرآن كله بحذف الألف من واو فعل جمع .

ورسموا كلمة « ومن يعظمُ شعيرَ الله » وكلمة « والبُذُنْ جعلناها لكم من شعيرِ الله » بدون ألف بعد العين فيهما ، بخلاف « إن الصفا والمروة من شعائر الله » بالبقرة فإنها بالألف .

ورسموا كلمة « كبيرِ الإثم » بحذف الألف بعد الباء .

ورسموا كلمة « هذا بصيرُ للناس » التي بالجائية فقط بدون ألف بعد الصاد بخلاف التي بالأعراف والإسراء وبالقصص فإنها بالألف هكذا « بصائر » .

ورسموا كلمة « رضية » التي بالقارعة فقط بدون ألف بخلاف التي بالحاقة وبالغاشية وبالغجر فإنها بالألف .

ورسموا كلمة « قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي » بالألف في هذه الآية فقط ، وفي جميع القرآن بدون ألف هكذا « سُبْحَنَ » .

ورسموا كلمة « عبادنا » التي بصيغة الجمع بغير ألف في سورة ص فقط في آية « واذكر عبدنا إبراهيم وإسماعيل ويعقوب » وفيما عدا هذه الآية رسموها بالألف في جميع القرآن .

ورسموا كلمة « آياتنا » التي بيونس فقط بألف بعد الياء ، وفي جميع القرآن بغير ألف هكذا « آيتنا » .

ورسموا كلمة « قرءاناً عربياً » التي في أول الزخرف فقط بدون ألف بعد الهمزة وفي جميع القرآن بالألف هكذا « قرءان » .

ورسموا كلمة « من نخيل وأعناب » التي بأواخر البقرة بالألف وفي جميع القرآن بغير ألف هكذا « وأعنب » .

ورسموا هاء التأنيث تاء أحياناً في نحو : « نعمة . رحمة . سنة . شجرة » فيكتبونها أحياناً هكذا « نعمت . رحمت . سنت . شجرت » وقد سبق بيان ما يماثلها في أول صحيفة ١٣٨ .

ورسموا كلمة في « روضات الجنات » التي بالشورى فقط بالألف بعد النون وفي جميع القرآن بدون ألف هكذا « جنّت » .

ورسموا كلمة « السموات » التي بأول فصلت فقط بالألف بعد الواو، وفي جميع القرآن بدون ألف هكذا « السموات » أما حذف الألف بعد ميمها فمطرد في القرآن كله .

ورسموا كلمة « سعوا » التي بالحج بالألف ، وأما التي بسبأ فإنها بحذف الألف التي بعد الواو .

ورسموا كلمة « عتوا » التي بالفرقان بدون ألف بعد الواو ، أما التي بالأعراف فإنها بالألف .

ورسموا كلمة « سراجا » بالألف بعد الراء في جميع القرآن ما عدا التي بالفرقان فإنها بدون ألف .

ورسموا كلمة « فأحيكم » التي بأول البقرة بدون ألف بعد الياء ، وأما التي بآخر الحج فإنها بالألف هكذا « فأحياكم » .

ورسموا كلمة « من نبي المرسلين » التي بالأنعام بالهمزة تحت الياء بخلاف غيرها نحو : « من نبي موسى » بدون ياء .

ورسموا كلمة « أو من وراي حجاب » التي بالشورى الهمزة على ياء بخلاف غيرها نحو: « من وراء جذر » بدون ياء .

ورسموا كلمة « وإيتاي ذى القربى » وكلمة « من تلقاي نفسى » وكلمة « ومن اناي اليل » الهمزة بالياء فى هذه الكلمات الثلاث .

ورسموا كلمة « وكذلك نُنَجِّي المؤمنين » بالأنبياء بنون واحدة و يياء بعد الجيم بخلاف التي ييونس فإنها بنونين ، وبمحذف الياء التي بعد الجيم هكذا « وكان حقاً علينا نُنَجِّ المؤمنين » .

ورسموا كلمة « أن لن نقول الإنس والجن » بإثبات النون بعد الهمزة بسورة الجن بخلاف كلمة « ألن نجتمع عظامه » بالقيامة فإنها بمحذفها ، وانظر صحيفة ١٣٠ فى السطر السابع مع الهامش .

ورسموا كلمتي « الظاهر والباطن » بمحذف ألف المد من الظاهر وإثباتها فى الباطن ، مع أن وزنهما واحد وهما من أسماء الله تعالى .

ورسموا كلمة « لدا الباب » بيوسف بالألف ، وكلمة « لدى الخناجر » بغافر بالياء . ورسموا كلمة « إنا لما طعنا الماء » بالحققة بالألف ، وكلمة « فأمّا من طغى » بالنازعات و بغيرها بالياء .

ورسموا كلمة « أئيبا » بغير ألف بعد الهاء فى ثلاثة مواضع فقط فى جميع القرآن وهى : « أئيه الثقلان ، أئيه المؤمنون ، يَأئيه الساحر » .

ورسموا كلمة « بئيتنا كذّابا » بألف بعد الدال ، وأما كلمة « لَعَوْا ولا كذّبا » فإنها بمحذف الألف وكتبتها بسورة النبأ .

ورسموا كلمة « إبراهيم » فى سورة البقرة هكذا « إبراهيم » وفى بقية القرآن هكذا « إبراهيم » .

ورسموا كلمة « إيلافهم » هكذا « لإيلاف قريش إِيءَ لهم » .

ورسموا كلمة « أنت وليّ في الدنيا والآخرة » وكلمة « إِنْ وَلِيَّكَ اللَّهُ » كما تراها هنا .

ورسموا كلمة « هو يُمحي عييت » وكلمة « فيستحي ع منكم » كما تراها هنا .

ورسموا هذه الكلمات « النَّبِيِّينَ ، الْخَوَارِجِينَ ، الْأُمِّيَّينَ » كما تراها هنا .

ورسموا هذه الكلمات الثمانية بالواو وهي : « الصلاة ، الزكاة ، الربا ، النجاة ، الغداة ، مشكاة ، مناة ، الحياة » .

أى تكون كتابتها في المصحف هكذا « الصلوة ، الزكوة ، الخيوة ، النجوة ، الربوا ، الغدوة ، مشكوة ، منوة » .

مالم يضاف بعضها إلى ضمير ، وقد سبق قريبا بيان ذلك في الفصل الثاني من هذا الباب في صحيفة ١٤٤ هامش رقم ١ .

ورسموا هذه الكلمات « قواريرا ، سلسلا ، الظنوننا ، السبيلنا ، الرسولنا » كما تراها هنا : أى بزيادة ألف في أواخرها ، إلى غير ذلك مما لا يمكن حصره .

فلو تكلمنا على مرسوم القرآن كلمة كلمة لتصر بنا الحال وطال بنا المجال ، وفيما ذكرناه هنا وفي الفصول السابقة كفاية لأولى الأبواب .

وإلى بعض ما تقدم أشار الشيخ محمد العاقب الشنقيطى رحمه الله بقوله :

لَلْوَيْدِ بَعْدَ الْهَمْزِ وَائِءٌ أُدْخِلَا فِي سَأَوْرِي أُوَلُوا أُوَلَاتُ وَأُولَا
وَالْيَاءِ فِي بَأْيِيدِ الْمُنَوَّرِ وَأَفَايِنْ إِيْتَايْ ذِي الْقُرْبَى غُنَى
مِنْ نَبَايِ الْأَنْعَامِ مَعَ وَرَايِ شُورَى وَءَاتَايِ وَمِنْ تَلْقَايِ

وَأَدْخِلَ الْأِفْ قَبْلَ هَمْزَةٍ مَلَايِهِ بِالْخَفْضِ ثُمَّ مِائَةً
وَقَبْلَ يَ لِشَايَ إِنِّي أَدْخِلَا وَلَفْظُ يَأْيُسُ بَعْدَ لَفْظٍ لَمْ وَلَا
وَفِي لَأَذْبَحَنَّ عَنِ الْهَمْزِ يَحْيَى (١) وَقِيلَ فِي لَأَوْضَعُوا جَاءَ وَجَاءَ (٢)

(وخلاصة القول) أننا لم ندرك السر في رسم المصحف العثماني كما لم يدركه من قبلنا من كبار الأئمة وفحول العلماء ، وسواء فهمنا ذلك أو لم نفهم ، فالواجب علينا اتباعه حرفاً حرفاً وكلمة كلمة وما وسع القرون الأولى وهم خير القرون يسعنا ونحن على أبواب الفتن وفي آخر الزمن ، نسأل الله لطفه ورحمته وفضله وإحسانه إنه لطيف خبير .

فَكُلُّ خَيْرٍ فِي اتِّبَاعٍ مِّن سَلَفٍ وَكُلُّ شَرٍّ فِي ابْتِدَاعٍ مِّنْ خَلَفٍ

(١) عن الهمز أي بعدها .

(٢) أي روي أن الألف قد جاء مزيداً في قوله تعالى (لا أوضعوا) عن بعض علماء الرسم كما في : (لا أذبحنه) وقد جاء عن بعضهم أيضاً في لأنتم ولأنتم ولا توها ولا إلي لكن الراجع عدم الزيادة في هذه الكلمات اه من إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام . وهذه الأبيات كتبت بحسب الرسم العثماني لأن كلماتها موجودة في المصحف .

الباب السادس

وفيه خمسة فصول

الفصل الأول

فيما ذكره العلماء من التعليقات لبعض مرسوم المصحف العثماني

ذكر العلماء تعليقات متنوعة لبعض كلمات الرسم العثماني ، غير أن هذه التعليقات ماهي إلا من قبيل الاستئناس والتلميح لأنها لم توضع إلا بعد اقراض الصحابة رضى الله عنهم ، وهم قد كتبوا المصحف بهذا الرسم لحكمة لم نفهمها وإشارة لم ندركها من غير أن ينظروا إلى العلل النحوية أو الصرفية التي استنبطت بعدهم ، ونحن نأتي هنا بشئ من ذلك للعلم به .

(فمنها) أنهم قالوا حذفت الألف من بسم الله طلبا للخفة لكثرة استعمالها ، قيل لما أسقطوا الألف ردوا طول الألف على الباء ليكون دالا على سقوط الألف ولا تحذف الألف إذا أضيف الاسم إلى غير الله ولا مع غير الباء .

(فنحن نقول) ماهي الخفة في بسم الله بحذف الألف وما هو الثقل في « اقرأ باسم ربك » وفي « سبح اسم ربك » بإثباتها ؛ ثم إن تطويل الباء أو تقصيرها من بسم الله راجع إلى قواعد تحسين الخط ؛ ففي بعض أنواع الخطوط تقصر وفي بعضها تطول حتى في الخط الكوفي القديم .

(ومنها) أنهم قالوا حذفت الواو من « ويمحُ الله الباطل » للإشارة إلى سرعة ذهابه واضمحلاله ، وزيدت الياء في « والساء بيناها بأيدي » للفرق بين الأيدي التي بمعنى القوة والأيدي التي ليست بمعنى القوة .

(فنحن نقول) إذا سلمنا بعلّة حذف الواو من « ويمح الله الباطل » فهل يمكن أن نشير إلى أن إثبات الواو في « يحو الله ما يشاء ويثبت » يدل على التراخي في الحو والإثبات ، وإن جربنا على رأيهم أن زيادة الياء في بَأَيِّد للفرق بين التي للقوة والتي ليست للقوة ، فما نقول في زيادة الياء في « بَأَيِّكُم المفتون » دون زيادتها في « أَيَّكُم أحسن عملا » ؟ .

(ومنها) أنهم قالوا : إن زيادة الألف في « لَأَذْبَحَنَّهُ » إشارة إلى أن الذبح لم يقع فكأنما لانا فية ، وقيل إن زيادة الألف فيها إشارة إلى الفتحة ، لأن الفتحة عندهم ألف وكذلك الياء في « إيتاءى ذى القربي » إشارة إلى الكسرة لأنها ياء والواو في « سَأُورِيكُم آياتي » إشارة إلى الضمة لأنها واو أيضا .

(فنحن نقول) إن كان الأمر كذلك فلم لم تكن الألف موجودة في نحو « لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ » والياء موجودة في نحو « مِن وراء جُدُر » والواو موجودة في نحو « ما أَرِيكُم » ؟ . ثم هل إن زيادة الألف والواو والياء في الكلمات المذكورة هي بمثابة الحركات والتشكيل ، فإن كان كذلك فلم لم يضعوها في جميع كلمات القرآن لتتوب عن الحركات . (ومنها) أنهم قالوا إن كلمة « أحياء » من نحو آية « وأنه هو أمات وأحياء » رسمت بالألف كراهة اجتماع متماثلين ، فلم لم تكتب كلمة « يحيى » من آية « ثم لا يموت فيها ولا يحيى » كذلك نفس العلة ؟ .

(ومنها) أنهم قالوا إن الألف التي بعد الراء من كلمة « إبراهيم » حذفت للاختصار ، ونحن نقول إن هذه العلة ليست مطردة في جميع القرآن : فقد تحذف الألف من بعض الكلمات نحو : في عيشة رَضِيَّة بالقارعة ، وجعل فيها سِرْجاً ، بالفرقان ، وحرّام على قرية ، بالأنبياء ، إن عذاب ربك لواقع ، بالطور ، وقد لا تحذف من بعضها نحو : لِسَعِيها راضية بالغاشية ، وجعلنا سراجاً وهاجاً ، بالنبأ ، ليلاً من المسجد الحرام ، بالإسراء ، إذا وقعت الواقعة .

(ومنها) أنهم قالوا : حذف ياء المضارع لغير جازم في « يوم يأت لاتكلم نفس » على لغة هذيل ، ونحن نقول إن هذه الكلمات : ياعباد فائقون ، وعباد الذين آمنوا ، كلاهما في الزمر . ويدع الإنسان ، ويوم يدع الداع ، حذفت منها الياء والواو ؛ فمثل هذا الحذف على لغة بعض القبائل أيضا أم لا ؟ ولم لم تحذف الياء من آية « ياعبادى الذين آمنوا » في العنكبوت ، ومن « قل ياعبادى الذين أسرفوا » في الزمر ، ولم تحذف الواو من نحو « يمحوا الله مايشاء ويثبت » .

(ومنها) أنهم قالوا رسمت هاء التأنيث تاء نحو « رحمت ونعمت وامرأت » على لغة طي . (ونحن نقول) لم لم يكن ذلك مطردا في جميع القراءان ؟ فإن هذه الكلمات نفسها ومعها بضع كلمات أخرى رسمت أحيانا بالهاء وأحيانا بالتاء ، أما غيرها فإنها مكتوبة بالهاء على وتيرة واحدة نحو « قيمة ، ذرة ، القارعة ، مسغبة ، رقبة ، زجرة ، خافية » .
(ومنها) أنهم قالوا في قوله تعالى « لايلاف قريش إى لفهم » حذفت الياء من إيلافهم للاقتصار .

وقالوا إن كلمة « وليى » من آية « أنت وليى فى الدنيا والآخرة » ، ومن آية « إن وليى الله » اتفق شيوخ الرسم على كتابتها بياء واحدة ، ورجح الدانى وأبو داود فى حرف الأعراف أنها الثانية وفى حرف يوسف أنها الأولى ، ولهذا الترجيح كتب حرف الأعراف وضبط هكذا « وليى » ، وكتب حرف يوسف وضبط هكذا « وليى » ولا مانع من رسمهما وضبطهما معا بصورة منهما .

(ونحن نقول) هل هذه الكلمات الآتية مثلها أم لا ؟ وهى : النديى ، الحوارى ، الأميى ، وهو يئى ، ويميت .

فانخلاصة أن كل هذه التعليقات التى ذكرها العلماء من الزيادة ، والحذف فى بعض كلمات القرآن لاتغنى شيئا ، والحقيقة هكذا وصلت إلينا عن الصحابة الذين كتبوا القرآن الكريم ولم ينكشف سر ذلك لأحد ، والله سبحانه علام الغيوب .

الفصل الثاني

في اختراع النقط والشكل

لم يكن النقط والشكل (أى الإبحام والحركات) معروفا قبل الإسلام ؛ فكانوا يقرءون على الوجه الصحيح حسب الفطرة والغريزة ، فلما انتشر الإسلام واختلط العرب بالعجم طرأ عليهم الخطأ والتصحيف فاحتاجوا إلى وضع علامات تقيهم من ذلك ، فاخترعوا النقط والشكل .

(وسبب تشكيل المصحف) أن زياد بن سمية وكان واليا على البصرة لما رأى ظهور الخطأ عند العرب طلب من أبي الأسود الدؤلى أن يضع طريقة لإصلاح الألسنة عند القراءة فلم يجبه إلى طلبه فدبر زيادة حيلة ، فقال لرجل من أتباعه اقعد على طريق أبي الأسود واقرا شيئا من القرآن وتعمد اللحن ففعل الرجل ذلك وقرأ « إن الله برى من المشركين ورسوله » وكسر اللام ، فلما سمعه أبو الأسود أعظم ذلك وقال عز وجه الله تعالى من أن يبرأ من رسوله ، فذهب من فوره إلى زياد وقال له قد أجبتك إلى ما سألت ، ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن فابغى كاتباً فبعث إليه ثلاثين كاتباً فاختار واحدا منهم وقال له خذ المصحف وصبغا يخالف لون المداد فإذا رأيتنى فتحت شفتى بالحرف فانقط واحدة فوقه ، وإذا كسرتهما فانقط واحدة أسفله وإذا ضممتهما فاجعل النقطة بين يدي الحرف ، فإن تبعت شيئا من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين ، وأخذ يقرأ بالتأتى والكاتب يضع النقط ، وكلما أتم صحيفة أعاد أبو الأسود نظره عليها واستمر على ذلك حتى أعرب المصحف كله وترك السكون بلا علامة ، فأخذ الناس هذه الطريقة عنه وكانوا يسمون هذه النقط شكلا ثم تفننوا في هيئة النقط ؛ فمنهم من جعلها مربعة ومنهم من جعلها مدورة ثم زادوا علامات في الشكل إلى أن وصلت إلينا بهذه الصورة التي نستعملها اليوم .

(وسبب نقط المصحف) أن الناس مكثوا يقرءون في مصاحف عثمان رضى الله عنه

نينا وأربعين سنة ثم كثر التصحيف بالعراق ففزع الحجاج^(١) إلى كتابه في زمن عبد الملك وسألهم أن يضعوا علامات لهذه الحروف المشبهة ودعا نصر بن عاصم الليثي ويحيى بن يعمر العدواني (وهما من أخذ عن أبي الأسود) لهذا الأمر ، وكانت عامة المسلمين تكره أن يزيد أحد شيئا على ما في مصحف عثمان ولو للإصلاح وتوقف كثير منهم في قبول الإصلاح الأول الذي أدخله أبو الأسود ؛ فبعد البحث والتروى قرر نصر ويحيى إدخال الإصلاح الثاني ، وهو أن توضع النقط أفرادا وأزواجا لتمييز الأحرف المتشابهة كالذال والذال ، فالأولى تهمل ، والثانية تعجم من فوق بنقطة واحدة وهكذا في بقية الحروف وجرى الناس عليه إلى الآن غير أن هناك اختلافا بين الفاء والقاف بين المشاركة والمغاربة ؛ فالمشاركة ينقطون الفاء بواحدة من فوق ، والقاف بنقطتين من فوق أيضا ، والمغاربة ينقطون الفاء بنقطة واحدة من أسفل والقاف بنقطة واحدة من فوق ، ولا ضرر في اصطلاحهم حيث أمن اللبس والاشتباه عندهم .

ومن أراد زيادة البحث في هذا الموضوع فعليه بمطالعة كتابنا تاريخ الخط العربي وآدابه ، فقد بسطنا القول فيه هناك .

والذي يغلب على ظننا والله أعلم بغييه أنه كما أدخل النقط والشكل في المصاحف سيأتي على الناس زمان يدخلون فيها علامات الترقيم كعلامة الاستفهام والتنصيص والتأثر ، وقد ذكرناها مفصلا في كتابنا تاريخ الخط العربي وآدابه فراجعه .

والحقيقة لا نرى بأسا في إدخالها في المصاحف لأنها من دواعي سرعة الفهم ، ومن محسنات الكتابة لا دخل لها في جوهر الحروف والكلمات ولا تغير اللفظ ولا المعنى فيكون إدخالها في المصاحف كإدخال النقط والشكل ، ووضع علامات التجويد فوق الكلمات وعلامات الضبط فيها .

(١) توفي الحجاج بن يوسف الثقفي في شوال سنة خمس وتسعين للهجرة ، وكان من حفاظ القرآن المعدودين

الفصل الثالث

في كتابة المصاحف قديماً وحديثاً

روى عن عليّ زين العابدين ابن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يقول كانت المصاحف لا تباع إنما يأتي الرجل بورقة عند المنبر فيقوم الرجل المحتسب فيكتب له من أول البقرة ثم يحى غيره حتى يتم المصحف .

هكذا كان في ابتداء الإسلام ، ثم صار كثير من الناس يتفرغون لكتابة المصاحف لعدم وجود المطابع في ذلك الزمن فكان يكتب بعضهم مائة مصحف ، وبعضهم مائتين وبعضهم أقل أو أكثر ، ولئن كانت المطابع غير موجودة في زمنهم ، فقد كانت قلوبهم عامرة بالتقوى ممتلئة إيماناً و يقيناً ، وكانوا أكثر تلاوة القرآن وأشدّ تمسكاً بأحكامه ، وأكثر رغبة وتنافساً في نسخه وكتابته وإهدائه لبعضهم ، وجعله في المساجد ودور العلم والتدريس رجاء الأجر والثواب .

ذكر ابن خلكان عند ترجمة إسحاق بن مرامر الشيباني النحوي اللغوي ، قال ولده عمرو لما رجّع^(١) أبي أشعار العرب ودونها كانت نيفاً وثمانين قبيلة ، وكان كلما عمل منها قبيلة وأخرجها إلى الناس كتب مصحفاً وجعله بمسجد الكوفة حتى كتب نيفاً وثمانين مصحفاً بخطه اه .

فكم مثل إسحق من كتب عدة مصاحف يقصد بها وجه الله تعالى ونفع المسلمين ، ولقد ذكرنا في كتابنا تاريخ الخط العربي وآدابه طائفة ممن كتبوا القرآن الكريم عدة مرات فراجعهم هناك ولم نذكرهم هنا حتى لا نخرج عن الموضوع .

فقدان رحمك الله بين أيامنا وأيامهم ورجالنا ورجالهم ، فلا حول ولا قوة إلا بالله . اللهم تداركنا برحمتك ولطفك وبرك وإحسانك إنك على كل شيء قدير .

(١) قال في المصباح المنير ورجعت الكلام وغيره: أي رددته وبها جاء القرآن قال تعالى (فإن رجلك الله) ... اه المراد منه .

هذا ولما ظهرت المطابع في زماننا قلَّ اشتغال الناس بكتابة المصاحف ونسخها لكن لا يزال الملوك والأمراء والأثرياء المثقفون إلى يومنا هذا يفتخرون باقتناء المصاحف الخطية القيمة ، ويسندون نسخها وكتابتها إلى من اشتهر بحسن الخط ويصرفون على ذلك المبالغ الطائلة بسخاء وكرم فيكون المصحف المعنى بنسخه وكتابته قيماً جليلاً جديراً بالمحافظة عليه ليبقى أثراً خالداً .

والمصاحف في العهد الأول كانت تكتب بأنواع متعددة بالخط الكوفي إلى القرن الخامس تقريباً ، ثم لما تنوعت الخطوط صاروا يكتبونها بخط الثلث إلى القرن الثامن أو التاسع ، ولما ظهر خط النسخ الذي هو من أجمل الخطوط صاروا يكتبونها به إلى عصرنا الحاضر ^(١) .

والحق يقال إن جمال المصاحف لا يظهر إلا إذا كتبت بخط النسخ فقط ، أما بقية أنواع الخطوط فلا يستحسن كتابتها بها ، كخط الرقعة والديواني والفارسي وسيماكت وشكسته لأن قاعدة هذه الخطوط عدم تشكيّلها والمصاحف يجب تشكيّلها صيانة للقارى من اللحن .

بل قد يحرم كتابتها ببعض هذه الخطوط كخط سيماكت وشكسته فإن هذين الخطين لا يعرفهما أحد في جميع البلدان العربية ، ويندر جداً من يعرفهما في بلاد الترك والعجم ، وقد وضعنا صورتها وتكلمنا عنهما في كتابنا تاريخ الخط العربى وآدابه فراجع ، وهو مطبوع بمصر .

فكتابة المصاحف بالخطين المذكورين يؤدى إلى الخلل والتخريف وهذا لا يجوز ، فإن عمّ انتشارها في البلاد الإسلامية ارتفع الخطور ولم يبق للتحريم وجه ، وقد بسطنا القول في هذا الموضوع في أول كتابنا تاريخ الخط المذكور عند شرح الأحاديث الواردة في الخط

(١) يوجد في دار الكتب العربية بمصر كثير من المصاحف القيمة الأثرية المكتوبة بخطوط متنوعة من القرن الأول للهجرة إلى عصرنا الحاضر وقد ذكرنا شيئاً منها في كتابنا (تاريخ الخط العربى) فراجع .

والكتابة فراجع إن شئت ، ومع ذلك نضع هنا ثلاث صور لبعض الخطوط التي لا يعرف الناس قراءتها اللهم إلا الخواص .

فإليك صورة صحيفة مكتوبة بخط شكسته كتبها السيد محمد داود الحسيني الأفغاني سنة ١٣١١ من الهجرة ، وهو الآن موجود في بلاد الأفغان ، ولا يخفى أن كتابة الصحيفة معقدة لا تسهل قراءتها .



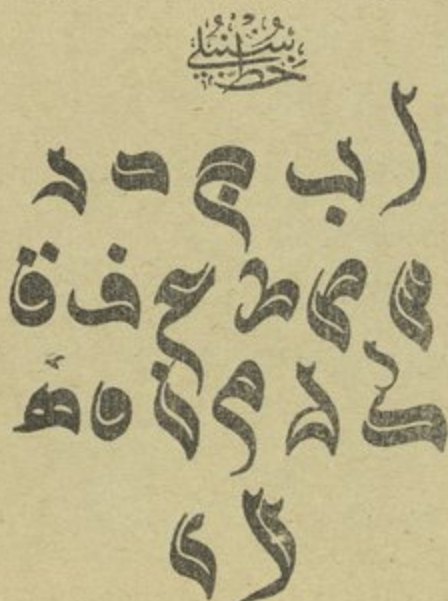
صحيفة بخط شكسته باللغة الفارسية وبحروف عربية لكنها معقدة القراءة .

وإليك أيضا صورة للبسملة بكاملها كتبها أحمد قره حصارى التركى المتوفى سنة ٩٦٣ وهي غريبة الشكل والكتابة فلا تشبه كتابة عصر من عصور الإسلام ، وإنما هي من اختراع المذكور .

(١١ - تاريخ القرآن)



هذه الصورة مكتوب فيها (بسم الله الرحمن الرحيم)



هذه الحروف الهجائية العربية كتبت بالخط السنبلي ولا ندري ما وجه تسميته بذلك
ولم نعر قط علي كتابته بهذه الحروف مع كثرة بحثنا ومعرفتنا لجميع أنواع الخطوط العربية
وإليك أيضا شكل الحروف الهجائية العربية بالخط السنبلي ، ونحن لم نسمع بهذا
الخط أبدا ولم نر كتابته به ، وإنما وقعت بيدنا هذه الصورة فأحببنا وضعها هنا تسجيلا لبعض
الخطوط التي لا تقرأ .

ظهور المطابع

كان أول اختراع المطابع في ألمانيا سنة ١٤٣١ ميلادية ، وبالضرورة مضت مدة طويلة حتى أتقنت صناعتها وظهرت صلاحيتها ، فدخلت أولا في بلاد إيطاليا ثم فرنسا ثم في إنجلترا ثم انتشرت في جميع البلدان .

وفي عصرنا الحاضر تقدمت صناعة المطابع وأدخل فيها من التحسينات الفنية ما لم يكن في الحسبان ، وإن أول مصحف طبع بالخط العربي كان في همبرج بألمانيا سنة ١١١٣ هجرية ويوجد من هذه الطبعة مصحف بدار الكتب العربية بمصر القاهرة ، كما يوجد بها مزامير داود عليه السلام بأربع لغات مع تفسير لاتيني طبعت في جنوة بإيطاليا سنة ٩٣٥ هجرية ، وبعد سنة ١٥١٦ ميلادية طبع المصحف أيضا في البندقية بإيطاليا ، وسبب طبع المصحف الكريم في همبرج والبندقية وجود المطابع فيهما دون البلاد الإسلامية كما هو ظاهر^(١) .

ومن العجيب أنه عند أول ظهور المطبعة في إيطاليا طعن علماءهم فيها طعنا جارحا حتى قالوا إنها بدعة همجية ألمانية ، ونادى كهنتهم لنهدم كيان الطباعة أو تهدم هي كياننا ، وفي ابتداء ظهور الكتب المطبوعة لم يُقبل الناس على شرائها .

ولما دخلت المطبعة إلى تركيا في زمن السلطان أحمد الثالث ، أفتت مشيخة الإسلام بجواز استعمالها إلا أنه بقي طبع المصحف ممنوعا ، ثم عادت الدولة العثمانية فمكنت المطبعة ثم جاء السلطان عبد الحميد الأول فأعادها ، وجاء السلطان محمود الأول فاهتم بها أكثر ، وأول كتاب طبع بالآستانة « صحاح الجوهرى » قيل إنه في سنة ١١٢٩ هجرية أفتى شيخ

(١) ومن الجدير بالتنويه عنه أنه في سنة ألف وثلثمائة وثمان وستين هجرية أقامت مصر معرضها الزراعى السادس عشر ، وكان معرضا عظيما فخما وكان فيه قسم خاص بالمطابع وأدوات الطباعة منذ اختراعها إلى وقتنا الحاضر ، والحق يقال إنه كان قسما فنيا مدهشا ، ولو علمنا أننا سنذكر اليوم عنه نبذة لكننا كتبنا وصفه الكامل في يوم زيارتنا للمعرض حينما كنا بالقاهرة في تلك السنة .

الإسلام بالآستانة عبد الله أفندي بجواز طبع الكتب غير الدينية^(١) وفيما بعد سنة ١١٤١ هـ طبعت كتب هامة في اللغة والأدب والتاريخ بالعربية والتركية والفارسية ، ثم استصدروا الفتوى بطبع كتب الدين وتجليد القرآن الكريم ، ومن أشهر مطابع الآستانة القديمة مطبعة الجوانب .

وأول من أدخلها إلى الديار التونسية محمد باشا باي الذي تولى إمارة تونس عام ١٢٧١ هـ وأول مطبعة ظهرت في حلب كان سنة ١٦٩٨ ميلادية ، ومن أقدم المطابع في لبنان مطبعة قزحيا وكانت أحرفها سريانية ثم صارت عربية ، ومطبعة الشوير ، وطبع فيها المزامير سنة ١٧٣٣ ميلادية وأقدم المطابع في بيروت مطبعة القديس جاورجيوس فإنها أنشئت سنة ١٧٥٣ ميلادية ، وبعدها المطبعة الأمريكية أنشئت في مالطة سنة ١٨٢٢ ميلادية ، ثم نقلت إلى بيروت سنة ١٨٣٤ ميلادية ، وبعدها المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين تأسست عام ١٨٤٨ ميلادي ، وكانت تطبع على الحجر ، ثم صارت تطبع على الحروف سنة ١٨٥٤ ميلادية وهي أكبر المطابع وفيها حروف عربية وأفريقية ويونانية وسريانية وعبرانية وأرمنية .

وأول مطبعة ظهرت بمصر مطبعة الحملة الفرنسية جاء بها بونابرت معه سنة ١٧٩٨ ميلادية لطبع المنشورات والأوامر باللغة العربية ، وقد سميت بالمطبعة الأهلية وكانت بالقاهرة إلى يونيو سنة ١٨٠١ ميلادية حين انسحاب الفرنسيين من مصر ، وبعد ذلك ظلت مصر نحو عشرين عاما بغير مطبعة حتى استقر الأمر لمحمد علي باشا فأنشأ المطبعة الأهلية سنة ١٨٢١ ميلادية ، وتعرف بمطبعة بولاق لأنها وضعت أخيرا في بولاق ، وأول ما طبع فيها قاموس إيطالي عربي سنة ١٨٢٢ ميلادية ، وقد اشتغلت هذه المطبعة أكثر من تسعين عاما وكانت أكبر مطبعة عربية في العالم ، وهي التي تسمى بالمطبعة الأميرية ، ثم كثرت المطابع الآن بمصر على مختلف أنواعها كما أدخلت عليها تحسينات عظيمة حسب التطور الحديث .

(١) وقيل كانت فتوى شيخ الإسلام المذكور بجواز الطباعة في سنة ١١٠٣ هجرية ، وبالرجوع إلى المصادر التركية تظهر الحقيقة .

ويندهش الزائر لمطابع أصدقائنا « مصطفى البابی الحلبي وأولاده » الواقعة بالعباسية بمصر القاهرة ، ويقف حائراً لدى مكينة « مُنَوْتِيب » التي تشبه الآلات الكتابية ، فهذه المكينة لا تكتب حروفاً عربية ، وإنما هي تخرق الورق بأخراق عديدة ، وهذه الأخراق ترمز إلى نفس الحروف العربية ، ثم يوضع هذا الورق المخرق في مكينة أخرى لتحويلها إلى حروف عربية ، وفي نفس الوقت يصب الرصاص السائل فتخرج الحروف مسبوكة ومجموعة إلى بعضها فتتكون منها الكلمات حتى ينتهي السطر ، ثم سطر تحته ثم سطر تحته وهكذا حتى تتم الصحيفة تلوا الصحيفة في قوالب مسبوكة بطريقة أنوماتيكية ، فسبحان الملمه الذي علم الإنسان ما لم يعلم .

ومن أراد التوسع في البحث عن تاريخ الطباعة العربية فليراجع الجزء الرابع من كتاب تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان ومجلة الهلال لسنة ٢٢٠٩ ، ومجلة المشرق لسنة ٤٣ ، والمقتطف لسنة ٧ ، وتاريخ جودت الجزء الأول .

وأول مطبعة ظهرت بمكة المشرفة هي المطبعة الأميرية التي سميت فيما بعد (بمطبعة أم القرى) وهي التي أطلق عليها الآن (مطبعة الحكومة) والذي استحضرها عثمان باشا نوري الذي كان والياً على الحجاز في عهد الأتراك أتى بها في سنة ١٣٠٣ هجرية تقريباً ، وجعلها في المكان الذي هي فيه الآن بأجياد وكانت بادئ أمرها صغيرة الحجم ، لكن في وقتنا الحاضر اهتمت الحكومة السعودية بها وجلبت لها كثيراً من أدوات الطباعة وآلاتها الحديثة .

وفي عام ١٣٢٧ هـ استحضر الشيخ محمد ماجد الكردي بمعاونة الشيخ مصطفى البابی الحلبي وأخويه رحمهما الله تعالى مطبعة على حسابه الخاص سماها (المطبعة الماجدية) وجعلها في داره الكائنة بخارة القرارة ، وقد طبع بها كثير من الكتب ، ثم استحضر الشيخ محمد صالح نصيف مطبعة في عام ١٣٤٥ هـ تقريباً سماها (المطبعة السلفية) وهي معطلة الآن لاستعمل ، وللشركة العربية للطبع والنشر مطبعة تسمى (المطبعة العربية) ومحلها بالشامية وفيها تطبع جريدة البلاد السعودية .

وقد ظهرت الآن مطابع كثيرة بمكة لا داعي لسردها .
وأما في المدينة المنورة ففيها مطبعة السيد علي حافظ وأخيه السيد عثمان حافظ استورداها
في سنة ١٣٥٥ تقريباً على حسابهما الخاص ، وفيها تطبع جريدة المدينة المنورة .
وأما في جدة ففيها مطبعتان :

الأولى (مطبعة رمزي) جليت في سنة ١٣٢٩ هـ تقريباً .
والثانية (مطبعة الفتح الوطنية) لصاحبها المحترم الشيخ عبد الرحيم عبد الفتاح ، وفيها
طبع كتابنا هذا « تاريخ القرآن الكريم » للمرة الأولى ، وقد تأسست في سنة ١٣٥٠ هـ .

الفصل الرابع

في عدم جواز قراءة القرآن وكتابته بغير العربية

اتفقت الأمة^(١) على عدم جواز ترجمة القرآن وكتابته وقراءته بغير العربية لأن ذلك
يؤدي إلى التحريف والتبديل بلا شك ؛ إذ لا يعقل ترجمته ترجمة حرفية بالمثل ، أما الترجمة
التفسيرية فلا بأس بها لأنها تشرح معانيه وتبين غوامضه ، وفي هذا الموضوع مؤلفات خاصة
تكفي الإشارة هنا إلى حكم ذلك .

وكيف يمكن كتابته أو ترجمته حرفياً باللغات الأجنبية ومخارج حروفها ليست كمخارج
الحروف العربية ، وعدد حروف هجائها قد يزيد عنها وقد ينقص ، ومن هنا يعلم استحالة
ترجمته حرفياً بغير اللغة العربية .

وعلى فرض وقوع الترجمة سواء كانت حرفية وغير حرفية فإنها لا تسمى قرآناً وإنما هي
تفسير ، فإن الأصوليين عرفوا القرآن فقالوا : « القرآن هو الكتاب المنزل على سيدنا محمد

(١) قيل إن الإمام أبا حنيفة جواز قراءة القرآن بالفارسية في خصوص الصلاة للعاجز عن العربية ،
ولقد قال الألوسي في تفسيره عند قوله تعالى (وإنه لن من الأولين) : إن أبا حنيفة رجع عن قوله هذا
كما صححه جميع من الثقات المحققين

صلى الله عليه وسلم باللفظ العربي المنقول بالتواتر المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس «
فعلى هذا ترجمة القرآن لا تسمى قرآناً ، وكذلك القراءة الشاذة ، وهى التى لم تنقل بالتواتر
كقراءة ابن مسعود (فَإِنْ قَامُوا فِيهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) وقراءته أيضا (وَعَلَى الْوَارِثِ
ذِي الرَّحِمِ الْمُحَرَّرِ مِثْلُ ذَلِكَ) وقراءته فى كَفَّارَةِ الْإِيمَانِ (مَنْ لَمْ يَحِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ
أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ) اه .

ويقول المستشرق « ر . ف بؤدلى » فى كتابه « الرسول : حياة محمد » فى الفصل
السادس عشر ما نصه : والقرآن يقاسى من الترجمة كثيرا إذا لم يكن هناك تكافؤ فى الأداتين
فهو يعتمد فى كثير على طريقة تعبيره بجوار طريقة إلقائه وموضوعه ، وهو يفقد كثيرا من
جماله كما يفقد الكتاب المقدس اللاتينى كمال الجمال للإنجيل فى اللغة الإنجليزىة فى العصر
الإليزيثى ، وإن القرآن ليفقد الوزن الموحى به إذا ما استبعد عن العربية ، كما تصبح أية
ترجمة للتوراة — ماعدا ترجمة الملك جيمس — تاريخاً مكرراً ومجموعة قوانين ، وإنه لمن
المستحيل أن ننقل ما ينقص القرآن فى الإنجليزىة والفرنسية والألمانية لمن لم يسمع جلال
الصوت الرنان الذى يرتل به العربى القرآن ، أو لمن لم يصغ إلى الأذان المجلجل من مثذنة
مسجد اه كلام المستشرق المذكور .

(فالمصحف له مكانة خاصة) وحرمة كبيرة لدى كافة المسلمين فى مشارق الأرض
ومغاربها ، فكما اتفقت الأئمة على عدم جواز كتابته بغير الرسم العثمانى محافظة على هيئة
كتابته الأولى ، اتفقت أيضا على عدم جواز كتابته وترجمته حرفيا بغير اللغة العربية خوفا
من التغيير والتبديل الذى لابد من حصوله بالترجمة ، واتفقت أيضا على عدم جواز مسه
أو حمله للمحدث ولو حدثا أصغر كما هو مبسوط فى كتب الفقه .

وكيف لا يكون جديراً بالاحترام والتعظيم ، وهو كلام الخبير اللطيف ، وأساس
الدين الخنيف ، وقد قال فيه سبحانه وتعالى : (لَوْ أَنزَلْنَاهُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ

لَرَأَيْتُهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ حَشْيَةِ اللَّهِ) .

وقال فيه عليه الصلاة والسلام من ضمن الحديث الذى أخرجه الترمذى « هو جبل الله للمتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تشعب منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه » .

الفصل الخامس

فى عدد أجزاء القرآن وأنصافه وسوره وآياته وحروفه

عدد سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة ، ومن عددها مائة وثلاث عشرة سورة يجعل الأنفال وبراءة سورة واحدة ، وعدد أجزائه ثلاثون جزءاً .

وأما أنصافه فقد قال بعض القراء : القرآن العظيم له أنصاف باعتبارات ، فنصفه بالحروف النون من « نكراً » فى الكهف والكاف من النصف الثانى ، ونصفه بالكلمات الدال من قوله : « والجلود » فى الحج ، وقوله : « ولهم مقامع » من النصف الثانى ، ونصفه بالآيات ياء « يأفكون » من سورة الشعراء ، وقوله : فألقى السحرة من النصف الثانى ، ونصفه على عدد السور آخر الحديد ، والمجادلة من النصف الثانى ، وهو عشرة بالأحزاب ، وقيل إن النصف بالحروف الكاف من « نكراً » وقيل الفاء من قوله : « وليتلف » .

(وأما آياته) فعددها ستة آلاف ومائتان وست وثلاثون آية، وهذا على حسب المصحف الأميرى الذى طبعته الحكومة المصرية عام ١٣٤٢ ، قال الإمام الدانى: أجمعوا على أن عدد آيات القرآن ستة آلاف آية ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك ، فمنهم من لم يزد ، ومنهم من قال ومائتا آية وأربع آيات ، وقيل وأربع عشرة ، وقيل وتسع عشرة ، وقيل وخمس وعشرون ، وقيل وست وثلاثون اهـ .

وتختلف الأعداد التى يعدون بها فى سائر الآفاق إلى ستة أو سبعة كالعدد الكوفى

والعدد البصرى والعدد المكى والعدد المدنى الخ ، ويعلم كل ذلك من كتب القراءات ، وقد بين ذلك شيخ المقارئ المصرية سابقاً الشيخ محمد بن على بن خلف الحداد رحمه الله تعالى فى كتابه «سعادة الدارين فى بيان وعد آى معجز الثقلين» فارجع إليه إن شئت ، فإن معرفة الآيات ضرورية ، ولها جملة فوائد لم نتعرض لذكرها خوف التتويل .

قال السخاوى فى جمال القراء (فإن قيل) فما الموجب لاختلافهم فى عدد آى القرآن ؟ (قلت) النقل والتوقيف (فإن قيل) فلو كان ذلك توقيفياً لم يقع اختلاف (قلت) الأمر فى ذلك على نحو من اختلاف القراءات ، وكلها مع الاختلاف راجع للنقل ... الخ .

(وأما عدد كلماته) فقليل سبع وسبعون ألف كلمة وتسعمائة وأربع وثلاثون كلمة ، وقيل وأربعمائة وسبع وثلاثون ، قال السيوطى : وسبب هذا الاختلاف فى عدد الكلمات أن الكلمة لها حقيقة ومجاز ولفظ ورسم واعتبار ، كل منها جائزة ، وكل من العلماء اعتبر أحد الجوانز .

(وأما عدد حروفه) فقليل ثلاثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرون ألف حرف وستائة حرف وسبعون حرفاً ، وقيل غير ذلك .

قال السيوطى : والاشتغال باستيعاب ذلك مما لا طائل تحته ، وقد استوعبه ابن الجوزى فى فنون الألفان وعد الأنصاف والأثلاث إلى الأعشار ، وأوسع القول فى ذلك فراجع منه اه .

وذكر بعضهم أن فى القرآن كذا وكذا من الألف وكذا وكذا من الباء وكذا وكذا من التاء وهلم جرا إلى آخر الحروف الهجائية .

وفى أول حاشية الجمل على تفسير الجلالين بيان عدد كل ذلك وقال فيه إن عدد جلالات القرآن ألفان وستائة وأربعة وستون ، وقد ذكر أيضاً ابن كثير رحمه الله تعالى فى أول تفسيره عدد آيات القرآن وكلماته وحروفه .

وقد ذكر بعضهم أن عدة النقط على حروفه ألف ألف وخمس وعشرون ألفاً وثلاثون نقطة كما جاء ذلك في حاشية أسنى المطالب .

والحقيقة أن عدد كلمات القرآن وحروفه أمر لا يستهان به إذ يحتاج إلى صبر وجلد عظيمين وإلى انتباه تام فقل من يتصدى لذلك .



هذه الصورة مأخوذة من كتاب « بدائع الشعر ولطائف الفن » لمؤلف هذا الكتاب وقد قدمه هدية لدار الكتب العربية بمصر القاهرة وهو مقيد بها تحت رقم ١٥٢٢ م وهذا الكتاب يحتوي على كثير من أمثال هذه الصورة ، والكتاب فريد في نوعه ينبغي الاطلاع عليه .

الخلاصة

وفيه خمس فوائد

الفائدة الأولى في فضائل القرآن

اعلم أن حفظ القرآن في الصدور فرض كفاية على الأمة وكذلك تعليمه ، أما نسيانه فكبيرة كما صرح به النووي في الروضة وغيرها لحديث أبي داود وغيره « عرضت على ذنوب أمتي فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها » ، وفي الصحيحين « تعاهدوا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشدّ ثقلًا من الإبل في عقلها » وفيهما أيضاً « مثل القرآن مثل الإبل المعقلة إن عقلها صاحبها أمسكها وإن تركها ذهبت » .

أخرج الشيخان « لاحسد إلا في اثنتين رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار فسمعه جاره ، فقال ليتني أوتيت ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل ، ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه في الحق ، فقال رجل : ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل » .

وأخرج الشيخان أيضاً وغيرها « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران » .

وأخرج أحمد والترمذي « مامن مسلم يأخذ مضجعه فيقرأ سورة من كتاب الله تعالى إلا وكل الله به مَلَكا يحفظه فلا يقربه شيء يؤذيه حتى يهب متى هب » .

وأخرج أحمد من حديث معاذ بن أنس « من قرأ القرآن في سبيل الله كتب مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » .

وأخرج مسلم من حديث جابر بن عبد الله « خير الحديث كتاب الله الخ » . وأخرج

البخارى عن عثمان بن عفان قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه » . وأخرج النسائي وغيره من حديث أنس قال « أهل القرآن هم أهل الله وخاصته » . وأخرج الطبراني من حديث أنس « حملة القرآن عرفاء أهل الجنة » . وأخرج الطبراني من حديث أنس أيضا « من قرأ القرآن يقوم به آناء الليل والنهار يحلّ حلاله ويحرّم حرامه حرّم الله لحمه ودمه على النار وجعله مع السفرة الكرام البررة حتى إذا كان يوم القيامة كان القرآن حجة له » . وأخرج مسلم « اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه » . وأخرج الحاكم من حديث عبد الله بن عمر « الصيام والقرآن يشفعان للعبد » . وأخرج الديلمي من حديث عليّ « حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله » . وأخرج الحاكم من حديث أبي هريرة « يحيى صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن يارب حلّه فيلبس تاج الكرامة ، ثم يقول يارب زده يارب ارض عنه فيرضى عنه ، ويقال له اقرأ وارق ويزاد له بكل آية حسنة » . وأخرج البيهقي من حديث عائشة « البيت الذي يقرأ فيه القرآن يتراءى لأهل السماء كما تتراءى النجوم لأهل الأرض » . وأخرج ابن ماجه وغيره من من حديث ابن مسعود « عليكم بالشفاءين : العسل ، والقرآن » . وأخرج أيضا من حديث عليّ « خير الدواء القرآن » . وأخرج البيهقي في الشعب عن واثلة بن الأسقع « أن رجلا شكى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وجع حلقه ، قال : عليك بقراءة القرآن » . وأخرج الطبراني من حديث ابن عمر « ثلاثة لا يهولهم الفزع الأكبر ولا ينالهم الحساب هم على كتيب من مسك حتى يفرغ من حساب الخلائق : رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله وأمّ به قوما وهم به راضون » الحديث . وأخرج الشيخان « مثل الذي يقرأ القرآن كمثّل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب ، والذي لا يقرأ القرآن كالتمرّة طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثّل الريحانة ريحها طيب وطعمها مرّ ، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثّل الخنظلة طعمها مرّ ولا ريح لها » . وأخرج مسلم « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا تنزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفّتهم

للملائكة وذكروهم الله فيمن عنده . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقال لصاحب القرآن اقرأ وارزق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها » . وقال عليه الصلاة والسلام « يقول الله تعالى : من شغله قراءة القرآن عن دعائي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين » . وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين » . رواه مسلم . وعن أنس مرفوعا « سبع يجزى للعبد أجرهن بعد موته وهو في قبره : من علم علما أو أجرى نهرا أو حفر بئرا أو غرس نخلا أو بنى مسجدا أو ترك ولدا يستغفر له من بعد موته أو ورث مصحفا » رواه ابن ماجه وغيره .

هذه نبذة مما ورد في فضائل القرآن جملة ، وقد ورد كثير من الأحاديث في فضل سور بعينها ، لم نذكرها خوف التطويل .

الفائدة الثانية

في الإكثار من تلاوة القرآن الكريم

ذكر الإله للقلوب قوت إذا اتقى فإنها تموت يستحب الإكثار من تلاوة القرآن ، قال الله تعالى مثنيا على تاليه « يتلون آيات الله آناء الليل » وقال « إن قرآن الفجر كان مشهودا » أى تشهد للملائكة ، وقال « إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ، ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور » وقال « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب » وقال « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشع منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهdy به من يشاء ، ومن يضل الله فماله من هاد » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه » رواه مسلم في صحيحه .

وأخرج البيهقي من حديث النعمان بن بشير « أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن » . وفي

الحديث: « يقول الله تعالى من شغله قراءة القرآن عن دعائي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين »
وفي البخاري « اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ، فإذا اختلفتم فقوموا عنه » .

وروى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
« أوصيك بتقوى الله تعالى فإنه رأس كل شئ * ، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام ،
وعليك بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن فإنه رَوْحُكَ ^(١) في السماء وذِكْرُكَ في الأرض » .

قال الليث في البستان : ينبغي للقارئ أن يختم في السنة مرتين إن لم يقدر على الزيادة ،
وروى عن أبي حنيفة أنه قال : من قرأ القرآن في كل سنة مرتين فقد أدى حقه ، لأن النبي
صلى الله عليه وسلم عرض على جبريل في السنة التي قبض فيها مرتين ، وقال غيره : يكره
تأخير ختمه أكثر من أربعين يوماً بلا عذر ، نص عليه أحمد ، لأن عبد الله بن عمر سأل
النبي صلى الله عليه وسلم « في كم نختم القرآن ؟ » قال في أربعين يوماً « رواه أبو داود . وأخرج
الشيخان عن عبد الله بن عمرو قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقرأ القرآن
في شهر ، قلت إني أجد قوة ؟ قال اقرأه في عشر ، قلت إني أجد قوة ؟ قال اقرأه في سبع
ولا ترد على ذلك » .

قال النووي في الأذكار : المختار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص : فمن كان يظهر
له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر يحصل له معه كمال فهم ما يقرأ ، وكذلك
من كان مشغولاً بنشر العلم أو فصل الحكومات أو غير ذلك من مهمات الدين والمصالح
الدائمة فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصده ولا فوات كماله ، وإن لم يكن
من هؤلاء المذكورين فليكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل أو الهزيمة ^(٢)
في القراءة اهـ .

وقد كره غير واحد من السلف قراءة القرآن في أقل من ثلاث لقوله صلى الله عليه وسلم
« من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يققه » .

(١) قال العزري على الجامع الصغير : روحك يفتح الراء : أي راحتك .

(٢) الهزيمة : سرعة الكلام والقراءة : اهـ من القاموس

ونهى عليه الصلاة والسلام عن المَذَرَمَةَ بالقرآن .

وعن أبي حمزة قال قلت لابن عباس إني سريع القراءة وإني أقرأ القرآن في ثلاث ، فقال لأن أقرأ البقرة في ليلة فأدبرها وأرتلها أحب إلي من أن أقرأ كنانقول (وفي تفسير ابن كثير) قال الأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود قال : كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن . وقال أبو عبد الرحمن السلمي : حدثنا الذين كانوا يقرئونا أنهم كانوا يستقرئون من النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل فتعلمنا القرآن والعمل جميعا اهـ .

الفائدة الثالثة

في تجويد القرآن العظيم

قال في عنوان البيان : فرض الله تعالى على الأمة ضبط القرآن وتعلمه وروايته على الوجه الذي نزل به بمعنى أنه يجب أن يكون في كل عصر طائفة من الأمة تبلغ حد التواتر يقومون بتحملة وروايته باللغة التي نزل بها ويحفظونه من التحريف والتغيير والتبديل وأن يكون فيهم من يعرف أوجه القراءات والطرق والكيفيات المتلقة من أفواه المشايخ طبقة عن طبقة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال وقد أجمعوا على أن النقص في كيفية القرآن وهيئته كالنقص في ذاته ومادته ؛ فترك المد والغنة والتفخيم والترقيق كترك حروفه وكلماته ، ومن هنا وجب تجويد القرآن كما قال ابن الجزرى :

وَالْأَخْذُ بِالتَّجْوِيدِ حَمٌّ لَازِمٌ مَنْ لَمْ يُجَوِّدِ الْقُرْآنَ آثَمُ
لَأَنَّهُ بِهِ الْإِلَهُ أَنْزَلَ وَهَكَذَا مِنْهُ إِلَيْنَا وَصَلَا

والتجويد: هو إعطاء الحروف حقها وترتيبها ورد كل حرف إلى مخرجه وأصله وتلطيف النطق به على كمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف .

قال ابن الجزرى : ولا أعلم لبلوغ النهاية فى التجويد مثل رياضة الألسنة والتكرار على اللفظ المتلقى من فم المحسن ، ثم قال وأهل الصدر الأول ما كانوا يقرءون القرآن ولا يعلمونه الأطفال إلا مرتلا مجوداً حتى لا يخرج الصبي من المكتب إلا على رياضة تامة ومعرفة بتلاوة القرآن وترتيبه لا ينقصه إلا معرفة الأحكام والاصطلاحات الفنية التى يسمونها الآن علم التجويد .

الفائدة الرابعة

فى آداب تلاوة القرآن

(يستحب) الترتيل فى القراءة ، قال الله تعالى « ورتل القرآن ترتيلاً » لأنه أقرب إلى الإجلال والتوقير وأشد تأثيراً فى القلب ، قال ابن مسعود لا تنثروه نثر الدقل^(١) ولا تهذوه هذ الشعر^(٢) ، قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكون هم أحدكم آخر السورة . قال الشيخ الأخضرى رحمه الله تعالى :

وإِنَّمَا يُتْلَى بِالْأَرْعَافِ وَالْحَزْنِ وَالْخُشُوعِ وَالْبُكَاءِ

فَوَاجِبٌ تَقْدِيسُ ذِكْرِ اللَّهِ عَنْ فِعْلِ كُلِّ عَابَثٍ وَلَا هِ

أخرج البيهقى من حديث ابن عمر مرفوعاً « من قرأ القرآن فأعرب به كان له بكل حرف عشرون حسنة ، ومن قرأه بغير إعراب كان له بكل حرف عشر حسنة » ، والمراد بإعرابه معرفة معاني ألفاظه .

(ويستحب) تحسين الصوت بالقراءة لقوله صلى الله عليه وسلم « زينوا القرآن بأصواتكم » رواه ابن ماجه ، وروى مسلم عن أبى موسى الأشعرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له « يا أبا موسى لو رأيتنى وأنا أستمع لقراءتك البارحة ، فقال أما والله لو أعلم أنك تستمع قراءتى لحببته لك تحبيراً » ، وقال الزهرى عن أبى سلمة « كان عمر إذا رأى

(١) الدقل بفتح الدال : أردأ القم .

(٢) هذ قراءته هذا : أسرع فيها وهو بالذال المعجمة .

أبا موسى قال ذكرنا ربنا يا أبا موسى فيقرأ عنده « وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيه » لقد أوتي مرماراً من مرماير آل داود « ، وقال عثمان النهدي « كان أبو موسى يصلي بنا فلو قلت إني لم أسمع صوت صنج قط ولا برّبط قط ^(١) ولا شيئاً أحسن من صوته » .

والحقيقة أن قراءة القرآن بالصوت الحسن تهيج الأرواح وتحرك القلوب وتوقظ النفس عن غفلتها وتطرد الملل والسآمة عن الفؤاد ، هذا إذا كان في حدود التوقير والتعظيم ، أما ما كان في قالب الطرب والغناء فهو المنهى عنه ، قال ابن كثير في كتاب فضائل القرآن : فأما الأصوات بالانغمات المحدثّة المركبة على الأوزان والأوضاع الملهية والقانون الموسيقي فالقرآن ينزه عن هذا ويحلّ ويعظم أن يسلك في أدائه هذا المذهب وقد جاءت السنة بالزجر عن ذلك اه ، قال بعضهم :

وَاحْذَرُ مِنَ التَّطْرِيبِ كَالْغِنَاءِ وَاحْذَرُ مِنَ التَّحْزِينِ لِلرِّيَاءِ
وَاحْذَرُ مِنَ التَّرْعِيدِ وَالتَّحْرِيفِ فَإِنَّ ذَا مِنْ سَائِرِ التَّحْرِيفِ

قال الرافعي في كتابه إعجاز القرآن : التطريب : هو أن يترنم بالقرآن ويتنغم به فيمد في غير مواضع المد ويزيد في المد إن أصاب موضعه ، والتحزين : هو أن يأتي بالقراءة على وجه حزين يكاد يبيكي مع خشوع وخضوع ^(٢) ، والترعيد : هو أن يردد القارئ صوته كأنه يردد من البرد أو الألم اه .

وقال أيضاً رحمه الله فيه : أول ما ظهرت القراءة بألحان الغناء كان في المائة الثانية ، وكان ممن يقرأ بهذه الألحان الهيثم وأبان وابن أعين ومحمد بن سعيد ، وهذا من أهل المائة الثالثة اه .

(١) الصنج والبربط : آلتان من آلات اللهور .

(٢) القراءة بالحزن والخشوع بقية صادقة لا تكرر ، وإنما تكرر للرياء كما هو صريح في البيتين .

(١٢ - تاريخ القرآن)

(ويسن) الاستماع لقراءة القرآن وترك اللغظ والحديث ، لقوله تعالى « فإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » .

(ويسن) أن يستاك عند القراءة ؛ فقد ورد « إن أفواهكم طرق للقرآن فطيبوها بالسواك » وأن يجلس مستقبل القبلة بسكينة ووقار ، وأن تكون القراءة في مكان لائق والمسجد أفضل لأنه مكان العبادة .

(ويسن) التعوذ قبل القراءة لقوله تعالى « فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » وصفة التعوذ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وكان جماعة من السلف يزيدون السميع العليم : أى يقولون أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، وبعد التعوذ يأتى بالبسملة أول كل سورة غير براءة .

(ويسن) التكبير من خاتمة والضحية إلى خاتمة قل أعوذ برب الناس ، وصفة التكبير أن يقف القارئ بعد كل سورة وقفة لطيفة ويقول الله أكبر ، وقيل لا إله إلا الله والله أكبر .

(ويسن) إذا فرغ من الختم أن يشرع فى أخرى عقب الختم لحديث الترمذى وغيره « أحب الأعمال إلى الله الخال المرتحل الذى يضرب من أول القرآن إلى آخره كلما حل ارتحل » . وأخرج الدارمى بسند حسن عن ابن عباس عن أبى بن كعب « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ قل أعوذ برب الناس افستح من الحمد ، ثم قرأ من البقرة إلى وأولئك هم المفلحون ، ثم دعا بدعاء الختمه ثم قام » .

(والدعاء) عند الختم مستجاب وعنده تنزل الرحمة ، قال الإمام النووى : يستحب الدعاء بعد قراءة القرآن استحبابا ويتأكد تأكيذا شديدا ، وقد نص الإمام أحمد على استحبابه أيضا . أخرج الطبراني عن العريضا بن سارية مرفوعا « من ختم القرآن فله دعوة

مستجابة » ، وأخرج أيضا عن أنس « أنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا » لذلك كانوا يجتمعون عند ختمه .

(والأفضل) ختم القرآن أول النهار أو أول الليل لما رواه الدارمي بسند حسن عن سعد بن أبي وقاص قال « إذا وافق ختم القرآن أول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح وإن وافق ختمه أول النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي » .

دعاء ختم القرآن

نأتى هنا بدعاء جامع اقتبسناه من جملة أدعية مأثورة وهو :

« اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي بِالْقُرْآنِ وَاجْعَلْهُ لِي إِمَامًا وَنُورًا وَهُدًى وَرَحْمَةً . اللَّهُمَّ ذَكِّرْنِي مِنْهُ مَا نَسِيتُ وَعَلِّمْنِي مِنْهُ مَا جَهِلْتُ ، وَارْزُقْنِي تِلَاوَتَهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ وَاجْعَلْهُ لِي حُجَّةً يَارَبَّ الْعَالَمِينَ . اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ . اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عُمْرِي آخِرَهُ وَخَيْرَ عَمَلِي خَوَاتِمَهُ وَخَيْرَ أَيَّامِي يَوْمَ أَلْقَاكَ فِيهِ . اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عَيْشَةً هَنِيئَةً وَمَيَّةً سَوِيَّةً وَمَرَدًّا غَيْرَ مُخْزٍ وَلَا فَاضِحٍ . اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَسْأَلَةِ وَخَيْرَ الدُّعَاءِ وَخَيْرَ النَّجَاحِ وَخَيْرَ الْعَمَلِ وَخَيْرَ الثَّوَابِ وَخَيْرَ الْحَيَاةِ وَخَيْرَ الْمَمَاتِ وَتُبَّنِي وَتَقَبَّلْ مَوَازِينِي وَحَقِّقْ إِيْمَانِي وَارْفَعْ دَرَجَتِي وَتَقَبَّلْ صَلَاتِي وَاعْفُ خَطِيئَاتِي وَأَسْأَلُكَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَا مِنْ الْجَنَّةِ آمِينَ . اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَرْفَعَ ذِكْرِي وَتَضَعْ وَزْرِي وَتُصْلِحَ أَمْرِي وَتُطَهِّرَ قَلْبِي وَتُحَصِّنَ فَرْجِي وَتُنَوِّرَ قَلْبِي وَتَغْفِرَ ذَنْبِي . اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ . اللَّهُمَّ أَقْسِمُ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهَا جَنَّتِكَ ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تَهْوُونَ بِهِ عَلَيْنَا مَصَاصِبِ الدُّنْيَا ، وَمَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوتِنَا مَا أَحْيَيْنَا وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ

هَمَّنَا وَلَا مَبْلَغَ عَلَيْنَا وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا . اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ
رَحْمَتِكَ وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بَرٍّ وَالْفَوْزَ
بِالْجَنَّةِ وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ . اللَّهُمَّ لَا تَدْعُ لَنَا ذَنْبًا إِلَّا غَفَرْتَهُ وَلَا هَمًّا إِلَّا فَرَّجْتَهُ
وَلَا دَيْنًا إِلَّا قَضَيْتَهُ وَلَا حَاجَةً مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا قَضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ . اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا ، آمِينَ .

الفائدة الخامسة

في آداب القرآن

لكتابة القرآن الكريم آداب كثيرة منها : أن يكون الكاتب على وضوء ، بل هذا
واجب على البالغ العاقل ، ومنها : أن يكون على نظافة في الثوب والبدن والمكان ، ومنها :
أن يحسن خطه ؛ فقد ورد « من كتب بسم الله الرحمن الرحيم بمجودة غفر له » ، وورد أنه
صلى الله عليه وسلم قال لكتابيه « ألقى الدَّوَاةَ وَحَرَّفَ الْقَلَمَ وَانْصَبَ الْبَاءَ وَفَرَّقَ السِّينَ
وَلَا تَعْوِزُ الْمِمْ وَحَسَنَ اللَّهُ وَمُدَّ الرَّحْمَنَ وَجَوَّدَ الرَّحِيمَ » وقد شرحنا هذين الحديثين وغيرها
في أول كتابنا تاريخ الخط العربي وآدابه المطبوع بمصر شرحا دقيقا فنيا لم يطرقه قبلنا أحد
فانظره فيه فإنه مبحث نفيس ، ومنها : أن يكتبه بحسب الرسم العثماني ؛ فاتباع رسمه واجب
كما سبق بيان ذلك في هذا الكتاب ، ومنها : أن يكتبه بحروف بحيث يقرأ بالبصر الصحيح
من غير مشقة في تلاوته .

وقد نظم آداب كتابة القرآن الشيخ محمد العاقب الشنقيطي رحمه الله تعالى في قوله :

مِمَّا بِهِ يَهْتَمُّ كُلُّ مُسْلِمٍ ضَبْطُ كِتَابَةِ الْكِتَابِ الْحَكَمِ
فَاسْتَقَرَّ مَا لَهَا مِنَ الْآدَابِ وَأَعْمَلُ بِهِ تَسْلَمُ مِنَ الْعِتَابِ

قَبْلَ الشُّرُوعِ أَلْقِ الدَّوَاةَ بِصُوفَةٍ وَحَرَفِ الْأَدَاةِ
وَأِنْ أَرَدْتَ كُتِبَهُ فِي رَقٍّ أَوْ غَيْرِهِ فَكَتُبْهُ دُونَ مَشَقِّ (١)
وَحَسِّنِ الْخَطَّ وَلَا تُحَرِّفَا نَقَطَ الْحُرُوفِ وَالْحُرُوفَ جَوَافَا
كُنْ لَا تَجِي أَسْطُرُهُ مُخَلَّطَةً وَلَا تَرَى حُرُوفَهُ مُقَرَّمَةً
وَكُتِبَهُ فِي الصُّحُفِ الصَّغَارِ يُكْرَهُ كَالْكَتَبِ عَلَى الْجِدَارِ
وَكُتِبَهُ عَلَى مَحَلٍّ يُوطَأُ أَوْ مَحْوَةٍ فِيهِ فَذَلِكَ خَطَأٌ
وَمَنْ يُعْظَمُ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ تَقَى إِلَهِ

(تنبيه) كثير من الخطاطين إذا أرادوا أن يكتبوا شيئاً من القرآن على ورق أو لوح أو نحوهما يركبون الكلمات بعضها فوق بعض مبايعين حروفها بحيث تصعب قراءتها على من لم يحفظ القرآن ، وهذا كما لا يخفى لا يجوز لحصول اللبس والاشتباه في القراءة ، والسبب في كتاباتهم بهذه الصورة أنهم ينظرون إلى جمال التركيب الخطي فقط غير ناظرين إلى تفرقة أجزاء الكلمات القرآنية ، وهذا خطأ فاحش نلفت نظرهم إليه ، على أن قليلاً من العناية والتأمل يهديهم إلى جمال التركيب مع عدم تفرقة الحروف ، والله الموفق للصواب .

(١) قوله فاكُتِبْهُ دُونَ مَشَقِّ : أى لا تسرع في الكتابة اهـ .

الحاق

فاتنا في الطبعة الأولى لهذا الكتاب أن نضع فيه نص الأسئلة التي كنا أرسلناها لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ على محمد الضباع شيخ المقارئ المصرية حفظه الله تعالى حين تأليفنا هذا الكتاب ونص إجابته عليها في العاشر من شعبان سنة ألف وثلاثمائة وثلاث وستين هجرية ، فلما يسر الله عز شأنه إعادة طبعه للمرة الثانية رأينا من الواجب ذكر أسئلتنا وإجابة فضيلة الأستاذ المذكور عليها زيادة في بيان الفوائد العلمية .

وترى أنه يرمز للسؤال بحرف (س) مع بيان عدد الأسئلة ، ويرمز للجواب بحرف (ج) وهذا هو نص الأسئلة والأجوبة :

بسم الله الرحمن الرحيم

س ١ : هل كانت المصاحف المتعددة التي أرسلها عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه إلى المدن والأمصار مكتوبة بقراءة واحدة كقراءة حفص أم أن كل مصحف كتب بقراءة من القراءات ، وهل رسم جميع هذه المصاحف واحد أم لا ؟.

ج ١ : تحتاج الإجابة عن هذا السؤال إلى التعريف بجمع القرآن وذكر شيء من تاريخه ، فجمع القرآن كلمة تطلق تارة ويراد منها حفظه في الصدور ، وتطلق تارة أخرى ويراد منها كتابته ، وجمعه بمعنى كتابته حدث في الصدر الأول ثلاث مرات : الأولى في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، والثانية في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، والثالثة في عهد عثمان رضي الله عنه ، وفي هذه المرة الأخيرة وحدها نسخت المصاحف وأرسلت إلى الأمصار .

جمع القرآن بمعنى حفظه في الصدور

نزل القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم فكانت همته منصرفة إلى حفظه واستظهاره حتى بلغ من حرصه على ذلك أنه كان يحرك به لسانه في أشد حالات حرجه

وشدته ، وهو يعانى ما يعانىه من الوحي وسطوته وجبريل فى هبوطه عليه وقوته ، وكان يفعل ذلك صلى الله عليه وسلم استعجالا لحفظه وجمعه فى قلبه مخافة أن تفوته كلمة أو يفلت منه حرف ، وما زال صلى الله عليه وسلم على ذلك حتى طمأنه الله سبحانه وتعالى بأن وعده أن يجمعه له فى صدره ، وأن يسهل له قراءة لفظه وفهم معناه ، فقال تعالى له : (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) وقال له أيضا : (وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) .

وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن على الناس على مكث كما أمره بذلك سبحانه وتعالى ، وكان يحى به الليل ويزين به الصلاة ، وكان جبريل يعارضه إياه فى كل عام مرة وعارضه إياه فى العام الأخير مرتين ، قالت عائشة وفاطمة رضى الله عنهما : سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن جبريل كان يعارضنى القرآن فى كل سنة مرة وإنه عارضنى العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي » .

وأما الصحابة رضوان الله عليهم فقد كان من عنايتهم بكتاب الله تعالى أنهم كانوا يتنافسون فى استظهاره وحفظه ، ويتسابقون إلى مدارسته وتفهيمه ، وكانوا يهجرون لذة النوم وراحة المجهود إثارا للذة القيام به فى الليل ، وكان عليه الصلاة والسلام يبلغهم ما أنزل إليه من ربه ويؤذ كي فيهم روح العناية به ، ويبعث إلى من كان بعيد الدار منهم من يعلمه ويقرئه ، وإذا هاجر إليه أحد دفعه صلى الله عليه وسلم إلى من يعلمه ، وكان يُسمع لمسجده صلى الله عليه وسلم نجيحة بتلاوة القرآن حتى أمرهم أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا .

ومن هذا كان حفاظ القرآن فى حياته صلى الله عليه وسلم جما غفيرا ، وقد سمي بعض المؤلفين جماعة منهم فذكر الخلفاء الأربعة وطلحة ، وسعدا ، وابن مسعود ، وحذيفة ، وسالما مولى أبى حذيفة ، وأبا هريرة ، وابن عمر ، وابن عباس ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وأباه ، ومعاوية ، وابن الزبير ، وعبد الله بن السائب ، وعائشة ، وحفصة ، وأم سامة ،

وهؤلاء كلهم من المهاجرين . وذكر من الأنصار : أبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد ابن ثابت ، وأبا الدرداء ، ومجمع بن حارثة ، وأبا زيد الذي سئل عنه أنس فقال : أحد عموقي اه .

جمع القرآن بمعنى كتابته في عهده صلى الله عليه وسلم

كان من دأب الصحابة رضي الله عنهم فوق عنايتهم بحفظه واستظهاره يتبادرون إلى تصحيحه وتتبع وجوه قراءاته وتقييده بالكتابة فيما يتيسر لهم من عُسْبٍ ونُخَاف ورقاع ونحوها ، واتخذ صلى الله عليه وسلم كتاباً للوحى كما نزل عليه شئ من القرآن أمرهم بكتابته ، وكان هؤلاء الكتاب من خيرة أصحابه : منهم أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، ومعاوية ، وأبان بن سعيد ، وخالد بن الوليد ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وثابت بن قيس ، وأرقم بن أبي الأرقم ، وحفظة بن الربيع ، وأبو رافع القبطي ، وكانوا يكتبونه للرسول صلى الله عليه وسلم ولأنفسهم بحضرته عليه الصلاة والسلام ، وكان صلى الله عليه وسلم يدل على موضع المكتوب من سورته ، فكان القرآن كله مجموعاً في زمن النبي صلى الله عليه وسلم بالكتابة فوق الحفظ لكن لم يكن مجموعاً في مصحف واحد ولا مرتب السور ، وكان ذلك لما كان يترب من ورود زيادة أو ناسخ لبعض المتلوة .

جمع القرآن على عهد أبي بكر رضي الله عنه

لما توفي صلى الله عليه وسلم وولى الخلافة من بعده أبو بكر رضي الله عنه حدثت أحداث : منها موقعة اليمامة سنة اثنتى عشرة للهجرة ، وفيها دارت رحى الحرب بين المسلمين وأهل الردة من أتباع مسيلة الكذاب واستشهد فيها كثير من قراء الصحابة (قيل سبعون وقيل أربعائة ، وقيل خمسمائة ، وقيل سبعائة) هال ذلك المسلمين وعز الأمر على عمر رضي الله عنه فدخل على أبي بكر وأخبره الخبر ، واقترح عليه أن يجمع القرآن خشية الضياع بموت الحفاظ وقتل القراء فتردد أبو بكر أول الأمر ولكنه بعد مفاوضة بينه وبين عمر اقتنع

بما رآه عمر وشرح الله له صدره ، واهتم بتحقيقه وندب لتنفيذه زيد بن ثابت لما اجتمع فيه من مزايا لم تجتمع لغيره ، إذ كان من حفاظ القرآن وداوم على كتابته بين يديه صلى الله عليه وسلم وشهد العرضة الأخيرة على جبريل عليه السلام ، وكان مع ذلك عدلا ضابطا ثقة ورعا مستقيما في جميع أحواله ، فتردد أول الأمر ولكن أبابكر مازال به حتى اطمأن واقنع بصواب ما ندبه إليه .

وشرع رضى الله عنه يجمع القرآن ، وقد اتبع لنفسه منهجا قويا فكان يقتبع القرآن جمعا من صدور الرجال ومن الرقاع والألواح وغيرها مما كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان لا يقبل شيئا من المكتوب حتى يشهد شاهدان عدلان أنه كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسار رضى الله عنه على هذا الطريق السليم تحت إشراف أبي بكر وعمر حتى تم له جمع القرآن في صحف واجتمعت الأمة عليها دون نكير ، وأخذها أبو بكر فاستمرت عنده حتى توفي ثم عمر ، ولما توفي أخذتها حفصة رضى الله عنها .

ومقتضى كلام الداني والشاطبي وكثير من أئمة الرسم وهو الذي عليه جمهور العلماء من السلف واختلف أن هذه الصحف كانت مشتملة على الأحرف السبعة المعبر عنها في حديث : « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه » .

جمع القرآن في عهد عثمان رضى الله تعالى عنه

اتسعت الفتوحات الإسلامية في عهد عثمان رضى الله عنه وتفرق المسلمون في الأمصار والأقطار ، وكان أهل كل إقليم من أقاليم الإسلام يأخذون بقراءة من اشتهر بينهم من الصحابة ، ولطول عهد الناس بالرسول والوحي والتنزيل نبتت ناشئة جديدة حدث بينها اختلاف في حروف الأداء ووجوه القراءة بطريقة نجم عنها نزاع بين الناس ، وأخذ كل فريق من جماعات المسلمين يزعم أن قراءته خير من قراءة غيره ، واستفحل الداء بينهم حتى كادوا يتقاتلون .

ولما وصل خبر ذلك إلى عثمان رضى الله عنه جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت عدتهم يومئذ اثني عشر ألفا وأخبرهم به فأعظموه جميعا وتشاوروا في أمره واستقر رأيهم بالاتفاق على أن تُنسخ مصاحف وترسل إلى الأمصار ، وأن يؤمر الناس بإحراق كل ما عداها حتى لا تكون فرقة ولا يكون اختلاف ، فشرع عثمان في تنفيذ هذا الذي استقر الرأي عليه فبعث إلى حفصة رضى الله تعالى عنها واستحضر من عندها الصحف التي جمعت في عهد أبي بكر وأحضر زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وأمرهم أن ينسخوها في المصاحف وشرط عليهم أن يكون النسخ على لسان قریش (وقد فسر ذلك العلماء بمصطلحهم في كتابتهم كما نص عليه غير واحد من ألقوا في الرسم) وجعل الرياسة لزيد لمزايته المتقدم ذكرها ، فقاموا رضى الله عنهم بنسخ المصاحف بالتحريير التام ولم يغيروا ولم يبدلوا ولم يقدموا ولم يؤخروا ، حتى أتموا ستة مصاحف على المعتمد في عددها .

وقد كتبت هذه المصاحف الستة على الترتيب المكتوب في اللوح المحفوظ بتوقيف جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم على ذلك وإعلامه عند نزول كل آية بموضعها .

وكتبت مجردة من النقاط والشكل ومتفاوتة في الحذف والإثبات والبدل وغير ذلك ، لتحتمل ما صح نقله وتواتر من القراءات المأذون فيها ، إذ الاعتماد في نقل القرآن على الحفظ لا على مجرد الخط .

ولما تم نسخ هذه المصاحف واجتمعت كلمة الصحابة على قبولها أرسل عثمان إلى كل إقليم مصحفا منها فأرسل مصحفا إلى مكة ، ومصحفا إلى الشام ، ومصحفا إلى الكوفة ، ومصحفا إلى البصرة وأبقى بالمدينة مصحفا ، واحتبس لنفسه مصحفا وهو الذي يقال له المصحف الإمام وقيل يقال لكل منها إمام ، وبعث مع كل مصحف عالما يقرئ أهل معمره بما يحتمله رسمه من القراءات مما صح وتواتر ، فأمر زيد بن ثابت أن يقرئ أهل المدينة

بالمدينة ، وبعث عبد الله بن السائب مع المكي ، والمغيرة بن أبي شهاب مع الشامي ، وأبا عبد الرحمن السلمي مع الكوفي ، وعامر بن عبد قيس مع البصري وكان في تلك البلاد في ذلك الوقت الجمل الغفير من حفاظ القرآن فقرأ أهل كل مصر بما في مصحفه وتلقوا ما فيه عن الصحابة الذين تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وهل هذه المصاحف مشتملة على الأحرف السبعة أو على لغة قريش فقط ؟ الذي عليه الجمهور من السلف والخلف أنها مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها صلى الله عليه وسلم على جبريل عليه السلام ولم تترك منها حرفا ، قال الإمام ابن الجزري في النشر ، وهذا القول هو الذي يظهر صوابه من الأحاديث الصحيحة والآثار المشهورة تدل عليه اه .

وقد استجاب الصحابة رضوان الله عليهم لأمر عثمان بإحراق المصاحف التي كانت لديهم فحرقوها واجتمعوا جميعا على هذه المصاحف العثمانية .

ومما تقدم من البيان يعلم أن الجمع في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان عبارة عن كتابة الآيات وترتيبها ووضعها في مكانها الخاص من سورها ، ولكن مع تفرقها في عُسب ونخاف ورقاع ونحوها ، وفي عهد أبي بكر كان عبارة عن نقل القرآن وكتابته في صحف مرتب الآيات في كل سورة على حدتها خشية ذهاب شيء منه بموت حفاظه ، وفي عهد عثمان كان عبارة عن نقل ما في تلك الصحف في مصحف واحد واستنساخ مصاحف منه مرتبة السور والآيات جميعا لإرسالها إلى الأقطار الإسلامية لإطفاء الفتنة التي اشتعلت بين المسلمين حين اختلفوا في قراءة القرآن والمحافظة عليه من التغيير والتبديل .

وقد تبين لك أنهم لم يرسموا واحدا منها على رواية معينة كرواية حفص أو غيرها من الروايات التي اشتهرت بعد ذلك ، وفي هذه الإشارة كفاية في الإجابة عن السؤال المذكور .

س ٢ : ما معنى قول الدمياطى صاحب كتاب إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر فى سورة إبراهيم فى المرسوم منه صحيفة ٣٢٩ س ٣ : (بأيام الله بياء بين المشددة والميم فى بعض المصاحف ، وفى بعض المصاحف بألف مكانها) اه فقلوه فى بعض المصاحف بالألف يقتضى أن هناك اختلافا فى رسم المصاحف العثمانية ، فهل هو كذلك أم لا ؟ .

ج ٢ : قد علمت مما تقدم أن الصحابة رضى الله عنهم كتبوا المصاحف التى بعث بها إلى الأمصار متفاوتة فى الحذف والإثبات والبدل لتحتمل ما صح نقله ، وتواتر من القراءات المأذون فيها ، وقد رسموا فى بعض المصاحف « وذكروهم بأيام الله » بياء بين المشددة والميم هكذا : (بأيسم) وفى بعضها بألف مكانها هكذا (بأيام) فالياء فى الرسم الأول على جواز الإمالة كمذهب قتيبة فهو نوع من البدل ، وأما الألف فعلى القياس وهذا مما لا يعدّ اختلافا .

س ٣ : لم نفهم تعليلا معقولا من وجوب اتباع رسم المصحف العثماني فى كتابة القرآن الكريم ، فهل كان رسم المصاحف توقيفيا بمعنى أنه صلى الله عليه وسلم أمر كاتبه أن يكتب كلمة دعاء فى آية (وَمَا دُعَاُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) هكذا (دَعُوْا) بأن يضع الهمزة على واو فألف بعدها ، وفى بقية القرآن هكذا (دعاء) وبأن يكتب نحو : وجاءوا وفاءو بغير ألف بعد واو الجماعة وفى بقية واو الجماعة تكتب الألف ، وهكذا فى جميع الكلمات .

فإن كان الأمر كذلك فما الدليل عليه ؟ وهذا يقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم يعرف الحروف مع أنه أمى لا يقرأ ولا يكتب ، وأيضا إن كان الأمر كذلك فلم يقال الرسم العثمانى ولا يقال : الرسم التوقيفى ؟ ، ثم إن كان توقيفيا فما معنى قول عثمان بن عفان لكتاب المصاحف : إذا اختلفتم فى شىء فاكتبوه بلسان قريش الخ ، وقد اختلفوا فى التأبوت أ يكتبونه بالتاء أم بالهاء فكتبوه بلغة قريش ؟ .

ج ٣ : لما كان الأصل فى المكتوب أن يكون موافقا تمام الموافقة للمنطوق به من غير زيادة ولا نقص ولا تبديل ولا تغيير ، وجاءت المصاحف العثمانية وقد خولف فيها هذا

الأصل في حروف كثيرة لأغراض شريفة لا ينبغي العدول عنها إلى غيرها ، غنى العلماء
بمحصنة هذه الحروف والكلام عليها وترتيبها في قواعد وضوابط سموها علم الرسم العثماني نسبة
إلى المصاحف التي كتبت بأمر عثمان رضي الله عنه ، ولو كانوا سموها علم الرسم التوقيفي
ما كان في ذلك بأس ولا حرج .

والعلماء في هذا الرسم آراء : فالجمهور على أنه توقيفي لا يجوز مخالفته ، واستدلوا لذلك
بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان له كتاب يكتبون الوحي ، وقد كتبوه بهذا الرسم بحضرته
وأقرهم على كتابتهم ، ومضى عهده صلى الله عليه وسلم والقرآن على هذه الكتابة لم يحدث فيه
تغيير ولا تبديل ، بل ورد أنه صلى الله عليه وسلم كان يرشد كتابة الوحي إلى رسم حروفه
وكلماته ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لمعاوية رضي الله عنه : « أَلْقِ الدَّوَاةَ وَحَرِّفِ
الْقَلَمَ وَانصِبِ الْبَاءَ وَفَرِّقِ السَّيْنَ وَلَا تُعَوِّرِ الْمِيمَ وَحَسِّنِ اللَّهَ وَمَدِّ الرَّحْمَنَ وَجَوِّدِ الرَّحِيمَ ، وَضَعِ
قَلَمَكَ عَلَى أُذُنِكَ الْيَسْرَى فَإِنَّهُ أَذْكَرُ لَكَ » وورد عن زيد بن ثابت أنه قال : كنت أكتب
الوحي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يملئ علي فإذا فرغت قال : اقرأه فأقرؤه ،
فإن كان فيه سقط أقاله .

ثم جاء أبو بكر فكتب القرآن بهذا الرسم في صحف ، ثم حذا حذوه عثمان بن عفان
في خلافته فاستنسخ تلك الصحف في مصاحف على تلك الكتابة وأقر أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم عمل أبي بكر وعثمان وانتهى الأمر بعد ذلك إلى التابعين وتابعي التابعين ،
فلم يخالف أحد منهم هذا الرسم ولم ينقل أن أحدا منهم رأى أن يستبدل به رسماً آخر من
الرسوم التي حدثت في عهد ازدهار التدوين والتأليف ، بل بقي هذا الرسم العثماني محترماً
متبعاً في كتابة المصاحف .

ومن المقرر أن اتباع الرسول واجب فيما أمر به أو أقرَّ عليه لقوله تعالى : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ
تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) والاهتداء بهدى الصحابة
واجب خصوصاً الخلفاء الراشدين لحديث العرابض بن سارية إذ قال فيه صلى الله عليه وسلم :

« فإنه من يعيش منكم فسيروا اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ » .

وقد حكى إجماع الأمة على هذا الرسم غير واحد .

ففي المتن قال أشهب : سئل مالك فقيل له رأيت من استكتب مصحفا ، أترى أن يكتب على ما أحدثه الناس من الهجاء اليوم ؟ قال : لا أرى ذلك ولكن يكتب على الكتبة الأولى (كتبة الوحي) قال الداني : ولا يخالف له (يعني مالكا) في ذلك من علماء الأمة .

وفي شرح العقيلة لعلي القاري بعد حكايته الأثر السابق مانصه : والذي ذهب إليه مالك هو الحق إذ فيه بقاء الحالة الأولى إلى أن تعلمها الطبقة الأخرى بعد الأخرى ، ولا شك أن هذا هو الأخرى إذ في خلاف ذلك تجهيل الناس بأولية ما في الطبقة الأولى .

وقال الإمام أحمد : تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ألف أو ياء أو غير ذلك اه .

وقال البيهقي في شعب الإيمان : من يكتب مصحفا فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف ولا يخالفهم فيه ولا يغير مما كتبوه شيئا فإنهم كانوا أكثر علما وأصدق قلبا ولسانا وأعظم أمانة منا ، فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم اه .

ونقل الجعبري وغيره إجماع الأئمة الأربعة على وجوب اتباع هذا المرسوم .

وقال الأستاذ عبد الرحمن بن القاضي المغربي بعد ذكره النقول المذكورة : ولا يجوز غير ذلك ، ولا يلتفت إلى اعتلال من خالف بقوله : إن العامة لاتعرف مرسوم المصحف ويدخل عليهم اخلل في قراءتهم في المصحف إذا كتب على المرسوم (العثماني) إلى آخر ما عللوا به ، فهذا ليس بشيء لأن من لايعرف المرسوم من الأمة يجب عليه أن لايقرا في المصحف حتى يتعلم القراءة على وجهها ويتعلم مرسوم المصحف ، فإن فعل غير ذلك فقد خالف ما اجتمعت عليه الأمة وحكمه معلوم في الشرع الشريف ، ومن علل بشيء فهو مردود

عليه لمخالفته للإجماع المتقدم ، وقد تعدت هذه المفسدة إلى خلق كثير من الناس في هذا الزمان فليتحفظ من ذلك في حق نفسه وحق غيره اه .

وقال صاحب فتح الرحمن بعد ذكر النقول المذكورة أيضا : فما كتبوه في المصاحف بغير ألف فواجب أن يكتب بغير ألف ، وما كتبوه بألف كذلك ، وما كتبوه متصلا فواجب أن يكتب متصلا ، وما كتبوه منفصلا فواجب أن يكتب منفصلا ، وما كتبوه بالتاء فواجب أن يكتب بالتاء ، وما كتبوه بالهاء فواجب أن يكتب بالهاء ، ومن خالف في شيء من ذلك فقد أثم اه .

وفي المدخل لابن الحاج : ويتعين عليه (كاتب المصحف) أن يترك ما أحدثه بعض الناس في هذا الزمان وهو أن ينسخ المصحف على غير مرسوم المصحف الذي اجتمعت عليه الأمة على ما وجد به بخط عثمان بن عفان رضي الله عنه (أى في عهده) اه .

وفي شرح الطحاوى : ينبغي لمن أراد كتابة القرآن أن ينظم الكلمات كما هي في مصحف عثمان رضي الله عنه لإجماع الأمة على ذلك اه .

وفي كتاب الشفاء للقاضى عياض : وقد أجمع المسلمون أن القرآن المتلّو في جميع أقطار الأرض المكتوب في المصحف بأيدي المسلمين مما جمعه الدفتان من أول — الحمد لله رب العالمين — إلى آخر — قل أعوذ برب الناس — أنه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأن جميع ما فيه حق ، وأن من نقص حرفا قاصداً لذلك أو بدله بحرف آخر مكانه أو زاد حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع عليه الإجماع وأجمع على أنه ليس من القرآن عامدا لكل هذا أنه كافر اه .

وأيده شراحه ومنهم الإمامان الملا على القارى والشهاب الخفاجى (كلاهما من كبار الحنفية) وقالوا بعد قوله أو زاد حرفا أى كتابة أو قراءة .

وفي تفسير نظام الدين النيسابورى ، وقال جماعة من الأئمة : إن الواجب على القراء والعلماء ، وأهل الكتابة أن يتبعوا هذا الرسم في خط المصحف فإنه رسم زيد بن ثابت ، وكان أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتب وحيه اه .

وورد عن الإمام مالك رضى الله عنه أنه قال : إنما أُلِّفَ القرآن على ما كانوا يسمعون من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم اه .

وجاء عن الإمام على كرم الله وجهه أنه قال : لو وليت لفعلت في المصاحف بما فعل عثمان اه .

وذكر صاحب الإبريز عن شيخه عبد العزيز الدبائع أنه قال : رسم القرآن سر من أسرار المشاهدة وكال الرفعة ، وهو صادر من النبي صلى الله عليه وسلم ، وليس للصحابة ولا غيرهم في رسم القرآن ولا شرة واحدة ، وإنما هو بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذى أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الألف وقصانها ونحو ذلك لأسرار لا تهتدى إليها العقول إلا بفتح ربانى ، فكما أن نظم القرآن معجز فرسمه أيضا معجز اه باختصار .

ومما يؤيد أنه توقيفى أيضا قوله تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) فقد أخبر سبحانه وتعالى أنه تكفل بحفظ كتابه وتواترت قراءة رحمت ونعمت وسنت ، وأخواتها المشهورة بالتاء عند الوقف ، وقراءة (وسوف يؤت) فى سورة النساء بسكون التاء وحذف الياء غير جازم كذلك ، وقراءة (ويدع الإنسان) فى سورة الإسراء ، ويمح بسورة الشورى وسندع بسورة العلق بحذف الواو فى الأفعال الثلاثة كذلك أيضا ، خلافا للقياس العربى المشهور فى ذلك كله ، فلم يكن الرسم العثمانى توقيفيا علمه جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم لكان خبره تعالى كاذبا وهو محال ، أى لو كان الرسم العثمانى غير توقيفى بأن كتبه الصحابة على ما تيسر لهم كما زعمه البعض لزم أن يكون سبحانه وتعالى أنزل هذه الكلمات : رحمت وأخواتها بالهاء وسوف يؤت بالياء ويدع وأختيها بالواو ، ثم كتبها الصحابة (لجهلهم بالخط يومئذ) بالتاء وبحذف الياء والواو ، ثم تبعتهم الأمة (خطأ) ثلاثة عشر قرنا وثنتين وستين سنة ، فتكون الأمة من عهده صلى الله عليه وسلم إلى اليوم مجمعة على إبدال حروف بأخرى ليست منزلة من عنده وعلى حذف حروف عديدة منه ،

(١٣ - تاريخ القرآن)

وإذا كان ذلك كذلك كان خبره تعالى كاذبا وكذب خبره تعالى باطل ، فبطل ما أدى إليه وهو كون رسم هذه الكلمات ونظائرها بلا توقيف نبوى ، وإذا بطل هذا ثبت تقيضه وهو كون الرسم العثمانى توقيفيا وهو المطلوب .

وما يشعر به بعض النقول من أنه صلى الله عليه وسلم كان يعرف الحروف جنح إليه جماعة من العلماء ، منهم أبو محمد الشيباني ، وأبو ذر الهروى ، وأبو الوليد الباجي ، وأبو الفتح النيسابورى وغيرهم ؛ واستدلوا لذلك بأدلة (منها) ما روى عن ابن أبى شيبة وغيره : ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرأ ، ونقل هذا للشعبى فصدقه وقال سمعت أقواما يقولونه وليس فى الآية ما ينافيه (ومنها) ما رواه ابن ماجه عن أنس من قوله صلى الله عليه وسلم : « رأيت ليلة أُسرى بنى مكتوبا على باب الجنة : الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر » (ومنها) ما جاء فى حديث قصة الخديبة من رواية ابن إسحاق : « فأخذر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب فكتب : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله » وفى رواية : « وليس يُحْسِنُ يَكْتُبُ فكتب » وفى أخرى : « وليس يحسن أن يكتب فكتب » وفى أخرى « بزيادة بيده بعد فكتب » . ذكر هذا الحديث البخارى فى صحيحه والطبرى والخازن فى تفسيريهما والأشعر البغدادى فى شرحه على بهجة الأمثال وغيرهم . (ومنها) ما روى عن جعفر الصادق قال : كان عليه الصلاة والسلام يقرأ من الكتاب وإن كان لا يكتب ذكره أبو البقاء فى الكليات وأبو المكارم فى المدحة الكبرى . (ومنها) ما أسنده أبو بكر النقاش من حديث أبي كبشة السلولى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ صحيفة لعينة بن حصن وأخبر بمعناها ، نقله أبو حيان فى بحره وغيره وقالوا : وصورة كتبه إما أن يكون القلم كتب فى يده أى أجراها الله به من غير قصد إلى الكتابة ، وإما أن يكون علمه الله الكتابة حينئذ كما علمه أن يقرأ ولم يكن يقرأ ويكون ذلك زيادة فى معجزته ولا يقدح فى وصفه بالأمية . (وقال القاضى عياض) وإن لم تصح الرواية أنه كتب فلا يبعد أن يرزق علم هذا ويُمنع الكتابة والقراءة ، وذكر فى الشفاء : أنه وردت آثار تدل على معرفته عليه الصلاة والسلام حروف

الخط وحسن تصويرها اهـ (وقال ابن الجوزى فى بعض مصنفاته) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكتب ولو أراد لقدّر ، وفى بعض روايات البخارى «أن الرسول صلوات الله عليه قبل موته بأربعة أيام وكان ذلك يوم الخميس قال لهم: اتنوني بكنف أكتب لكم كتابا لاتضلوا بعدى» اهـ . وقد أجابوا عن آية (وما كنت تتلوا من قبله من كتاب) الخ بأن قالوا : المعنى ولا تخطه يمينك: أى من قبل تعليمك كما قال تعالى «من قبله» فكما جاز أن يتلو جاز أن يخط ، ولا يقدح ذلك فى كونه أميا وأن المعجزة أنها صفة أولاً ثم جاء بعلمه ليعلمها الأميون ويكون ذلك زيادة فى معجزته ، قالوا مع أن قوله فى زيادة البخارى : ولا يحسن أن يكتب فيكتب كالتص فى أنه كتب بنفسه ومدعى غير ذلك مجاز ، وحمل للكلام على ما لا يفهم منه بغير ضرورة تجوز اهـ .

وذهب الجمهور إلى أنه صلى الله عليه وسلم كان أميا بالمعنى اللغوى وهو الذى لا يكتب ولا يقرأ المكتوب ، واحتجوا بآية وما كنت تتلوا الخ . وبحديث «نحن أمة أمية لانكتب ولا نحسب» وبأن كتبه صلى الله عليه وسلم يبطل معجزته ، وأنه بكونه فى أمة أمية قامت الحجة وأحكم الجاحد وانحسرت الشبهة ، وأن المعجزات يستحيل أن يدفع بعضها بعضا ، وقالوا : إن المراد من لفظ كتب فى الحديث أنه أمر بالكتب ، وقال الأبي والسنوسى : وكان الشيخ (يعنيان القاضى عياضا) يقول : الحق أنه لم يكتب ، والقول بأنه كتب لا يوجب كفراً ولا فسقاً ، وإنما هو خطأ (وفى المواهب) إن الأصح أنه لم يكتب بيده إذ لو كان كما قيل لنقل وتواتر لأن هذا مما تتوافر الدواعى على نقله ... وتحيل بعضهم للجمع بين أدلة الفريقين فقال : الظاهر أن التعارض بين أدلتهما ظاهرى يمكن دفعه بحمل أدلة أميته صلى الله عليه وسلم على أولى حياته ، وحمل أدلة كتابته على آخرها ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وما ذكره بعض المؤرخين من أن رسم المصحف إنما كان باصطلاح من الصحابة تجوز مخالفته ، وكذا ما نقل عن شيخ الإسلام العز ابن عبد السلام من قوله : لاتجوز كتابة المصحف

الآن على المرسوم الأول باصطلاح الأئمة لئلا يقع في تغيير من الجهال ، وكذا ما ذكره بعض المتأخرين من أن ما جاء من وجوب اتباع رسم المصحف إنما كان في الصدر الأول والعلم غرض حتى ، وأما الآن فقد يخشى الالتباس ، وكذا ما ذكره بعضهم من قصر رسمه بالاصطلاح العثماني على مصاحف الخواص وإباحة رسمه للعوام بالاصطلاحات الشائعة بينهم فكل ذلك مما لا يلتفت إليه لأنه كما لا يخفى يؤدي إلى درس الرسم أو التدرج إلى تركه ، ولا ينبغي أن يترك شيء قد أحكمه السلف مراعاة لجهل الجاهلين ، لاسيما أنه أحد الأركان التي عليها مدار القراءة فضلا عما يؤدي إليه من ضياع القراءات المتواترة بضياع أحد أركان القرآنية ، ومن تطرق التحريف إلى الكتاب الشريف بتغيير رسمه ، ومن جواز هدم كثير من علوم الأداء قياسا على هدمه بدعوى سهولة التناول للعموم .

على أن في بقاء المصحف على رسمه العثماني فوائد كثيرة :

منها الدلالة على الأصل في الشكل والحروف ككتابة الحركات حروفا باعتبار أصلها في نحو : وإيتائى ذى القربى وسأورىكم ولاأوضعوا ، وكتابة الصلوة والزكوة والحيوة بالواو بدل الألف .

ومنها النص على بعض اللغات الفصيحة ككتابة هاء التأنيث بناء مجرورة على لغة طي* ، وكحذف ياء المضارع لغير جازم في (يوم يأت لاتكلم نفس) على لغة هذيل .

ومنها إفادة المعاني المختلفة بالقطع والوصل في بعض الكلمات نحو : (أم من يكون عليهم وكيلا - و - آمن يمشى سويا) فإن قطع أم عن من يفيد معنى بل دون وصلها بها .

ومنها أخذ القراءات المختلفة من اللفظ المرسوم برسم واحد نحو : (وما يخذعون إلا أنفسهم - وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا) فلو كتبت الأولى وما يخذعون لغات قراءة يخذعون ولو كتبت الثانية بألف على قراءة الجمع لغات قراءة الأفراد ورسمت التاء مجرورة لإفادة ما ذكر .

ومنها عدم الاهتداء إلى تلاوته على حقه إلا بموقف شأن كل علم نفيس يتحفظ عليه .
ومنها عدم تجهيل الناس بأولييتهم وكيفية ابتداء كتابتهم .

س ٤ : هل يطلق على من كتب مصحفا بقراءة من القراءات المتواترة أنه خالف رسم المصحف العثماني وأنه ارتكب محظورا أم لا ؟ .

ج : كاتب المصحف إذا رسم هجاء كلماته بصورها الرسمية على وجه مما أثر عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتزم فيما ورد فيه منها رسمان كل منهما لقراءة رسما يطابق قراءة معينة من القراءات المتواترة ثم ضبطه بأى طريق من طرق الضبط على وجه معتبر عند أهل الأداء فلا يقال إنه خالف الرسم العثماني ولا أنه ارتكب محظورا وإن كانت الصورة التي أتى بها لا تحكى صورة بعينها لمصحف من المصاحف الستة ، لأن المعتبر فى متابعة الرسم العثماني تصوير الكلمة القرآنية على وجه أثر عن تلك المصاحف أو بعضها ؛ وأما الضبط فقد جرى عمل المسلمين على الترخيص به دفعا للالتباس ومنعا للتحريف والخطأ فى كلام رب العالمين .

س ٥ : هل يجوز إتلاف المصاحف المطبوعة على غير رسم المصحف العثماني أم لا ؟ وهل لها حرمة أم لا ؟

ج : إذا كان فى المصحف المطبوع كلمات رسمت على خلاف الرسم العثماني المشهور وكانت هذه الكلمات مما يترتب على رسمها كذلك إخلال بحكم من أحكام تلاوة القرآن كوصل ما أثر عن الرسم العثماني قطعه وعكسه أو كرمه هاء التأنيث التي يقتضى الرسم العثماني رسمها بالهاء ، خشية أن يتسرب التحريف إلى اللفظ الشريف يتعين إتلاف ذلك المصحف إذا تعذر إصلاحه .

أما إذا كانت تلك الكلمات مما لا يترتب على رسمها كذلك إخلال بحكم من أحكام اللفظ كإثبات بعض الألفات أو الياءات أو الواووات المحذوفات فى الرسم العثماني لتقصده الاختصار ، فلا بأس ببقائه واحترامه تبعا لما جرى عليه بعض متأخري المشاركة من

الترخيص بإثباتها تيسيرا على العامة وتنزيلا لها منزلة الضبط ، لأنها تؤدي مايؤديه ولم أر في ذلك نصا يعتد به ، وهل تعد هذه الأحرف من القرآن أولا ؟ الظاهر من عمل العادين أن منهم من عدها مراعاة للفظ ، ومنهم من أسقطها مراعاة للخط العثماني ، وهذا أولى وأحوط محافظة على المرسوم وخشية أن يزداد في القرآن ما ليس منه .

س ٦ : كم عدد القراءات المعتبرة شرعا هل هي سبع أم عشر أم أربعة عشر وما أسماؤها وما معنى القراءة الشاذة ، وهل تصح بها الصلاة في أحد المذاهب أم لا وما مثالها ؟ وهل من يقرأ بها في غير الصلاة للتعبد يثاب عليها أم لا ، فإن لم تصح الصلاة بها ولم يؤجر قارئها فما معنى كونها شاذة وهل يترتب عليها حكم شرعي أم لا ؟ .

ج : القراءات المتواترة هي كل قراءة صح سندها بنقل جماعة لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم من البداءة إلى المنتهى ووافقت العربية مطلقا ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديرا ، والذي جمع في زماننا هذه الأركان الثلاثة هو قراءة الأئمة العشرة : نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي ، وأبو جعفر ، ويعقوب ، وخلف ، أخذها الخلف عن السلف إلى أن وصلت إلينا ، فقراءة أحدهم كقراءة باقية في كونها مقطوعا بها .

ويليها القراءات المشهورة وهي ماصح سندها بنقل عدل ضابط عن مثله ، ووافقت الرسم والعربية واشتهرت عند القراء فلم يعدوها من الغلط ولا من الشذوذ ، وهي على قسمين : قسم ملحق بالمتواتر ، وهي كل قراءة انفرد بها قارئ من العشرة أو راو من روايتهم ، وهذا القسم أجاز أئمتنا القراءة به ولم يمنح أحدهم إلى تركه إلا إذا كان المنفرد به طريقا من طريقهم . والقسم الثاني ملحق بالشاذ وهو ماصح سندك كذلك ، واختلفت الأئمة في قبوله بين قابل ومانع كغالب ماورد عن الأئمة الأربعة الذين هم ابن محيصن ، واليزيدي والحسن ، والأعمش وكبقية روايات نافع وغيره مما لازال معمولاً به في بعض الأقطار .

والقراءات الشاذة أقسام :

(أولها) ماصح سندك ووافق العربية وخالف الرسم .

(وثانيها) ما لم يصح سنده ووافق العربية والرسم ، ومنه ما زاده بعض القراء بطريق الاحتمال .

(وثالثها) ما زاده بعضهم على وجه التفسير ، وسميت شاذة إما لشذوذها عن رسم المصاحف وإما لعدم صحتها .

وقد تكلم عليها الإمام القسطلاني في لطائفه بما نصه : (وقد أجمع الأصوليون والفقهاء وغيرهم على أن الشاذ ليس بقرآن لعدم صدق حدة القرآن عليه أو شرطه وهو التواتر ، صرح بذلك الغزالي وابن الحاجب ، والقاضي عضد الدين ، والنووي والسخاوي في جمال القراء . والجمهور على تحريم القراءة به ، وأنه إذا قرأ به غير معتقد أنه قرآن ولا موهم أحداً ذلك بل لما فيه من الأحكام الشرعية عند من يحتج بها أو الأحكام الأدبية فلا كلام في جواز قراءتها ، وعلى هذا يحمل من قرأ بها من المتقدمين ، وكذلك يجوز تدوينها في الكتب والتكلم على ما فيها ، فإن قرأها معتقدا قرآنتها أو موها ذلك حرم عليه . وقال النووي : لا تجوز القراءة بها في الصلاة ولا غيرها لأن الشاذ ليس بقرآن ، فلو خالف وقرأ بالشاذ أنكر عليه سواء قرأ به في الصلاة أو غيرها ، كذا قال في الفتاوى والتبيان . ونقل ابن عبد البر إجماع المسلمين عليه ، فإن كان جاهلاً بالتحريم عرّف ، فإن عاد عزّراً تعزيراً بليغاً إلى أن ينتهي عن ذلك ، وقال ابن الصلاح في فتاويه : وهو ممنوع من القراءة بما زاد على العشر منع تحريم لا منع كراهة في الصلاة وخارجها عرف المعنى أم لا . ويجب على كل واحد إنكاره ، ومن أصرّ عليه وجب منعه وتعزيره بالحبس وغيره ؛ وعلى المتمكن من ذلك ألا يهمله . وقال ابن الحاجب في جواب فتوى : لا تجوز القراءة بالشاذ في الصلاة ولا غيرها ، فإن كان جاهلاً بالتحريم عرّف وأمر بتركها ، وإن كان عالماً أدب بشرطه ، وإن أصرّ أدب على إضراره وحبس إلى أن يرتدع انتهى) .

وقد صرح بالتحريم الأذرعى والزركشى ، والأسنوى والنسائي والترمذى في جامع المختصرات ، وقال الحافظ ابن حجر في جواب استفتاء : تحرم القراءة بالشاذ ، وفي الصلاة

أشد ، ولا نعرف خلافاً عن أئمة الشافعية في تفسير الشاذ أنه مازاد على العشر ، بل منهم من ضيق فقال : مازاد على السبع وهو الخلاف الأكثر منهم ، ولا ينبغي للحاكم خصوصاً قاضي الشرع أن يترك من جعل ذلك ديدنه بل يمتنع بما يليق به ، فإن أصرّ فيما هو أشد كما فعل السلف بالإمام أبي بكر بن شنبوذ مع جلالاته ، ويثاب أولياء الأمور على ذلك صيانة لكتاب الله تعالى ، وأما الصلاة فقال في الروضة : وتصح بالشاذ إن لم يكن فيها تغيير معنى ولا بزيادة حرف ولا نقصانه ، وهذا هو المعتمد وبه الفتوى كذا قال في التحقيق ، وقال الروياني في البحر : إن لم يكن فيه تغيير معنى لم تبطل ، وإن كان فيها زيادة كلمة أو التغيير فيجزي مجرى أثر عن الصحابة أو خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن كان عمداً بطلت صلاته أو سهواً سجد للسهو ، قال الزركشي : وينبغي أن يكون هذا التفصيل في قراءة الفاتحة لا غيرها . وقال مالك : من قرأ بقراءة ابن مسعود أو غيره من الصحابة مما يخالف المصحف لم يُصَلَّ وراءه ، وقال في المدونة : من صلى بقراءة ابن مسعود أبداً ، وقال الوشاشي : ومن قرأ بالقراءة الشاذة لم تجزه ، ومن ائتم به أعاد أبداً ونحوه قول ابن الحاجب ، والذي أفتى به علماء الحنفية بطلان الصلاة إن غير المعنى وصحتها إذا لم يغيرها .

س ٧ : هل من ضمن القراءات المتواترة قراءة روى فيها رسم المصحف العثماني أم لا .

ج : رسم المصحف ركن من أركان القراءة ، فكل قراءة مراعى فيها هذا الرسم ، وقد وردت نصوص أئمة الأداء بأن أئمة القراءة بالكوفة وأبا عمرو المازني ، ونافعا بن أبي نعيم المدني اعتنوا بمتابعة خط المصحف في الوقوف الاختيارية لقصد توقيف القارئ على حقيقة رسمها ، واستحسن ذلك المحققون لسائر القراء .

س ٨ : ما معنى حديث « أنزل القرآن على سبعة أحرف » .

ج : ينحصر الكلام على هذا الحديث في أربعة مباحث وتممة :
(المبحث الأول) في بيان طريقه . (والمبحث الثاني) في سبب ورود القرآن على

سبعة أحرف . (والمبحث الثالث) في بيان المراد بهذه الأحرف السبعة . (والمبحث الرابع) في بيان أن اختلاف الأحرف السبعة اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض .
(والتسمة) في بيان فوائد اختلاف القراءات ، وها أنذا أذكر لك شيئا من كل منها
فأقول

المبحث الأول : في بيان طرق هذا الحديث

روى بالطرق الصحيحة عن جمع من الصحابة وتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه » روى البخارى عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قال : « سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته ، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم فليته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرؤها ؟ فقال أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كذبت فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأنيها على غير ما قرأت ؛ فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إن هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم يقرئنيها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله ، اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرؤها ، فقال كذلك أنزلت ، ثم قال : اقرأ يا عمر ، فقرأت القراءة التي أقرأنيها ، فقال : كذلك أنزلت ، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه » (وفي لفظ للبخارى) عن عمر أيضا « سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم » الحديث .

وفي لفظ مسلم عن أبي بن كعب « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أضامة بنى غفار فأتاه جبريل عليه السلام فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف ، فقال سل الله معافاته ومعونته فإن أمتي لا تطيق ذلك ، ثم أتاه الثانية على حرفين فقال له مثل

ذلك ، ثم أتاه الثالثة بثلاثة فقال له مثل ذلك ، ثم أتاه الرابعة فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف ، فأبى حرف قرءوا عليه فقد أصابوا » ورواه أبو داود والترمذي وأحمد . وفي لفظ للترمذي أيضا عن أبي قال : « لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عند أحجار المروة قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل : إني بعثت إلى أمة أميين فيهم الشيخ الفاني والعجوزة الكبيرة والغلام ، قال فرهم فليقرءوا القرآن على سبعة أحرف » . قال الترمذي : حسن صحيح . وفي لفظ : « فن قرأ بحرف منها فهو كما قرأ » . وفي لفظ حذيفة « فقلت : يا جبريل إني أرسلت إلى أمة أمية فيهم الرجل والمرأة ، والغلام والجارية ، والشيخ الفاني الذي لم يقرأ كتابا قط ، قال : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف » . وفي لفظ لأبي هريرة : « أنزل القرآن على سبعة أحرف عليا حكما غفورا رحيا » . وفي رواية لأبي : « دخلت المسجد أصلي فدخل رجل فافتتح النحل فقرأ فخالفتني في القراءة ، فلما انفتل قلت : من أقرأك ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء رجل فقام وصلى فقرأ فافتتح النحل فخالفتني وخالف صاحبي فلما انفتل قلت : من أقرأك ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فدخل قلبي من الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية ، فأخذت بأيديهما وانطلقت بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت استقرئ هذين فاستقرأ أحدهما فقال أحسنت ، فدخل قلبي من الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية ، ثم استقرأ الآخر فقال : أحسنت فدخل صدري من الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية ، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدري بيده فقال : أعينك بالله يا أباي من الشك ، ثم قال : إن جبريل عليه السلام أتاني فقال : إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت : اللهم خفف عن أمتي ، ثم عاد فقال : إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفين فقلت : اللهم خفف عن أمتي ، ثم عاد فقال : إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف وأعطاك بكل ردة مسألة » الحديث رواه الحرث بن أبي أسامة في مسنده بهذا اللفظ ، وفي لفظ لابن مسعود : « فن قرأ على حرف منها

فلا يتحول عنه إلى غيره رغبة عنه « وفي لفظ لأبي بكر : « كل شاف كاف ما لم يحتم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب ، وهو كقولك : هلم وتعال وأقبل وأسرع واذهب واعجل » وفي لفظ لعمر بن العاص « فأى ذلك قرأتم فقد أصبتم ، ولا تماروا فيه فإن المراء فيه كفر » وقد وقع جماعة من الصحابة نظير ما وقع لعمر مع هشام (فمن ذلك) ما وقع لأبي بن كعب مع ابن مسعود في سورة النحل كما تقدم (ومنه) ما أخرجه أحمد عن ابن قيس مولى عمرو ابن العاص عن عمرو « أن رجلا قرأ آية من القرآن فقال له عمرو : إنما هي كذا وكذا فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأى ذلك قرأتم أصبتم فلا تماروا فيه » إسناده حسن . ولأحمد أيضا وأبي عبيدة والطبري من حديث أبي جهم ابن الصمة « أن رجلين اختلفا في آية من القرآن كلاهما يزعم أنه تلقاها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحو حديث عمرو بن العاص » .

وللطبري والطبراني عن زيد بن أرقم قال : « جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أقرأني ابن مسعود سورة أقرأنيها زيد بن ثابت وأقرأنيها أبي بن كعب فاختلفت قراءتهم ، فقراءة أيهم أخذ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى إلى جنبه فقال على : ليقرأ كل إنسان منكم كما علم فإنه حسن جميل » ولابن حبان والحاكم من حديث ابن مسعود « أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة من آل حم فرحت إلى المسجد فقلت لرجل : أقرأها فإذا هو يقرأ حروفا ما أقرأوها فقال : أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلقنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه فتغير وجهه وقال : إنما أهلك من كان من قبلكم الاختلاف ثم أسر إلى على شينا فقال على : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن يقرأ كل رجل منكم كما علم ، قال : فانطلقنا وكل رجل منا يقرأ حروفا لا يقرأها صاحبه » .

وقال الشمس ابن الجزري في نشره : وقد نص الإمام الكبير أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله على أن هذا الحديث تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم . قلت : وقد تتبع طرق هذا الحديث في جزء مفرد جمعته في ذلك ، فروينا من حديث عمر بن الخطاب ، وهشام

ابن حكيم بن حزام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبى بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وأبى هريرة ، وعبد الله بن عباس ، وأبى سعيد الخدرى ، وحذيفة بن اليمان ، وأبى بكرة ، وعمر بن العاص ، وزيد بن أرقم ، وأنس بن مالك ، وسمرة بن جندب ، وعمر بن أبى سلمة ، وأبى جهم ، وأبى طلحة الأنصارى ، وأم أيوب الأنصارى رضى الله عنهم .

وروى الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده الكبير : « أن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال يوما وهو على المنبر : أذكر الله رجلا سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف لما قام فقاموا حتى لم يحصوا فشهدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف ، فقال عثمان رضى الله عنه : وأنا أشهد معهم » اهـ .

المبحث الثانى : فى سبب ورود القرآن على سبعة أحرف

قال الشمس ابن الجزرى : فأما سبب وروده على سبعة أحرف فله تخفيف على هذه الأمة وإرادة اليسر بها والتهوين عليها شرفا لها وتوسعة ورحمة وخصوصية لفضلها وإجابة لقصد نبيا أفضل الخلق وحبيب الحق حيث أتاه جبريل فقال : « إن الله يأمرك أن تقرى أمتك القرآن على حرف ، فقال صلى الله عليه وسلم : سل الله معافاته ومعونته إن أمتى لاتطيق ذلك ، ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف » . وفى الصحيح أيضا : « إن ربي أرسل إلى أن أقرأ القرآن على حرف فرددت عليه أن هوّن على أمتى ، ولم يزل يردد حتى بلغ سبعة أحرف » وكما ثبت صحيحا « إن القرآن نزل من سبعة أبواب على سبعة أحرف ، وإن الكتاب قبله كان ينزل من باب واحد على حرف واحد » وذلك أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يعيشون إلى قومهم الخاصين بهم ، والنبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى جميع الخلق أحمرهم وأسودهم عربهم وعجمهم ، وكان العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة وألسنتهم شتى ويعسر على أحدهم الانتقال من لغة إلى غيرها أو من حرف إلى آخر ،

بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولو بالتعليم والعلاج ، لاسيما الشيخ والمرأة ومن لم يقرأ كتابا كما أشار إليه صلى الله عليه وسلم ، فلو كفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا استطاع ، وما عسى أن يتكلف المتكلف وتأبى الطباع اهـ .

وقال الإمام أبو محمد عبد الله بن قتيبة في كتاب المشكل : فكان من تيسير الله تعالى أن أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يقرأ كل أمة بلغتهم وما جرت به عادتهم ، فلهذا يقرأ عتي حين يريد حتى حين ، هكذا يلفظ بها ويستعملها والأسدى تعلمون ويعلم وتسود وجوه وألم إعهد إليكم بكسر حرف المضارعة ، والتميم يهزم والقرشي لا يهزم ، والآخر يقرأ قيل لهم وغيض الماء بإشمام الضم مع الكسر ، وبضاعتنا ردت إلينا بإشمام الكسر مع الضم ، ومالك لا تأمنا بإشمام الضم مع الإدغام (قال العلامة ابن الجزرى) وهذا يقرأ عليهم وفيهم بضم الهاء ، والآخر يقرأ عليهم ومنهم بالصلة ، وهذا يقرأ قد افلح وقل اوحى وخلوا الى بالنقل ، والآخر يقرأ موسى وعيسى ودنيا بالإمالة وغيره يلفظ ، وهذا يقرأ خيرا وبصيرا بترقيق الراء ، والآخر يقرأ الصلاة والطلاق بتغليظ اللام إلى غير ذلك اهـ . قال ابن قتيبة ولو أراد كل فريق من هؤلاء أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلا ويانعا وكهلا لاشتد ذلك عليه وعظمت الحنة فيه ، ولا يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة وتذليل للسان وقطع للعادة ، فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعا في اللغات ومتصرفا في الحركات كتيسيره عليهم في الدين اهـ . وأيضا النبي صلى الله عليه وسلم تحدى بالقرآن جميع الخلق ، (قُلْ لِّبَنِي إِجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ) الآية فلو أتى بلغة دون لغة لقال الذين لم يأت بلغتهم لو أتى بلغتنا لأتينا بمثله ، وتطرق الكذب إلى قوله تعالى : (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا) اهـ .

المبحث الثالث : في بيان المراد بهذه الأحرف السبعة

قال الشمس ابن الجزرى : وقد اختلفت أقوال العلماء في المراد بهذه الأحرف السبعة على نحو من أربعين قولاً مع إجماعهم على أنه ليس المراد بها قراءات سبعة من القراء كالسبعة المشهورين وإن كان يظن ذلك بعض العوام لأن السبعة لم يكونوا خلقوا ولا وجدوا . وأول من جمع قراءاتهم أبو بكر بن مجاهد في أثناء المائة الرابعة ، فلو كان الحديث منصرفاً إلى قراءة السبعة المشهورين أو سبعة من القراء الذين ولدوا بعد التابعين لأدى ذلك إلى أن يكون الخبر عارياً عن الفائدة إلى أن يولد هؤلاء السبعة الأئمة فتؤخذ عنهم القراءة ، ولأدى أيضاً إلى أنه لا يجوز لأحد من الصحابة أن يقرأ إلا بما يعلم أن هؤلاء السبعة من القراء إذا ولدوا وتعلموا اختاروا القراءة به ، وهذا باطل إذ طريق أخذ القراءة أن تؤخذ عن إمام ثقة لفظاً عن لفظ إماماً عن إمام إلى أن تتصل بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ومع إجماعهم أيضاً على أنه ليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبعة أوجه إذ لا يوجد ذلك في كلمة من المشهور . وأصح الأقوال وأولها بالصواب وهو الذى عليه أكثر العلماء وصححه البيهقى ، واختاره الأبهري وغيره واختاره فى القاموس أن المراد بالأحرف أوجه من اللغات ، وذلك لأن الحرف يطلق لغة على الوجه ، ومنه قوله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ) قال الحافظ أبو عمرو الدانى : معنى الأحرف التى أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم هاهنا يتوجه إلى وجهين : (أحدها) أن يعنى أن القرآن أنزل على سبعة أوجه من اللغات لأن الأحرف جمع حرف فى القليل كفلس وأفلس ، والحرف قد يراد به الوجه بدليل قوله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ) الآية . فالمراد بالحرف هنا الوجه أى على النعمة والخير وإجابة السؤال والعافية ، فإذا استقامت له هذه الأحوال اطمأنَّ وعبد الله وإذا تغيرت عليه وامتنعته الله بالشدة والضر ترك العبادة وكفر ، فهذا عبد الله على وجه واحد ، فلهذا سمى النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأوجه المختلفة من القراءات والمتغايرة من اللغات أحرفاً على معنى أن كل شئ منها وجه .

(والوجه الثاني) أن يكون سمي القراءات أحرفاً على طريق السعة كعادة العرب في تسميتهم الشيء باسم ما هو منه وما قاربه وجاوره ، وكان كسبب منه وتعلق به ضرباً من التعلق كتسميتهم الجملة باسم البعض منها ، فلهذا سمي النبي صلى الله عليه وسلم القراءة حرفاً وإن كانت كلاماً كثيراً من أجل أن منها حرفاً قد غير نظمه أو كسر أو قلب إلى غيره أو أميل أو زيد أو نقص منه على ما جاء في المختلف فيه من القرآن فسمى القراءة إذ كان ذلك الحرف منها حرفاً على عادة العرب في ذلك واعتماداً على استعمالها اهـ .

(قال الشمس ابن الجزري) وكلا الوجهين محتمل إلا أن الأول محتمل احتمالاً قوياً في قوله صلى الله عليه وسلم سبعة أحرف أى سبعة أوجه وأنحاء . والثاني محتمل احتمالاً قوياً في قول عمر رضي الله عنه : سمعت هشاماً يقرأ سورة الفرقان على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى على قراءات كثيرة ، وكذا قوله في الرواية الأخرى : سمعته يقرأ أحرفاً لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأها اهـ .

ومما يؤيد أن المراد أوجه من اللغات أن حكمة إتيان القرآن على سبعة أحرف التخفيف والتيسير على هذه الأمة في التكلم بكتابهم كما خفف عليهم في شريعتهم وهو كالمصرح به في الأحاديث الصحيحة كقوله صلى الله عليه وسلم «أسأل الله معافاته ومعونته» ، وكقوله «إن ربي أرسل إلى أن أقرأ القرآن على حرف واحد فرددت عليه أن هوّن على أمتي ولم يزل يردد حتى بلغ سبعة أحرف» وكقوله لجبريل «إني أرسلت إلى أمة أمية فيهم الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ الفاني الذي لم يقرأ كتاباً قط» وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم أرسل للخلق كافة وألسنتهم مختلفة غاية الاختلاف كما هو مشاهد فينا ومن كان قبلنا مثلنا ، وكلهم مخاطب بقراءة القرآن قال تعالى (فاقرءوا ما نيسر من القرآن) فلو كفوا كلهم النطق بلغة واحدة اشق ذلك عليهم وتعسر ، إذ لا قدرة لهم على ترك ما اعتادوه وألفوه من الكلام إلا بتعب شديد وجهد جهيد ، وربما لا يستطيعه بعضهم ولو مع الرياضة الطويلة وتذليل اللسان كالشيخ والمرأة فاقتضى يسر الدين أن يكون القرآن على لغات اهـ .

المبحث الرابع في بيان أن اختلاف الأحرف السبعة اختلاف تنوع وتغاير

لا اختلاف تضاد وتناقض

اختلاف هذه السبعة الأحرف المنصوص عليها من النبي صلى الله عليه وسلم اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض ، فإن هذا محال أن يكون في كلام الله تعالى ، قال تعالى : (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) قال الإمام ابن الجزرى : وقد تدبرنا اختلاف القراءات فوجدناه لا يخلو من ثلاثة أحوال : أحدها اختلاف اللفظ لا المعنى . الثاني اختلافهما جميعا مع جواز اجتماعهما في شيء واحد . الثالث اختلافهما جميعا مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد ، بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضى التضاد .

فأما الأول : فكلا اختلاف في الصراط وعليهم ويؤده والقدس وبحسب ونحو ذلك مما يطلق عليه أنه لغات فقط .

وأما الثاني : فنحو مالك ومالك في الفاتحة ، لأن المراد في القراءتين هو الله تعالى لأنه مالك يوم الدين ومملكه وكذا يكذبون ويكذبون ، لأن المراد بهم هم المناقون لأنهم يكذبون بالنبي صلى الله عليه وسلم ويكذبون في أخبارهم ، وكذا ننشرها بالراء والزاي لأن المراد بهما هي العظام ، وذلك أن الله تعالى أنشرها : أى أحياها ، وأنشرها : أى رفع بعضها إلى بعض حتى التأمتم فضمن الله المعنيين في القراءتين .

وأما الثالث : فنحو وظنوا أنهم قد كذبوا بالتشديد والتخفيف ، وكذا « وإن كان مكرهم ليرزول منه الجبال » بفتح اللام الأولى ورفع الأخرى ، وبكسر اللام الأولى وفتح الثانية ، وكذا (الَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فَتَنُوا) بالتسمية والتجھيل ، وكذا قال « لقد علمت » بضم الناء وفتحها ، وكذا ما قرئ شاذا وهو يُطعم ولا يُطعم عكس القراءة المشهورة ، وكذا يُطعم ولا يُطعم على التسمية فيهما فإن ذلك كله وإن اختلف لفظا ومعنى ، وامتنع اجتماعه في شيء واحد ، فإنه يجتمع من وجه آخر يمتنع فيه التضاد والتناقض .

فأما وجه تشديد كذبوا فالمعنى وتيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم ، ووجه التخفيف
أى وتوهم المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به ، فالظن فى الأولى يقين ،
والضائر الثلاثة للرسل ، والظن فى القراءة الثانية شك ، والضائر الثلاثة للمرسل
إليهم .

وأما وجه فتح اللام الأولى ورفع الثانية من لزول فهو أن يكون إن مخففة من الثقيلة
أى وإن مكرهم كامل الشدة بحيث تقطع منه الجبال الراسيات من مواضعها ، وفى القراءة
الثانية إن نافية : أى ما كان مكرهم وإن تعاظم وتفاقم ليزول منه أمر محمد صلى الله عليه
وسلم ودين الإسلام ، فى الأولى تكون الجبال حقيقة ، وفى الثانية مجازا .

وأما وجه من بعد ما فتتوا على التجهيل فهو أن الضمير يعود للذين هاجروا وفى التسمية
يعود إلى الخاسرين .

وأما وجه ضم تاء علمت فإنه أسند العلم إلى موسى حديثا منه لفرعون حيث قال : إن
رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون ، فقال موسى عن نفسه : لقد علمت ما أنزل هؤلاء
إلا رب السموات والأرض بصائر ، فأخبر موسى عليه السلام عن نفسه بالعلم بذلك ، أى
إن العالم بذلك ليس بمجنون ، وقراءة فتح التاء أنه أسند هذا العلم إلى فرعون مخاطبة من
موسى له بذلك على وجه التقرير لشدة معاندته للحق بعد علمه .

وكذلك وجه قراءة الجماعة يطعم بالتسمية ولا يطعم على التجهيل أن الضمير فى وهو
يعود إلى الله تعالى ، أى والله تعالى يرزق الخلق ولا يرزقه أحد ، والضمير فى عكس هذه
القراءة يعود إلى الولي ، أى والولي المتخذ يرزق ولا يرزق أحدا ، والضمير فى القراءة الثالثة
يعود إلى الله تعالى ، أى والله يطعم من يشاء ولا يطعم من يشاء .

فليس فى شيء من هذه القراءات تنافى ولا تضاد ولا تناقض ، وكل ما صح عن النبي
صلى الله عليه وسلم من ذلك فقد وجب قبوله ولم يسع أحدا من الأمة رده ، ولزم الإيمان به
وأنه كله منزل من عند الله ، إذ كل قراءة منها مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان
(١٤ - تاريخ القرآن)

بها كلها واتباع مانضمته من المعنى علما وعملا ، ولا يجوز ترك موجب إحداها لأجل الأخرى ظنا أن ذلك تعارض ، وإلى ذلك أشار ابن مسعود رضى الله عنه بقوله : لا تختلفوا فى القرآن ولا تنازعوا فيه فإنه لا يختلف ولا يتساقط ، ألا ترون أن شريعة الإسلام فيه واحدة حدودها وقراءتها وأمر الله فيها واحد ، ولو كان من الحرفين حرف يأمر بشئ ينهى عنه الآخر كان ذلك الاختلاف ولكنه جامع ذلك كله ، ومن قرأ على قراءة فلا بدعها رغبة عنها فإنه من كفر بحرف منه كفر به كله (قال الإمام ابن الجزرى) وإلى ذلك أشار النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال لأحد المختلفين أحسنت ، وفى الحديث الآخر : أصبت ، وفى الآخر : هكذا أنزلت ، فصوب النبى صلى الله عليه وسلم قراءة كل من المختلفين وقطع بأنها كذلك أنزلت من عند الله ، وبهذا افترق اختلاف القراء من اختلاف الفقهاء ، فإن اختلاف القراء كله حق وصواب نزل من عند الله وهو كلامه لا شك فيه ، واختلاف الفقهاء اختلاف اجتهدى ، والحق فى نفس الأمر فيه واحد ، فكل مذهب بالنسبة إلى الآخر صواب يحتمل الخطأ ، وكل قراءة بالنسبة إلى الأخرى حق وصواب فى نفس الأمر تقطع بذلك وتؤمن به ونعتقد أن معنى إضافة كل حرف من حروف الاختلاف إلى من أضيف إليه من الصحابة وغيرهم ، إنما هو من حيث إنه كان أضبط له وأكثر قراءة وإقراء به وملازمة له وميلا إليه لا غير ذلك ، وكذلك إضافة الحروف والقراءات إلى أئمة الإقراء ورواتهم ، المراد بها أن ذلك القارئ أو ذلك الراوى اختار القراءة بذلك الوجه من اللغة حسبما قرأ به فأثره على غيره ودوام عليه ولزمه حتى اشتهر وعرف به ، وقصد فيه وأخذ عنه فلذلك أضيف إليه دون غيره من القراء ، وهذه الإضافة إضافة اختيار ودوام ولزوم لا إضافة اختراع ورأى واجتهاد ، وبهذا يندفع ما عساه أن يقال بين الحديث والآية تناف ، فإن قوله عليه الصلاة والسلام لكل من المختلفين ، هكذا أنزلت أثبت الخلاف . وقوله تعالى : (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) نفاه .

التممة في بيان فوائد اختلاف القراءات

وفي اختلاف القراءات وتنوعها مع السلامة من التضاد والتناقض فوائد غير ما تقدم من التهوين والتسهيل والتخفيف على الأمة .

منها : بيان حكم مجمع عليه كقراءة سعد بن أبي وقاص وغيره : وله أخ وأخت من أم . فإن هذه القراءة تبين أن المراد بالإخوة هنا هم الإخوة للأم ، وهذا أمر مجمع عليه ، ولذلك اختلف العلماء في المسألة المشتركة وهي : زوج وأم أو جدة واثنان من إخوة الأم وواحد أو أكثر من إخوة الأب والأم ، فقال الأكثرون من الصحابة وغيرهم بالتشريك بين الإخوة لأنهم من أم واحدة ، وهذا مذهب مالك والشافعي وإسحاق وغيرهم . وقال جماعة من الصحابة وغيرهم : يجعل الثلث لإخوة الأم ولا شيء لإخوة الأبوين لظاهر القراءة الصحيحة ، وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه الثلاثة وأحمد بن حنبل وداود الظاهري وغيرهم .

ومنها ترجيح حكم اختلف فيه كقراءة أوتخري رقية مؤمنة في كفارة اليمين ففيها ترجيح لاشتراط الإيمان كما ذهب إليه الشافعي وغيره ، ولم يشترطه أبو حنيفة .

ومنها الجمع بين حكمين مختلفين : كقراءة يطهرن ويطهرن بالتخفيف والتشديد فينبغي الجمع بينهما وهو أن الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بقطع حيضها وتطهر بالاغتسال .

ومنها اختلاف حكمين شرعيين كقراءة : وأرجلكم بالخفض والنصب فإن خفض يقتضى فرض المسح والنصب يقتضى فرض الغسل فبينهما النبي صلى الله عليه وسلم فجعل المسح للابس الخف والغسل لغيره : ومن ثم وهم الزمخشري حيث حمل اختلاف القراءتين في إلا امرأتك رفعاً ونصباً على اختلاف قولى المفسرين والنحاة .

ومنها إيضاح حكم يقتضى الظاهر خلافه كقراءة فامضوا إلى ذكر الله فإن قراءة فأسعوا يقتضى ظاهرها المشى السريع وليس كذلك فكانت القراءة الأخرى موضحة لذلك ورافعة لما يتوهم منه .

ومنها تفسير ما لعله لا يعرف مثل قراءة كالصوف المنفوش .

ومنها ما هو حجة لأهل الحق ودفع لأهل الزيغ كقراءة وَمَلِكًا كَبِيرًا بكسر اللام وردت عن ابن كثير وغيره وهي من أعظم دليل على رؤية الله تعالى في الدار الآخرة .

ومنها ما هو حجة لترجيح قول بعض العلماء كقراءة « أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ » إذ اللس يطلق على الجس واللمس ، كقوله تعالى : « فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ » أى مسوه . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « لعلك قَبِلْتَ أو لمست ، ومنه قول الشاعر :

لمست بكفى كفه أبتغي الغنا ولم أدر أن الجود من كفه يعدى
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى أفدت وأعدانى فأتلف ما عندى

ومنها ما هو حجة لقول أهل العربية كقراءة والأرحام بالخفض ، وليجزى قوما على ما لم يسم فاعله مع النصب .

ومنها ما فى ذلك من نهاية البلاغة وكمال الإعجاز وغاية الاختصار وجمال الإيجاز ، إذ كل قراءة بمنزلة الآية إذ كان تنوع اللفظ بكلمة يقوم مقام آيات ، ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حديثها لم يخف ما كان فى ذلك من التطويل .

ومنها ما فيه من عظيم البرهان وواضح الدلالة إذ هو مع كثرة هذا الاختلاف وتنوعه لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض ولا تخالف ، بل كله يصدق بعضه بعضا ويبين بعضه بعضا ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد وأسلوب واحد ، وما ذاك إلا آية بالغة وبرهان قاطع على صدق من جاء به صلى الله عليه وسلم .

ومنها سهولة حفظه وتيسر نقله على هذه الأمة إذ هو على هذه الصفة من البلاغة والوجازة فإن من يحفظ كلمة ذات أوجه أسهل عليه وأقرب إلى فهمه وأدعى لقبوله من حفظه جملا من الكلام تؤدى معانى تلك القراءات المختلفة لاسيما فيما كان خطه واحدا فإن ذلك أسهل حفظا وأيسر لفظا .

ومنها إعظام أجور هذه الأمة من حيث إنهم يفرغون جهدهم ليلبغوا قصدهم فى تتبع

معاني ذلك واستنباط الحكم والأحكام من دلالة كل لفظ واستخراج كمين أسرارته وخفي إشاراته وإنعامهم النظر وإمعانهم الكشف عن التوجيه والتعليل والترجيح والتفصيل بقدر ما يبلغ غاية علمهم ويصل إليه نهاية فهمهم « فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى » والأجر على قدر المشقة .

ومنها بيان فضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم من حيث تلقيهم كتاب ربهم هذا التلقى وإقبالهم عليه هذا الإقبال والبحث عن لفظة لفظة والكشف عن صفة صفة . وبيان صوابه وتحريير تصحيحه وإتقانه حتى حموه من خلل التحريف وحفظوه من الطغيان والتطيف ، فلم يهملوا تحريكاً ولا تسكيناً ولا تفخيماً ولا ترقيقاً حتى ضبطوا مقادير المدات وتفاوت الإمالات وميزوا بين الحروف والصفات مما لم يهتد إليه فكر أمة من الأمم ، ولم يصل إليه إلا بإلهام باري النسم .

ومنها ما ذكره الله تعالى من المنقبة العظيمة والنعمة الجليلة الجسيمة لهذه الأمة الشريفة من إسنادها كتاب ربها واتصال هذا السند الإلهي بسندها خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة الحمدية وإعظاماً لقدر أهل هذه اللغة الحنيفية ، فكل قارئ يوصل حروفه بالنقل إلى أصله ويرفع ترتيب الملحد قطعاً بوصله ، فلو لم يكن من الفوائد إلا هذه الفائدة الجليلة لكنت ، ولو لم يكن من الخصائص إلا هذه الخصيصة النبيلة لوفت .

ومنها ظهور سر الله تعالى في توليه حفظ كتابه العزيز وصيانة كلامه المنزل بأوفى البيان والتميز ، فإن الله تعالى لم يخل عصراً من الأعصار ولو في قطر من الأقطار من إمام حجة قائم بنقل كتاب الله تعالى وإتقان حروفه ورواياته وتصحيح وجوهه وقرآته ليكون سبباً لوجود هذا السبب القويم على مر الدهور وبقاؤه دليلاً على بقاء القرآن العظيم في المصاحف والصدور .

وقد خص الله تعالى هذه الأمة في كتابهم هذا المنزل على نبيهم صلى الله عليه وسلم بما لم يكن لأمة من الأمم في كتبها المنزلة فإنه سبحانه وتعالى تكفل بحفظه دون سائر

الكتب ولم يكل حفظه إلينا ، قال تعالى : « إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »
وذلك إعظام لأعظم معجزات النبي صلى الله عليه وسلم لأن الله تعالى تحدى بسورة منه أفصح
العرب لساناً وأعظمهم عناداً وعتواً وإنكاراً فلم يقدرُوا على أن يأتوا بآية مثله ، ثم لم يزل
يتلى آناء الليل وآناء النهار مع كثرة الملحدين وأعداء الدين ، ولم يستطع أحد منهم معارضة
شئ منه ، وأى دليل على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم أعظم من هذا ؟ .

وأيضاً فإن علماء الأمة لم تزل من الصدر الأول لآخر وقت تستنبط منه الأدلة والحجج
والبراهين والحكم وغيرها ما لم يطلع عليه متقدم ولا ينحصر لمؤخر ، بل هو البحر الخضم
الذى لا قرار له ينتهى إليه ولا حد له يوقف عليه ، ومن ثم لم تحتج هذه الأمة إلى نبي بعد
نبيها صلى الله عليه وسلم كما كانت الأمم قبل ذلك لم يخل زمان من أزمنتهم عن أنبياء
يحكمون أحكام كتابهم ويهدونهم إلى ما ينفعهم في عاجلهم ومآبهم ، قال الله تعالى :
(إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا
وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ) فوكل حفظ التوراة إليهم ، ولهذا
دخلها بعد أنبيائهم التحريف والتبديل ، ولما تكفل الله تعالى بحفظه خص به من شاء من
بريته وأورثه من اصطفاه من خليقته ، قال تعالى : (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا
مِنْ عِبَادِنَا) وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الله أهلين من الناس » قيل : من هم
يا رسول الله ؟ قال : « أهل القرآن هم أهل الله وخاصته » رواه ابن ماجه وأحمد والدارمي
 وغيرهم من حديث أنس بإسناد رجاله ثقات اه ملخصاً من النشر والجامع والكواكب
الدرية .

س ٩ : لم كتبت كلمة وأحيا بالآلف من آية وأنه هو أمات وأحيا ، ولم تكتب بالياء
ولم وضعت نبرة في سيئة وحذفت من السيئات .

ج : أما كلمة أحيا فرسمت بالآلف كراهة اجتماع متماثلين ، وكذلك السيئات في الجمع

رسم بحذف الياء التي هي صورة الهمزة كراهة اجتماع متماثلين في الصورة ، وعوضوا عنها إثبات الألف على غير قياسهم في ألفات جمع التأنيث .

س ١٠ : هل يوقف على نحو كلمت ورحمت المرسومة في القرآن بقاء مفتوحة بالهاء بحسب الأصل ، أم بالقاء بحسب الرسم ؟ .

ج : للقراء في الوقف على هاتين الكلمتين وأخواتهما مما رسم في المصاحف بقاء مفتوحة وجهان صحيحان مأخوذ بهما ، الأول : الوقف عليها بالقاء كالرسم وهو قراءة نافع وابن عامر وعاصم وحمزة وأبي جعفر وخلف . والثاني : الوقف عليها بالهاء على الأصل ، وهو قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي ويعقوب .

س ١١ : هل يوقف على نحو أن لا في أن لاتعبدوا إلا الله المرسوم أحياناً هكذا ، ألا على النون بحسب الأصل أم على الألف بحسب الرسم ؟ .

ج : جميع ما رسم من ذلك ونحوه بالوصل لا يجوز الوقف فيه إلا على الكلمة الأخيرة منه لأجل الاتصال الرسمي ، ولا يجوز فصله بوقف إلا برواية صحيحة ، وأما ما رسم مقطوعاً فيجوز الوقف فيه على كلتا الكلمتين إشارة إلى قطعهما وذلك في حالتى الاختيار (بالوحدة) والاضطرار ، أما في حالة الاختيار (بالثناة التحتية) فلا يجوز إلا بقصد التعليم .

س ١٢ : جاء في المصحف الأميري الذي طبعته الحكومة المصرية عام ١٣٤٢ هـ تحت إشراف مشيخة الأزهر الجليلة ومشايخه القاري المحترمة مانصه : وأخذ هجاؤه مما رواه علماء الرسم عن المصاحف التي بعث بها سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى البصرة والكوفة والشام ومكة والمصحف الذي جعله لأهل المدينة ، والمصحف الذي اختص به نفسه ، وعن المصاحف المنتسخة منها ، أما الأحرف اليسيرة التي اختلفت فيها أهجية تلك المصاحف ، فاتبع فيها المجهاء الغالب مع مراعاة القاري الذي يكتب المصحف لبيان قراءته ، ومراعاة القواعد التي استنبطها علماء الرسم من الأهجية المختلفة على حسب ما رواه الشيخان : أبو عمرو

الداني وأبو داود سليمان بن نجاح مع ترجيح الثاني عند الاختلاف ، فما مثال الأحرف التي اختلفت فيها الأهجية ؟ .

ج : المراد بالأحرف اليسيرة التي اختلفت فيها أهجية المصاحف ما كان فيه قراءتان وورد برسمين كل رسم لقراءة منهما مثل : وقالوا آتخذ في سورة البقرة فإنه كتب في المصحف الشامي بدون واو قبل القاف وفي غيره بالواو ، ومثل : وأوصى فيها أيضا فإنها كتبت في الإمام والمدني والشامي بألف بين الواوين ، وفي غيرها بدونها .

فهذا النوع رسم في المصحف الذي طبعته الحكومة المصرية عام ١٣٤٢ هجرية بالصورة التي توافق رواية حفص في هاتين الكلمتين وأخواتهما ، ولم يرسم فيه شيء من ذلك بصورة تخالف روايته وعدد المواضع التي جاءت في القرآن من هذا النوع سبعة وأربعون موضعا .

س ١٣ : وجاء في المصحف المذكور مانصه : وإذا كان الحرف المتروك له بدل في الكتابة الأصلية عوّل في النطق على الحرف الملحق لا على البدل نحو : الصلوة ، كمشكوة ، الربوا ، موله ، التوروة ، وإذا استسقى موسى لقومه ، فإننا لم نفهم ما هو الحرف المتروك في كلمة الصلاة هل هو الألف أم لا ، فإن كانت ألفا فهل كانت الصلاة في المصاحف العثمانية هكذا : الصلاة ، أم هكذا ، الصلة ، أم كيف كانت ، وما معنى قوله في الكتابة الأصلية هل المقصود كتابة المصاحف العثمانية أم الكتابة على حسب قواعد اللغة العربية وقواعد الإملاء ؟ .

ج : الصلاة وأخواتها مما يقتضى الرسم القياسى كتبه بالألف ورسم في المصحف بالواو مكانها هكذا : الصلوة والتوراة ومولاه ونظائرها مما يقتضى الرسم القياسى تصويره بالألف وكتب في المصحف بالياء بدلا منها هكذا : التوروة ومولاه لما كان الحرف المتروك منه في الكتابة وهو الألف رسم مكانه واو أو ياء فالوصول إلى النطق بالألف على حقيقتها ألحق علماء الضبط الواو أو الياء المرسوميتين مكان الألف بألف فوق كل منهما ، وكتب

هذا الحرف الملحق على قاعدة ضبط المصحف الأميري بقلم دقيق هكذا : الصلوة ، التوراة ، عليه موله ، فهذا الحرف الملحق وهو الألف الصغيرة هو المعول في النطق دون الواو والياء ، فماده بالكتابة الأصلية الصورة الرسمية بعد إبدال الألف بواو في الصلاة وأخواتها ، وبياء في التوراة ونظائرها .

س ١٤ : وجاء في المصحف الأميري المذكور كتابة لفظ (ولي) مختلفة في آيتين ، ففي إحداهما مكتوبة هكذا : أنت ولي في الدنيا والآخرة ، وفي ثانيتهما مكتوبة هكذا : إن والى الله ، فهل تجوز كتابتهما على صورة واحدة في الآيتين ، سواء على هيئة الأولى أو الثانية ؟ .

ج : هاتان الكلمتان اتفق شيوخ الرسم على رسمهما بياء واحدة ، ورجح الداني وأبوداود في حرف الأعراف أنها الثانية ، وفي حرف يوسف أنها الأولى ، ولهذا الترجيح كتب حرف الأعراف وضبط هكذا : وَلِىَّ ، وكتب حرف يوسف وضبط هكذا : وَلِىَّ ، ولا مانع من رسمهما وضبطهما معا بصورة منهما .

س ١٥ : لم لم توضع في المصحف الأميري المذكور مدة على لفظ الجلالة ، مع أن فيه مدًا طبيعيًا كما وضعت في حق .

ج : هذه العلامة حذفت من اسم الله لكثرة دَوْرِهِ ، وقيل للفرق بينه وبين اللت من أفرء يتم اللت والعزى لاسيما على مذهب من يقف عليه بالهاء .

س ٣٦ : جاء في المصحف الأميري المذكور مانصه : إن الأحرف الصغيرة تدل على أعيان الحروف المتروكة في المصاحف العثمانية مع وجوب النطق بها نحو : داود ، وأنت ولي ، وإن والى الله ، ونجى المؤمنين ، فهل حذفت هذه الأحرف الصغيرة اتباعا للرسم العثماني ، ويتلقى النطق بها عن أفواه علماء القراءات ، ثم المدة الموجودة مع الفتحة فوق التاء في كلمة كتب ونحوها هل نعتبرها علامة دالة على مدّ الكلمة مدًا طبيعيًا أم نعتبرها حرفًا صغيرًا يبدل على الحرف المتروك في المصحف العثماني وهو الألف ، فإن اعتبرناها حرفًا صغيرًا فهو

واضح في نحو كتاب وغير واضح في نحو : يوحى وأعطى وسعى إذ أى حرف ترك من هذه الكلمات في المصحف العثماني ، وإن اعتبرناها علامة دالة على المد الطبيعي ، فلم لم توضع على نحو : ولا ، وخلا ، وألا ، وإلا ، ووضعت على نحو إلى وعلى نحو إلى ثمرة ، وعلى كل شيء ، ما لم يأت بعدها كلمة مبدوءة بأل فإنها لم توضع نحو : إلى الرسول وعلى العرش .

وما فائدة وضع هذه الألف الصغيرة مع وجود الفتحة ووجود علامة المد الجائز المنفصل في إلى وعلى إذا صار مداهما مدا جائزا منفصلا نحو : إلى إبراهيم وعلى أحد ، إذ يندرج المد الطبيعي في المد الجائز المنفصل ، فلو حذفت في هذه الحالة لكان أولى كما حذفت من نحو على العرش ولم تحذف من نحو : على هدى ، وإلى يوم القيمة .

ج : هذه الأحرف الصغيرة من علامات الضبط ، وليست من المرسوم العثماني ، فالصورة الرسمية لكلمة داود هكذا داود ، فالواو الصغيرة وضعت في الضبط في المصحف الأميري دليلا على الواو التي حذفت لكرهه اجتماع متماثلين في الصورة ، وكانت في الضبط الأول قبل الطبع تكتب بمداد يخالف لونه لون مداد المصحف لتمييز الضبط من الهجاء ، وكذلك الياء في إن ولي الله لما رسمت هذه الكلمة في المصحف العثماني بياء واحدة على حذف إحدى الياءين لكرهه اجتماع متماثلين في الصورة ، ورجح أبو عمرو وأبو داود أن المحذوفة الأولى ولم يكن في الكلمة ما يدل عليها كان ضباط المصاحف يضعون ياء حمراء بين اللام والياء المرسومة ، ولهذا وضعت ياء الضبط صغيرة وعليها شكلها في المصحف الأميري وأما كلمة تنجي من — تنجي المؤمنين — في الأنبياء ، ومثلها تنجي من نشاء ييوسف ، فرسمت في الموضعين بنون واحدة قبل الجيم لتحتل القراءتين ، وللدلالة على أنها في رواية حفص تقرأ في حرف الأنبياء بنونين ، وضع الضباط نونا صغيرة من فوق بين النون والجيم .

ولو حذفت هذه الأحرف الصغيرة وعهد أمر النطق بها إلى المعلمين ليقوموا به مشافهة حالة التلقين لم يكن في ذلك نقص في الرسم إلا أن الأولى والأحوط ما رآه علماء الضبط

فإنهم فعلوه عن خبرة تامة ، ولما فيه من تذكرة المعلم ، وتبصرة المتعلم .
والألف الصغيرة الموضوعة بين التاء والباء في كتب هي الدليل على أنه الحذوفة التي
تمد مدّاً طبيعياً ، فليست علامة على المدّ وإنما هي دليل على حرفه بخلاف الألف الصغيرة
الموضوعة فوق ياء يوحى ونظائرها ، فإنها دليل على أن الياء التي تحتها صورة ألف لفظية من
شأنها أن تمدّ مداً طبيعياً ، ولذلك لم توضع هذه الألف الصغيرة على ألف خلا وولا وألا
وإلا ؛ إذ لا حاجة إليهما مع وجودها ، ووضعها على نحو إلى وعلى كوضعها على نحو : يوحى
إذ الياء فيه رسمت في المصاحف العثمانية بدلا من الألف ، ولكون هذه الألف الصغيرة
علامة على أن الياء تحتها ألف لفظية جاز وضع المدة عليها إذا ولي الكلمة المحتسمة بها همزة
قطع نحو : إلى إبراهيم ، على أحد ؛ لتدل على جواز المد فيها زيادة عما لها من المد الأصلي ،
والترجم ذلك في المصحف الأميري للإشارة إلى أنه ضبط على رواية حفص من طريق عبيد
ابن الصباح على مختار الإمام الشاطبي ومذهبه في المدّ المنفصل مده مداً وسطاً ومقداره أربع
حركات على ما اختاره الشاطبي وخمس على ما في تيسير الداني ، ولم تلحق الألف المصورة
ياء في نحو إلى وعلى للمحققين بكلمة مبدوءة بآل نحو : إلى الماء وعلى العرش لحذفها وصلاً
في التلاوة .

س ١٧ : لقد أنعمنا النظر في رسم المصحف العثماني فلم نجد أن الصحابة رضي الله عنهم
مشوا في كتابته على قاعدة واحدة من قواعدهم ، فمثلاً كلمة كتاب هي مرسومة بلا ألف
في جميع القرآن ما عدا بضعة مواضع فرسومة بالألف ، وكلمة قال هي مرسومة بالألف
في جميعه ما عدا بضعة مواضع فرسومة بغير ألف ، وكلمة دعاء في (وَمَا دَعُوا السَّكْفَرِينَ إِلَّا
فِي ضَلَالٍ) مرسومة هكذا - دعوا - ومثلها العلماء من (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)
مرسومة هكذا - العلموا - ومثلها كلمة الضعفاء بسورة غافر فقط مرسومة هكذا الضعفوا
بخلاف الضعفاء في غير سورة غافر ، وكلمة جاء و فاء و مرسومتان بدون ألف بعد واو الجماعة ،
وكلمة ثمود إذا وقعت في محل نصب رسمت بألف بعد الدال هكذا ثمودا نحو : (إِنَّ تَمُودًا

كفروا رَبَّهُمْ) وكلمة إبراهيم هي مرسومة في البقرة هكذا: إبراهيم ومرسومة في غيرها هكذا إبراهيم ، وكلمة لشيء في السكف مرسومة هكذا : لشيء من آية (وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنِّي فَاعٍ ذَلِكَ غَدًا) بخلافها في غيرها ، وكلمة ننجى في آية (وَنَجِّنَهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ) مرسومة هكذا ننجى بخلافها في آية (كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ) فإنها مرسومة هكذا : ننج ، ثم لماذا حذفت الياء من ننج الثانية .

ج : لم يطرده حذف الألف في كتب في المصحف الأمري فاستثنى منه أربعة مواضع أثبتت فيها الألف تبعاً لأكثر أهل الرسم ، وهي كتاب معلوم بالحجر ، ومن كتاب ربك في السكف ، ولكل أجل كتاب في الرد ، وكتاب مبين أول النمل ، وفي بعض النقول أنها ترسم بالحذف أيضاً إلا أن العمل على إثباتها ، ووجه الحذف الاختصار .

وأما كلمة قال ففي كل القرآن بألف بين القاف واللام إلا قال ربى يعلم أول الأنبياء ، فرسم في بعض المصاحف بالألف وفي بعضها بدونها ، وإلا قال كم وقال إن في سورة قد أفلح وقال أولو في سورة الزخرف فإنها رسمت بدون ألف بين القاف واللام في الثلاثة ، وقد قرئت هذه المواضع الأربعة بصيغة الماضي وبصيغة الأمر .

وأما دعاء بالرد والضعفاء بغافر ، والعلماء بفاطر فرسمت في العثمانية هكذا : دعوا ، الضعفوا ، العلموا بحذف الألف التي بعد العين والفاء والميم ، وتصوير الهمزة واوا وزيادة ألف بعدها تقوية لها أو تشبيها لها بواو الجمع .

وأما جاء وباء وأخواتها فرسمت بحذف الألف للدلالة على الأصل .

وأما ثمود المنسوب في مواضعه الأربعة فرسم بالألف ليحتمل قراءة التنوين وتركه .

وأما إبراهيم في البقرة فرسم بحذف الياء في المصاحف الشامية والعراقية ، وبإثباتها في المدينة والمكية والإمام ، ولعل الحذف لاحتمال القراءتين فإنه قرئ بالألف وبالياء ، وأما الألف التي بعد الراء فحذفت للاختصار اتفاقاً .

وأما كلمة لشاء في الكهف فرسم بزيادة ألف بين الشين والياء وعللوه بأنها علامة الفتح في الخط القديم ، ونقل عن بعضهم أن كلمة شيء رسمت كذلك في بعض المصاحف في جميع القرآن ، والأشهر الأول وعليه العمل ولورسم حرف الكهف بدون ألف لما كان خطأ لورود رسمه كذلك .

وأما كلمة نجى من نجى المؤمنين فسبق الكلام عليها .

وأما حذف الياء من ننج المؤمنين ثانياً يونس فمتفق عليه ، ولذا وقف كل القراء عليه بحذفها تبعاً للرسم إلا يعقوب فإنه كان يقف بإثباتها للدلالة على الأصل .

س ١٨ : المعروف أن همزة اختراعها الخليل بن أحمد القراهيدي المتوفى عام ١٧٠ هجرية فلم تكن إذاً موجودة في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فلم تكتب همزات في المصحف الأميري على القواعد الإملائية ، فمثلاً كلمة أفرئتم كتبت همزة الثانية على السطر ، وكذلك أريت الذي مع أنها مفتوحتان وما قبلهما مفتوح ، وكلمة أاتم كتبت همزة الأولى على السطر فلم تكتب على الألف مثل أيطمع ، ولم تكتب همزة الثانية من أعنا على الياء مثل : أنذا ، وكتباها مكسورتان وما قبلهما مفتوح .

ج : همزة التي اختراعها الخليل هي المعروفة عندنا بالقطعة وتصور عند المغاربة عيناً صغيرة هكذا ، وعند المشارقة رأس عين هكذا ، وليست هذه العلامة في مصحف عثمان لأنها من علامات الضبط الذي أحدث بعده .

والهمز في القرآن إما أن يكون همز قطع أو وصل .

فهمزة الوصل ترسم ألفاً ، ونص أهل الرسم على حذفها في خمسة أحوال :

(الأولى) أن تقع بين الواو والفاء وهمزة هي فاء الكلمة مثل : وأتوا وفاتوا .

(الثانية) أن تقع في فعل الأمر من السؤال بعد الواو أو الفاء نحو : وسل فسل .

(الثالثة) أن تقع في لام التعريف ، وشبهها بعد لام الابتداء أو الجر ، نحو :

للدار ، للذين .

(الرابعة) أن تقع في فعل بعد همزة الاستفهام ، نحو : أتخذتم ، أفترى .
(الخامسة) أن تقع في لفظ اسم الجرور بالباء إذا كان مضافا إلى لفظ الجلالة نحو :
سم الله .

وأما همزة القطع ، فالأصل في رسمها أن تكتب ألفا إذا وقعت أولا ، وإلا كتبت بصورة الحرف الذي تنول إليه في التخفيف أو تقرب منه ، فإن كانت تخفف ألفا أو كالألف فقياسها أن تكتب ألفا ، وإن كانت تخفف ياء أو كالياء فقياسها أن تكتب ياء ، وإن كانت تخفف واوا أو كالواو فقياسها أن تكتب واوا ، وإن كانت تخفف بالحاء بنقل أو غيره فقياسها الحذف .

وتفصيل هذا الأصل أن همزة القطع على قسمين : ساكنة ومتحركة ، والساكنة تقع وسطا وطرفا وترسم في الموضعين بصورة الحرف الذي منه حركة ما قبلها وترسم ألفا بعد الفتح وياء بعد الكسر ، وواوا بعد الضم نحو : أنشأتم ، واقرأ ، وجئتم ، ونبي ، واللؤلؤ ، والمتحركة تقع ابتداء ووسطا وطرفا ؛ أما التي تقع ابتداء فإنها ترسم ألفا لا غير بأي حركة تحركت نحو : أبصر ، إخراج ، أعينك ؛ وأما التي تقع وسطا ، فإن تحرك ما قبلها ترسم ألفا إذا كانت مفتوحة بعد فتح كسأل ، وواوا إذا كانت مضمومة بعد فتح كروف أو مفتوحة بعد ضم كموثلا ، وياء إذا كانت مكسورة بعد الحركات الثلاث ، أو متحركة بالفتح ، أو الضم بعد الكسر كيئسوا وسئلت ، وبارئكم ، وفئة ، وسنقرئك ، وتحذف إذا كانت مفتوحة وبعدها ألف ككتاب أو مضمومة بعدها واو ، كبءوكم ، ورءوس ، أو مكسورة وبعدها ياء كبئيس ، وإن سكن ما قبلها تحذف كيسيئون ، وسوء أخيه ، ونساءكم إلا إذا كانت مكسورة بعد ألف فإنها ترسم ياء ، نحو : قائم ، أو مضمومة بعدها فإنها ترسم واوا كهاؤم .

وأما التي تقع طرفا فإنها ترسم إذا تحرك ما قبلها بصورة الحرف الذي منه حركته بأي حركة تحركت هي كبدا ، وقرئ ، ويستهنئ ، وإن سكن ما قبلها لم ترسم نحو : مل ، والمرء ، وشئ ، وسوء ، وقروء .

هذا هو القياس في العربية وخط المصاحف العثمانية .

وجاءت أحرف في خط المصاحف خارجة عن هذا القياس لمعنى مقصود ووجه مستقيم يعرفه من قدر للسلف قدرهم .

ومن هذه الأحرف : كلمة رأيت كيف جاءت بعد همزة الاستفهام نحو : أَرَأَيْتَ ، أفرءيت ، أَرَأَيْتَ ، أفرءيت فإنه رسم في بعض المصاحف بحذف الألف التي بعد الراء ، وقد ضبطت في المصحف الأميري بوضع القطعة مكانها لتدل عليها ، ولعلها حذفت لاحتمال القراءة فإنها قرئت بالهمزة وبتركها .

ومنها أنذرتهم وبابه فإنه رسم في المصاحف بألف واحدة ، وهل هي الأولى أو الثانية ؟ الذي جرى عليه العمل في المصحف الأميري أنها الثانية ، ولذا وضعت قطعة الضبط مكان همزة الاستفهام لتدل عليها .

ومنها أنا ونحوه من كل ما اجتمع فيه همزتان : مفتوحة ومكسورة والأولى للاستفهام فإنه رسم في بعض المواضع بحذف صورة الهمزة الثانية وهي الياء ، وقد وضع علماء الضبط القطعة مكانها لتدل عليها .

وقد استوفى علماء القراءة والرسم ما خرج عن الأصل من باب الهمز في كتبهم فارجع إليها إن شئت .

س ١٩ : لم لم تكتب إسم لفهم مثل لإيلف ، أى هكذا إيلفهم إلى غير ذلك من الكلمات المخالفة لقواعدنا والتي لم تأت على طريقة واحدة في كتابة المصحف العثماني .

هذا ، ولا يليق أن ننسب السهو أو الجهل إلى الصحابة الذين أسند إليهم أمر كتابة المصاحف وهم من كبار الصحابة ، ولا أن نقول : إن قواعد كتاباتهم كانت ناقصة ، ولا يعقل أن أمة كالأمة العربية لاتضع اصطلاحاً ورموزاً لكتاباتهم يفهم بها المعنى المقصود على الوجه الأصح .

وإذا قيل : إن في رسم القرآن سرّاً وإعجازاً كلفظه المقروء لم تهتد إليه العقول ،

فما قيمة هذا القول ؟ والمشهور أن واضع الرسم هم نفر من الصحابة وهم بشر وضعوه بحسب معرفتهم لا بأمر الشارع صلى الله عليه وسلم .

وحبذا لو أمرتم بالاطلاع على مخطوطات القرن الأول والثاني الموجودة بدار الكتب العربية حتى يعلم هل كتاباتهم العامة مخالفة لقاعدة رسم المصحف العثماني ، أم أن خطه لا يقاس عليه حتى في زمانهم .

ج : قوله تعالى لا يَلْفُ لا يَلْفُ قَرِيشٍ إِيَّاهُ فَفَهِمُ ، انفقت المصاحف العثمانية على إثبات الياء في لا يَلْفُ وحذفها من إِيَّاهُ فَفَهِمُ ، وحذف الألف التي قبل الفاء فيهما ، ووجه حذف ياء إِيَّاهُ فَفَهِمُ الاختصار كالألف . وقال بعضهم : واختلف في الياء من يَلْفُ فَفَهِمُ فمنهم من كتبها ياء مملوطة متصلة باللام هكذا يَلْفُ فَفَهِمُ ، ومنهم من كتبها معقوفة هكذا إِيَّاهُ فَفَهِمُ اهـ والعمل على الحذف ، ولعله للإشارة إلى قراءة أبي جعفر فإنه قرأها بدون ياء ، ويمكن توجيه إثبات الياء في لا يَلْفُ على قراءة الشامي بحذفها لفظاً بأنها علامة الكسر في الخط القديم .

هذا ، وفي الأجوبة المتقدمة ما يغني عن الإجابة عن بقية هذا السؤال ، والله سبحانه وتعالى أعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم .

هذا ، وكما أرسلنا لمشيخة المقارئ المصرية أرسلنا أيضاً جملة أسئلة أخرى لشيخنا العلامة المحدث الشهير الشيخ محمد حبيب الله بن ما يابى الشنقيطي رحمه الله تعالى صاحب كتاب إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام ، وكتاب زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم وغيرهما من الكتب العلمية القيمة ، وكان في ذلك الوقت مقياً بمصر ومدرسا بالأزهر الشريف فجاونا منه الجواب قبل وفاته بعام واحد ، فرأينا وضع جوابه لنا في هذه الطبعة أيضاً ، ولولا أن الأسئلة التي أرسلناها له ضاعت منا لذكرناها هنا ، وإليك جواب شيخنا المذكور رحمه الله تعالى بتاريخ ١٣ محرم عام ١٣٦٢ للهجرة وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه وكل من بإحسان تلاه . إلى ولدنا العزيز المحبوب الشيخ محمد طاهر الكردي الخطاط حفظه الله .

أما بعد ، فالجواب عما يظهر من جوابه ، والله تعالى هو الهادى والموفق لصوابه : هو أن كتابة المصحف العثماني على ثلاثة أقسام : قسم منها تكون الكلمة منه فيها قراءتان أو أكثر ، فيغلب جانب قراءة واحدة منها في المصحف كالصاد في الصراط ، فإنه كتب في جميع المصاحف بالصاد ولو على قراءة من يقرؤه بالسین كما في رواية قبل عن المكي ابن كثير ، فإنه مكتوب فيها بالصاد وهو يقرؤها بالسین .

القسم الثاني : هو ما رسم صالحا للقراءتين أو القراءات ، كقوله تعالى : (وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى) وكما في قوله تعالى : (فَكَيْهُونُ) بحذف الألف فيهما فإن كتابة هاتين الكلمتين في المصحف دون ألف ، قابلة لقراءتهما بالألف ولقراءتهما بدون ، فمن يقرؤها بالألف يلحقه ضبطاً فوق السطر ، ومن يقرؤها بدون ألف يترك الألف ويأتى بالشكل المناسب للكلمة كإسكان السین بعد فتح الهمة في قراءة حمزة في « أسرى » .

والقسم الثالث : هو ما اختلفت فيه القراءات بزيادة كلمة مستقلة كما في قوله تعالى : (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) في سورة التوبة على قراءة ابن كثير ، وكقوله تعالى : (مَا عَمِلْتُمْ أَيْدِيهِمْ) بإثبات هاء الضمير في قراءة وحذفه في قراءة أخرى ، فمثل هذا القسم الثالث اختلفت فيه كتابة المصاحف العثمانية فكتبت بحسب كل قراءة فيها تلك الزيادة أو ترك الزيادة ، فكتب مصحف بقراءة أخذ بها ابن كثير فيها زيادة لفظة « من » قبل (تحتها الأنهر) في سورة التوبة ، وكتبت مصاحف بلفظ (تجرى تحتها الأنهر) بدون « من » فيها وهكذا في المثال الثاني الذي هو (عملته) و (عملت) وهذا من إعجاز القرآن ، وكله لم يقع باجتهاد من الصحابة كما زعمت أنت وزعمه كل من يجهل هذا الفن ، فإن الرسم العثماني توقيفي كتب كله في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبإملائه ، فكان يقول لكتائب الوحي « زيد بن ثابت » رضى الله عنه اكتب كلمة كذا بالواو دون كلمة كذا في الموضع الفلاني ، واكتب « فيما » في موضع كذا منفصلة وفي موضع كذا متصلة ، واكتب « مما رزقناكم » في المناقنين منفصلة ، وفي غير هذا الموضع متصلة ، واكتب

« لشأى إني » بزيادة ألف قبل الياء وحذفه في « شئ » غيرها ، وبهذا تفهم سقوط قولك ، ولم يقل لهم اكتبوا العلماء في قوله : « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » هكذا الخ قولك ، مع أن الواقع أنه صلى الله عليه وسلم قال لهم ذلك فيها وفي غيرها . فالخاصل أن رسم المصحف العثماني توقيفي بإجماع لأنه كتب هكذا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبإملائه ، فتارة أملى عليهم كتابة « تجرى من تحتها » مثلاً بزيادة « من » وتارة أمرهم بكتبتها بدون « من » وكل هذا تواتر عنه ، وهذا من أسرار رسم المصحف العثماني ، وإنما نسب لعثمان لأنه رتب في زمن خلافته وبأمره ، لأن الصحابة اصططحوا على كتابته في زمنه فقط كما ظننته ، ولو تأملت رسالتى المسماة « إيقاظ الأعلام » حق التأمل لفهمت هذا كله منها وعلمت أن الإعجاز ليس مختصاً بالقراءة ، بل كذلك رسم المصحف معجز ، وقد وقع ابن خلدون في مقدمته في مثل ما وقعت فيه ، فظن أن كتابة القرآن في المصاحف العثمانية باجتهاد من الصحابة حتى تخبط تخبط الجاهلين ، ووقع في الصحابة ووصفهم بجبل الكتابة حيث خالفت كتابتهم أصول الرسم في كلمات عديدة ، وهو فهم مخالف لإجماع الأمة . والعجب من قولك إنك لم تفهم أن الرسم معجز وأن فيه سرا لم تهتد إليه العقول ، فإذا لم تهتد العقول لسره فكيف تفهمه أنت وإن لم تفهمه تتعجب ، فالعجب إنما هو منك أيها الأستاذ الأديب ، فليتك الآن في مكان لنا قريب حتى أعرك لك أذنك لتفهم العلم ، كما قاله الشافعى لإسحاق بن راهويه لما أخممه حين مناظرتهما في بيوت مكة ، هل هى لأهلها أم لجميع المسلمين . وقولك هل يطلق على من كتب مصحفاً بقراءة من القراءات المعتبرة شرعاً ثم طبعه ونشره أنه خالف رسم المصحف العثماني وارتكب محظوراً أم لا ، فيه إبهام . فلو قلت بدل المعتبرة المتواترة كان جوابك سهلاً ، وهو أن فاعل ذلك وافق رسم المصحف العثماني ولم يخالفه حيث لم يخالف رسم الصحابة الذى أقرهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأملاه عليهم كلمة كلمة من أوله إلى آخره ، ولو لم يجمع في مجلد واحد في حياته عليه وعلى آله الصلاة والسلام ، فالخاصل أيها الابن البار أنك بعد كتابة المصحف الشريف

ترورنا حتى تفهم ما بقى لك من حكم أسرار رسم المصحف الشريف ، وأنتك لا تحيد عما
رسم وطبع في مصر في أيام الملك فؤاد خاصة لا ما قبله ولا ما طبع في زمن الدولة العثمانية
باسطنبول مما يسمى بمصحف حافظ عثمان ، نعم كان يوجد في جميع المغرب رسم المصحف
العثماني بقراءة نافع ، وهو الذي استمدت منه لجنة شيخ القراء بمصر في زمن الملك فؤاد
رحمه الله ، واستمدت من مؤلفات علم رسم المصحف كمورد الظلمآن ، وشرحه لابن عاشر
المالكي صاحب « المرشد المعين » وكالعقيلة للشاطبي وغيرهما من كتب علم رسم المصحف ،
ومن جملتها رسالتي المسماة « بإيقاظ الأعلام » فقد فرّق شيخ القراء الشيخ الحداد رحمه الله
مئات منها في القطر المصري .

هذا جواب أسئلتك على سبيل الاختصار ، وإني أسأل الله لي ولك التوفيق للحق
والتمهيد المختار .

قاله بلسانه وأمضاه بينانه

خادم السنة

محمد حبيب الله الشنقيطي

في ١٣ محرم سنة ١٣٦٢ هـ

وهنا أقول : أستغفر الله العظيم من هفوة القلم ، وزلة القدم فإنه غفور رحيم ، وليكن ختام الكتاب بأربع آيات من نظمي إقراراً بوحداية الله ، راجياً منه تعالى أن يثبتني بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة بفضلہ ورحمته وهي :

الْأَمْرُ لِلَّهِ لَيْسَ الْأَمْرُ لِلْفَلَكَ وَلَا لِزَيْدٍ وَلَا عَمْرٍو وَلَا مَلَكٍ
مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَكُنْ أَبَدًا فَمَا هُنَاكَ مَخْلُوقٌ بِمُشْتَرِكٍ
تَنَزَّهَ اللَّهُ عَنِ أَهْلِ وَعَنْ وَلَدٍ وَعَنْ شَرِيكَ فَمَا فِي الْأَمْرِ مِنْ شَكٍّ
إِلَيْهِ وَجْهَتُ وَجْهِي دَائِمًا أَبَدًا لَهُ صَلَاتِي وَصَوْنِي مُخْلِصًا نُسُكِي

نسأل الله الحى القيوم الذى لا يموت ، أن يعاملنا بما هو أهله ، وأن يسترنا فى الدارين ويجعلنا من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

ربنا آتتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، وأدخلنا الجنة مع الأبرار آمين .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون ،
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ؟

المؤلف

منظومة في بناء الكعبة المشرفة

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد أبى القاسم الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

(أما بعد) فلما فتح الله تعالى علينا بتأليف كتابنا «مقام إبراهيم عليه السلام» وتكلمنا فيه عن بناء البيت الحرام فى أدواره الأربعة فقط التى هى : بناء إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ، وبناء قریش ، وبناء عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ، وبناء الحجاج ابن يوسف الثقفى .

ووفقنا إلى ابتكار صور الكعبة المشرفة فى هذه البنايات الأربعة التى جاءت رسومها مطابقة للواقع حسبا ورد فى كتب التاريخ المعتمدة ، والتى ظهرت الآن مطبوعة لأول مرة فى التاريخ ، حيث لم يسبق لأحد قبلنا أن اهتدى إلى وضع مثل هذه الرسوم والله الحمد مع سهولة المأخذ والاستنباط .

رأينا أن نعمل منظومة لطيفة فى وصف هذه البنايات الأربعة ، لأن النفوس المهذبة تستحلى سماع الشعر وإنشاد القريض ، والطلاب الأذكياء ترسخ فى عقولهم الأبيات الشعرية أكثر من النثریات ، وبالأخص ما كان منها سهل الوزن لطيف المعنى .

فلما تمت المنظومة طبعناها لأول مرة فى الهند فى أوائل عام ١٣٦٧ هـ ثم وفقنا الله تعالى لإعادة طبعها فطبعناها بمصر القاهرة سنة ١٣٧١ بعد أن زدنا فيها زيادات مهمة كثيرة .

ثم رأينا وضعها أيضا فى كتابنا هذا «تاريخ القرآن» بعد أن زدنا فيها بعض أبيات

أيضا ، وهى أيضا مذكورة فى كتابنا « مقام إبراهيم عليه السلام » المطبوع بمطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر القاهرة ، فكانت المنظومة هذه المرة بالزيادات وافية المعنى والمراد .

ولقد رأينا أن نُحَلِّيَ هذه الرسالة بصور الكعبة المشرفة التى استنتجناها من الروايات التاريخية الوثيقة زيادة فى الإيضاح والتبيين .

أما عدد بناء الكعبة فأحد عشر :

- (١) الملائكة . (٢) ثم آدم . (٣) ثم شيث . (٤) ثم إبراهيم الخليل .
- (٥) ثم العاقلة . (٦) ثم جرهم . (٧) ثم قصي . (٨) ثم قريش .
- (٩) ثم عبد الله بن الزبير . (١٠) ثم الحجاج بن يوسف الثقفي .
- (١١) ثم السلطان مراد الرابع فى سنة ألف وأربعين هجرية .

نسأل الله حسن الختام والرضا ، والتوفيق والقبول ، والعفو والعافية ، والنعم الوافية فإنه أكرم مسئول ، وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا
نَشْكُرُهُ شُكْرَ الذَّلِيلِ الْمُفْتَقِرِ إِلَى الْعَزِيزِ وَالْغَنِيِّ الْمُقْتَدِرِ
سُبْحَانَهُ جَلَّ تَعَالَى اللَّهُ
مَنْ التَّجَا إِلَيْهِ لَا يَنْسَاهُ
ثُمَّ صَلَاتُهُ مَعَ السَّلَامِ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ الْكَرَامِ
وَبَعْدُ هَذِي نُبْدَةُ لَطِيفَةٍ
وَطُرْفَةٌ بِدِيعَةٍ ظَرِيفَةٍ
فِي صِفَةِ الْبِنَاءِ لِبَيْتِ اللَّهِ
تَعْظِيمُهُ فَرَضٌ بِلَا تَنَاهِي

كُنَّا طَبَعْنَا هَذِهِ الْمَنْظُومَةَ
ثُمَّ أَعَدْنَا طَبَعَهَا مَنْظُومَةً
مِنْ بَعْدِ أَنْ زِدْنَا عَلَيْهَا نَظْمًا
بِبَعْضِ أَبْيَاتِ تَزِيدُ الْفَهْمَا
وَقَدْ جَعَلْنَا حَجْمَهَا صَغِيرًا
لَكِنْ حَوَتْ مِنْ أَمْرِهَا كَثِيرًا
وَمَا رَأَيْنَا فِي بِنَاءِ الْكَعْبَةِ
مَنْظُومَةً تَكُونُ كَالْقِلَادَةِ
فَنَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى التَّوْفِيقِ
فَقَدْ أَرَانَا مَسَلَكَ الطَّرِيقِ

إِيمَانُنَا أَقْوَى مِنَ الصَّخْرِ الْأَصَمِّ
يَعْجِزُ عَنْ تَغْيِيرِهِ جَرَى الْقَلَمِ
فَالْقَلْبُ عَامِرٌ بِذِكْرِ اللَّهِ
وَالْفِكْرُ سَابِغٌ بِأَيِّ اللَّهِ
وَالصَّادِرُ مَمْلُوءٌ بِنُورِ وَحْيِهِ
وَكُلُّ ذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ذِي الْكَرَمِ

تَحَدُّثًا بِنِعْمَةِ اللَّهِ إِنَّمَا لَقَدْ ذَكَرْنَا مَا تَرَاهُ عَلَيْنَا
وَنَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الْحَسَدِ وَغَمَزِ نَاقِدٍ وَنَافِثِ الْعَمَدِ

* * *

نَسْأَلُهُ زِيَادَةَ التَّوْفِيقِ حَتَّى نَجُوزَ كَامِلَ الطَّرِيقِ
وَأَنْ نَكُونَ فِي نَشَاطٍ مُسْتَمِرٍّ لِمَطَاعَةِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْمُقْتَدِرِ
وَقُوَّةٍ خَارِقَةٍ لِلْعَادَةِ حَتَّى نُؤَدَّى وَاجِبَ الْعِبَادَةِ
عَسَاهُ أَنْ يَقْبَلَنَا بِفَضْلِهِ وَأَنْ يُحِيطَنَا بِجُودِ بَذْلِهِ
فَإِنَّهُ رَبُّ عَظِيمِ الشَّانِ كَثِيرُ عَفْوٍ وَاسِعُ الْإِحْسَانِ
فَكَيْفَ لَا نُحَسِّنُ الظَّنَّ بِهِ وَاللَّهُ عِنْدَ حُسْنِ ظَنِّ عَبْدِهِ

صفة بناء

إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام الكعبة



بني سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام الكعبة بحجارة بعضها فوق بعض من غير
طين ولا حصى ولم يجعل لها سقفا ولا بابا ولا كسوة .

وانظر تفصيل بنائه لها في كتابنا (مقام إبراهيم عليه السلام) المطبوع بمطبعة
مصطفى الباقي الخلي وأولاده بمصر ، وقد ابتكر هذا الرسم مؤلف هذا الكتاب
من كتب التاريخ المتعمدة .

قَدْ بَوَّأَ اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ	مَكَانَ بَيْتِهِ فَكُنْ فِيهَا
فَجَاءَ إِلَى مَكَّةَ بِالْبُرَاقِ	دَعَا لَهَا بِكَثْرَةِ الْأَرْزَاقِ
مَا كَانَ فِيهَا حَيَوَانٌ أَوْ بَشَرٌ	وَلَا مِيَاءٌ أَوْ طَعَامٌ مُعْتَبَرٌ
وَحَيْثُ أَتَى ابْنَهُ مَعَ أُمِّهِ	فِيهَا رَأَى كَرَامَةً مِنْ رَبِّهِ
أَخْرَجَ مَاءَ زَمْزَمَ لِيَشْرَبَا	مِنْهُ وَيَسْقِيَا الضُّيُوفَ الْعَرَبَا



(صورة بئر زمزم من الداخل)

فَعَمَّرَتْ مَسْكَةً مِنْ بَعْدِهِمَا وَصَارَ إِسْمَاعِيلُ فِيهَا عِلْمًا
كَمْ زَارَهُ أَبُوهُ إِبرَاهِيمُ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالتَّسْلِيمُ
ثُمَّ أَنَاهُ الْأَمْرُ مِنْ رَبِّ السَّمَاءِ أَنْ يَبْنِيَ الْبَيْتَ الشَّرِيفَ فَافْتَهَمَا
فَقَامَ يَبْنِي بَيْتَهُ الْحَرَامَا ثُمَّ دَعَا لِحُجَّتِهِ الْأَنَامَا
سَاعَدَهُ فِي ذَلِكَ إِسْمَاعِيلُ وَهُوَ النَّبِيُّ الصَّادِقُ النَّبِيلُ
حَتَّى إِذَا طَالَ بِهِ الْجُدْرَانُ وَمَا أَتَمَّ حُدَّهُ الْبُنْيَانُ
قَامَ عَلَى الْقَامِ وَهُوَ ارْتِفَعَا بِهِ فَأَكْمَلَ الْبِنَا وَأَبْدَعَا
وَرَسَخَتْ قَدَمُهُ عَلَى الْحَجَرِ لِيَوْمِنَا هَذَا يُرَى فِيهِ الْأَمْرُ
هَذَا الْمَقَامُ عِنْدَنَا مَحْفُوظُ مُعَظَّمٌ مُحْتَرَمٌ مَلْحُوظُ
مَكَانُهُ أَمَامَ بَيْتِ اللَّهِ يَوْمُهُ الْقَاصِدُ بَانْتِبَاهُ
قَدِ اتَّخَذْنَاهُ مُصَلًّى حَسْبَمَا جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ حَقًّا فَاعْلَمَا
وَكُلُّ ذَا مُعْجِزَةِ الْخَلِيلِ مَكْرُمَةٌ مِنْ رَبَّنَا الْجَلِيلِ
وَفِي الْبُخَارِيِّ جَاءَ بِالتَّفْصِيلِ بِنَا بَيْتَ رَبَّنَا الْجَلِيلِ
تَرَاهُ فِي كِتَابِ بَدْءِ الْخَلْقِ فَانْظُرْهُ وَاتَّبِعْ طَرِيقَ الْحَقِّ

بَنَاهُ حَسَبَ مَا بَنَاهُ آدَمُ فَكَمْ بِهِ طَافَتْ قَدِيمًا أُمُّ
 بَنَاهُ بِالرَّضَمِ بَغِيرِ طِينٍ وَقَدْ أَتَى تَعْظِيمُهُ فِي الدِّينِ
 حَقَرَ فِي بَاطِنِهِ خِزَانَهُ لِكُلِّ مَا يَهْدَى لَهُ صِيَانَهُ
 وَجَعَلَ الْحِجَرَ إِلَى جَانِبِهِ مُدَوَّرًا كَمَا هُوَ الْآنَ بِهِ
 وَجَعَلَ الْبَابَ بِلِصْقِ الْأَرْضِ وَقَاسَهُ بِالطُّولِ ثُمَّ الْعَرْضِ
 وَمَالَهُ سَقْفٌ وَلَا مِيزَابٌ وَلَا لَهُ بَابٌ وَلَا بَوَّابٌ

* * *

وَإِنَّ رَبَّنَا تَعَالَى شَأْنُهُ أَكْرَمَ بَيْتَهُ وَأَعْلَى شَأْنُهُ
 مِنْ سَالِفِ الْأَحْقَابِ وَالْأَرْمَانِ حَتَّى تَقُومَ سَاعَةُ الزَّمَانِ
 أَحَاطَهُ بِأَرْوَعِ الْأَسْرَارِ وَحَفَّهُ بِالْعِزِّ وَالْإِكْبَارِ
 وَخَصَّهُ بِبَيْتِهِ وَعِظَمِهِ مَالَهُ لَوْلَاكَ مِثْلُهُ مِنْ عِظَمِهِ
 وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ مَا مَعْنَاهُ يُنَزِّلُ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ
 لِبَيْتِهِ الْمُخْفُوفِ بِالْكَرَامَةِ فِي كُلِّ يَوْمٍ بَلْ وَكُلِّ لَيْلَةٍ
 عِشْرِينَ رَحْمَةً مُضَافًا لِمَا هُوَ يَنَالُهَا قَوْمٌ هُمْ خَيْرُ فِتْنَةٍ
 مُنْقَسِمٌ لِلطَّائِفِينَ نَصْفُهَا وَلِلْمُصَلِّينَ يَخْصُصُ لِمِثْلِهَا
 وَالنَّاطِرُونَ الْبَيْتَ يَأْخُذُونَ عِشْرِينَ وَهُوَ سُدُّهَا يَقِينًا
 وَالْحِجَرُ الْأَسْوَدُ فَضْلُهُ أَشْهَرُ بِكَثْرَةِ اسْتِلَامِهِ جَاءَ الْخَبَرُ
 كَمْ مِنْ نَبِيٍّ وَرَسُولٍ قَبْلَهُ وَكَمْ تَقِيٍّ مُخْلِصٍ اسْتَلَمَهُ

صفة بناء

قريش الكعبة قبل البعثة بخمس سنين



بنت قريش الكعبة بالطين والحجارة ، وقد اشترك رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم في بنائها ، فكان يحمل الحجارة على كتفه وهو الذي وضع الحجر الأسود في محله بيده الشريفة ، وانظر تفصيل بنائهم لها في كتابنا (مقام إبراهيم عليه السلام) المطبوع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ولقد ابتكر هذا الرسم مؤلف هذا الكتاب من كتب التاريخ المعتمدة .

وَقَبْلَ بَعْتِ النَّبِيِّ قَدْ بَنَتْ قُرَيْشُ الْكَعْبَةَ حِينَ وَهَنْتُ
فَجَعَلُوا مِنْ أَطْيَبِ الْأَمْوَالِ حَتَّى يُقِيمُوهَا مِنْ الْحَالَالِ

وَنَقَّضُوا مِنَ الْأَسَاسِ الْأَوَّلِ	جَدَّارَهَا الشَّامِي بَغِيرِ جَدَلِ
فَاتَّسَعَ الْحِجْرُ بِذَلِكَ النَّقْصِ	وَكَانَ قَبْلُ ضَيْقًا كَالْخُرْصِ
وَجَعَلُوا ارْتِفَاعَهَا إِلَى السَّمَاءِ	وَرَفَعُوهُ ضِعْفَ مَا تَقَدَّمَ
وَعَمِلُوا أَيْضًا لَهَا رُكْنَيْنِ	كَسَابِقِ الْعَهْدِ بَغِيرِ مَنِينِ
وَقَدْ أَدَارُوا حَائِطًا بِالْحِجْرِ	مُدَوَّرًا مُكَلَّلًا بِالطُّهْرِ
وَسَقَّفُوهَا خَشَبًا مُلَامًا	وَجَعَلُوا دَاخِلَهَا ادْعَامًا
وَرَكَّبُوا الْمِيزَابَ فَوْقَ السَّطْحِ	مَصْبُوهً فِي الْحِجْرِ خَوْفَ النَّضْحِ
ثُمَّ كَسَوْهَا كِسُوءَ جَمِيلَةٍ	لَا ثِقَّةَ فَارُوا بِذِي الْفَضِيلَةِ
وَحَضَرَ الْبِنَاءَ سَيِّدُ الْبَشَرِ	مُسْتَسْمِلًا فِي كَتِفِهِ حَمْلُ الْحِجْرِ
فَوَضَعَ الرُّكْنَ إِلَى مَحَلِّهِ	بِيَدِهِ وَقَدْ رَضُوا بِحَلِّهِ
صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّنَا وَمَمْلَأَ	مَا دَامَتِ الْأَرْضُ وَمَادَامَ السَّمَاءُ

صفة بناء

عبد الله بن الزبير الكعبة



بنى عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما الكعبة بعد أن هدمها وكشف عن أساس إبراهيم عليه الصلاة والسلام وجعل لها بابين من جهتي الشرق والغرب وجعل لها أربعة أركان .

وانظر تفصيل بنائه لها في كتابنا (مقام إبراهيم عليه السلام) المطبوع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ولقد ابتكر هذا الرسم مؤلف هذا الكتاب من كتب التاريخ المعتمدة .

وَابْنُ الزُّبَيْرِ بَعْدَهُمْ بَنَاهَا حِينَ وَهَتْ وَضَعَفَتْ قَوَاهَا
عَلَى أَسَاسِ مَا بَنَى الْخَلِيلُ حَيْثُ لَهُ قَدْ ثَبَتَ الدَّلِيلُ

فِي عَامِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ بَنَى وَشَكَرَ اللَّهُ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ
 فَرَادَهَا طُولًا إِلَى السَّمَاءِ سَبْعًا وَعِشْرِينَ بِلاَ امْتِرَاءِ
 وَجَعَلَ الْأَرْضَ كَانَ فِيهَا أَرْبَعَةٌ كَانَتْ إِلَى مَمَاتِهِ مُسْتَلَمَةٌ
 فِي كُلِّ رُكْنٍ فَتَحَةً بِسَطْحِهَا لِلثَّوْرِ وَالْهَوَاءِ فَافْهَمَ مَا بِهَا
 عَمَلَ سَطْحَيْنِ لَهَا أَقَامَةٌ بَيْنَهُمَا قِيَاسُ نَحْوِ قَامَةٍ
 وَوَضَعَ الْمِيزَابَ فَوْقَ سَطْحِهَا مَوْضِعَهَا الْأَوَّلَ مِنْ مَصَبِهَا
 يُصْعَدُ فَوْقَ سَطْحِهَا بِالدرَجَةِ عَمَلَهَا مِنْ خَشَبٍ مُعَرَّجَةٍ
 وَجَعَلَ الْبَابَيْنِ مِصْرَاعَيْنِ كَلِمَتُهُمَا بِالْأَرْضِ لاصِقَيْنِ
 فَبَابُهَا الشَّرْقِيُّ لِلدُّخُولِ وَبَابُهَا الْغَرْبِيُّ لِلْإِفْوَالِ
 عَطَّرَهَا بِعَنْبَرٍ وَمِسْكِ دَاخِلَهَا وَخَارِجَهَا بِالْمِسْكِ
 ثُمَّ كَسَاهَا كِسْوَةً مُعْتَبِرَةً لَانِقَةً بِالْكَعْبَةِ الْمُطَهَّرَةِ
 وَهَلَّلُوهَا وَكَبَّرُوهَا تَكْبِيرًا وَأَعْتَقُوهَا وَنَحَرُوهَا كَثِيرًا
 وَخَرَجُوهَا لِمَسْجِدِ التَّنْعِيمِ لِعُمْرَةٍ تَسْكِمِلَةَ النَّعِيمِ

صفة بناء

الحجاج بن يوسف الثقفي الكعبة



هدم الحجاج بن يوسف الثقفي من الكعبة ستة أذرع وشبرا ما يلي الحجر فقط ،
وبناها علي أساس قريش وسد الباب الغربي ، وانظر تفصيل بنائها لما في كتابنا :
(مقام إبراهيم عليه السلام) المطبوع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
ولقد ابتكر هذا الرسم مؤلف هذا الكتاب من كتب التاريخ المعتمدة .

ثُمَّ بَنَاهَا الثَّقَفِيُّ الْحَجَّاجُ	بَيْنَهُمَا قَدْ وَقَّعَ الْحَجَّاجُ
يَأْمُرُ عَبْدَ الْمَلِكِ الْمَرْوَانَ	فَقَامَ يَبْنِيهَا بِأَلَا تَوَانَ
فَهَدَمَ الْجِدَارَ صَوْبَ الْحِجْرِ	ثُمَّ بَنَاهَا كَقَرِيشٍ قَادِرٍ
فَاتَّسَعَ الْحِجْرُ كَمَا قَدْ كَانَ	وَوَسَّعَ النَّاسَ بِهِ مَكَانًا
رَسَدَ رِبَابَهَا الَّذِي فِي ظَهْرِهَا	وَرَفَعَ الْبَابَ الَّذِي فِي وَجْهِهَا

أَبْقَى لَهَا الْأَرْضَ كَانَ لَمْ يُغَيَّرَا أَرْبَعَةَ كَانَتْ وَمَا زَالَتْ تُرَى
وَقَدْ بَنَى فِي بَطْنِهَا ذَلِكَ الدَّرَجَ بِحَجَرٍ وَلَيْسَ فِيهِ مِنْ حَرَجٍ
بُنْيَانُهُ كَانَ لِعَامٍ أَرْبَعِ مِنْ بَعْدِ سَبْعِينَ فَأَرْخَ وَاسْمَعِ
ثُمَّ ابْنُ مَرْوَانَ لَهْذِمَهَا نَدِمَ بَعْدَ دَلِيلِ ابْنِ الزُّبَيْرِ أَنْ عَلِمَ

صفة بناء

السلطان مراد الرابع الكعبة

وَأَخِرُ الْبِنَاءِ بِنَا بِالْوَصْفِ فِي عَامِ أَرْبَعِينَ بَعْدَ الْأَلْفِ
بِسَبَبِ السَّيْلِ الَّذِي قَدْ دَخَلَ لِلْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى وَصَلَ
لِقُفْلِ بَابِ الْكَعْبَةِ الْمَشْرِقَةِ فَوَقَعَتْ مِنْهَا الْجِدَارُ الْمُتَلَفَةُ
فَقَامَ بِالتَّعْمِيرِ سُلْطَانُ الْوَرَى مُرَادُ بْنُ أَحْمَدٍ خَرَّارَا
مِنْ آلِ عُثْمَانَ الْكَرَامِ الثَّجَبَا فَقَدْ رَوَى التَّارِيخُ عَنْهُمْ عَجَبَا
فَكَانَ مَا بَنَاهُ وَفَقَ مَا بَنَى الثَّقَفِيُّ الْحَجَّاجُ فَارَا بِالْمُنَى
مِنْ غَيْرِ مَا زِيَادَةٍ أَوْ نَقْصِ رَوَى لَنَا التَّارِيخُ ذَا بِالنَّصِ
وَمُنْذُ ذَلِكَ الْعَصْرِ حَتَّى يَوْمِنَا مَا قَدْ جَرَى شَيْءٌ لَيْتَ رَبَّنَا
أَحَاطَهُ اللَّهُ بِشُوبِ الْعَظَمَةِ وَقَدْ حَمَى حُدُودَهُ وَحَرَمَهُ

فَهَذِهِ خُلَاصَةٌ مُخْتَصَرَةٌ جَاءَتْكَ فِي مَنْظُومَةٍ مُسْطَرَّةٌ
 تُنَبِّئُكَ عَنْ بِنَاءِ بَيْتِ اللَّهِ قُرَّةَ عَيْنِ الْمُؤْمِنِ الْأَوَّاهِ
 وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَرَى التَّفْصِيلَ بِعَيْنِهِ وَيَحْفَظَ الْمَقُولَ
 فَلْيَقْرَأِ التَّارِيخَ حَتَّى يَنْظُرَا بِنَفْسِهِ عَلَى الَّذِي قَدْ غَبَرَا
 وَإِنَّمَا الْبَيْتُ جَلِيلُ الْقَدْرِ وَنُورُهُ سَارَ كَصُورِ الْبَدْرِ
 قَدْ وَضَعَ اللَّهُ مِنَ الْأَسْرَارِ فِيهِ فَلَا تَخْفَى عَلَى الْأَبْرَارِ
 أَحَاطَهُ بِالْبِرِّ وَالْإِجْلَالِ وَكَيْفَ وَهُوَ بَيْتُ ذِي الْجَلَالِ
 سُبْحَانَهُ مِنْ خَالِقِ عَظِيمِ جَلَّ تَعَالَى اللَّهُ مِنْ حَلِيمِ
 مَنْ سَلَّمَ الْأَمْرَ إِلَيْهِ سَلَامًا وَمَنْ دَعَاهُ مُخْلِصًا مَانِدِمًا
 وَالْمَنْبَرُ الَّذِي تَرَاهُ قَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ دَوْمًا دَائِمًا
 مِنْ الرُّخَامِ الْأَبْيَضِ الشَّفَافِ صُنْعَ بَدِيعِ فَائِقِ الْأَوْصَافِ
 مُزَخْرَفٌ مُنْقَشٌ بِجَمِيلِ لَيْسَ لَهُ فِي شَكْلِهِ مَثِيلِ
 هُوَ الَّذِي أَرْسَلَهُ السُّلْطَانُ يُدْعَى (سُلَيْمَانُ) لَهُ الْأَمَانُ
 نَجْلُ (سَلِيمِ) يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَلَهُمَا حَيْثُ هُمَا قَدْ أَحْسَنَا
 فِي عَامِ سِتِّينَ وَسِتَّةِ أَضْفِ إِلَيْهِ تَسْعَمَانَةِ فِيهِ عُرِفَ

قصيدة للمؤلف في الدعوات وتاريخ نظمها

نَظَمَهَا طَاهِرُ الْكُرْدِيِّ لَقَبُهُ الْخَطَّاطُ وَالْمَكِّيُّ
 كَتَبَهَا بِحُطَّةِ الْجَمِيلِ حُفِظَ مِنْ حَاسِدِهِ الثَّقِيلِ
 فِي غُرَّةٍ مِنَ الرَّبِيعِ الْأَوَّلِ فِي عَامِ سِتِّينَ وَسَبْعِ عَوَّلِ
 ثُمَّ ثَلَاثِمِائَةٍ وَأَلْفِ عَامَلَهُ اللَّهُ بِشَقَى اللَّطْفِ
 وَزَادَ فِي تِسْعِ وَسِتِّينَ بِهَا بَعْضَ زِيَادَاتِ قَتَمِ مَا بِهَا
 أَعْمَلَهُ مِنَ الْهَوَى مُجَرَّدَةً يَرْجُو مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ مَدَدَهُ
 وَالْعَفْوَ وَالرَّاحَةَ عِنْدَ الْمَوْتِ وَالرِّزْقَ وَالْخَيْرَ وَحُسْنَ الْبَخْتِ
 وَالسَّتَرَ وَالصَّحَّةَ ثُمَّ الْعَافِيَةَ وَوَافِيَةَ
 يَسْأَلُهُ الثَّبَاتَ جَوْفَ الْقَبْرِ وَالْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ يَوْمَ الْحَشْرِ
 وَالْأَمْنَ وَالْأَمَانَ فِي الدَّارَيْنِ وَالْيُسْرَ فِي أُمُورِهِ بِالْهَيْنِ
 وَأَنْ يَكُونَ قَلْبُهُ وَنَفْسُهُ كَانِمِهِ وَأَنْ يَدُومَ أُنْسُهُ
 وَسَتَرَ اللَّهُ لَهُ غُيُوبَهُ وَوَالِدَيْهِ وَعَفَا ذُنُوبَهُ
 وَجَعَلَ الْبَاقِيَ مِنْ حَيَاتِهِ أَحْسَنَ مَا مَرَّ إِلَى عَمَاتِهِ
 تَحْمَدُهُ فِي الْبَدَأِ وَالْخِتَامِ نَشْكُرُهُ حَقًّا عَلَى الدَّوَامِ
 فَكَمْ لَهُ مِنْ نِعَمٍ لَا تُحْصَى تَزْدَادُ بِالشُّكْرِ كَمَا جَا نَصًّا
 فَهُوَ الْكَرِيمُ الْمُحْسِنُ الْعَظِيمُ خَالِقُنَا الرَّحْمَنُ وَالرَّحِيمُ
 الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ وَالسَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّمُ الْعَالَمُ
 وَأَشْرَفُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ الْكَرَامِ
 مُحَمَّدٍ مِنْ لَأَنبِيَّ بَعْدَهُ أَيْدُهُ اللَّهُ تَعَالَى وَخُدَهُ
 قَدْ تَمَّتِ الرِّسَالَةُ الْعَلِيَّةُ مِنْظُومَةً فِي الْكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ

حكم وأمثال للمؤلف تترأ

حركات المرء تدل على عقله . حفظ المعروف من المروءة . لا تُهد شينا لمن لا يقدره .
تقدير الأعمال يزيد نشاط العمال . مراعاة إحساس الأصدقاء تقوى حبل الصداقة . العزيز
إذا افتقر هان . دوام العزلة يُميت النشاط والهمة . الاعتراف بالإحسان من كمال الإنسان .
إذا افتقر العاقل تعرّض للزلل ، الاستبداد والقسوة يورثان البلادة والجفوة . هضم
الحقوق موجب للعقوق . لا ينهض المرء بفقره . الكريم إذا ضاقت به الأحوال
لم يختلط بالناس . المال أساس النجاح ، الكريم بلا مال كالشجاع بلا سلاح .
المال يستر العيوب . الأحمق واللئيم يضيع معهما المعروف . كثرة الخضوع نفاق .
لا يشقى من حالفه الحظ . لا تحترق ضعيف اليوم فقد يصبح غدا عظيما . لا تتودّد إلى
من لا يعتبرك . الفوضى عاقبتها الفشل . الصبور إذا انتقم بطش . الانهماك في العمل
يؤدى إلى الملل . من احترم غيره فقد احترم نفسه . الوظائف تكيف الرجال والرجال
تنهض بها .

وله أيضا نظما

كم عاقل فاضل تلقاه مضطربا وجاهل خامل تلقى به طربا
هذا له الحظ في الدنيا وذاك له عز من الله في أخراه قد وجبا

لقد استراح من الحياة وكدها ومن المغموم ورؤية الأحوال
من مات أو من جن أو متبتل لزم القناعة صادق الأحوال

دع الأمر تحت القضا والقدر فما ينفع العقل لا والحدز
 فمن رام سخطاً على ما جرى فذاك الكفور وشر البشر
 ومن سلم الأمر نال المني وما يبتغيه ونال الظفر
 فصبوا جيلاً على ما قضاه الاله عساه يزِيل الضرر
 ولا تترك الدعاء والطلب فإن اللطيف به قد أمر
 ولا تركب بحار الهوى فإن المعاصي قرين الخطر

زدي بفرط الابتلاء تصبراً والطف بما قدرته فيما جرى
 يا من له عنت الوجوه جميعها رحكك فالعبد الذليل تحيراً
 إن لم يكن لي منك لطف شامل أوفضل إحسان أعلى مكرراً
 فمن الذي أرجو لكشف بليتي أو من إليه أميل من بين الوري
 والكُل مفتقر إليك وسائل من فيض جودك نقطة أن تقطراً
 لا أرتجى أحداً سواك وأنت لي نعم الملاذ ومن رجاك استبشراً
 إن سألتهك والهجوم تراكت والدهر عاند والزمان تنكراً
 حاشا تحيب من رجاك مؤملاً مهما جنى أو كان فيك مقصراً

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

خاتمة الطبع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أظهر الدين بطلعة سيد الأنبياء والمرسلين ، وأنزل عليه قرآنا عجبا
يهدى إلى الرشد وإلى الطريق المبين ، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس ، ومله
خير ملة جاءت على أقوى أساس ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه
الذين نصروه وآزروه واتبعوا النور الذي أنزل معه ، أولئك هم المفلحون .

وبعد : فقد تم بحمد الله وحسن توفيقه طبع كتاب :

تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه

للأستاذ الجليل الشيخ محمد طاهر الكردى المكي

مصححا بمعرفة لجنة التصحيح برياسة : الشيخ أحمد سعد على

القاهرة في ٨ أكتوبر ١٩٥٣ م

مدير المطبعة
رستم مصطفى الحلبي

ملاحظ المطبعة
محمد أمين عمران

فهرست

کتاب تاریخ القرآن و غرائب رسمه و حکمه

الموضوع	الصحيفة
مقدمة الطبعة الأولى	٥
سبب تسمية المصحف العثماني بالمصحف الإمام	٦
مقدمة الطبعة الثانية	١٠
(الباب الأول) وفيه خمسة فصول	١٤
الفصل الأول : في تعريف القرآن وما يتضمنه	
اعتناء العلماء بالقرآن الكريم	١٦
وصف بليغ للقرآن للأستاذ الكبير الرافعي رحمه الله تعالى	١٧
طبع المصحف لأول مرة	١٨
اعتراف الإفرنج بسمو مكانة القرآن	١٨
الفصل الثاني : في معنى إعجاز القرآن الكريم	٢٠
الفصل الثالث : القرآن في اللوح المحفوظ	٢٥
ترجمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما	٢٥
الفصل الرابع : كيف كان بدء الوحي	٢٦
تاريخ بدء الوحي	٢٧
الفصل الخامس : كيفية نزول الوحي ونزول القرآن	٢٩
أقسام الوحي وصوره	٣١

- ٣٣ نزول القرآن
- ٣٤ حكمة إنزال القرآن مُنَجِّيًا
- ٣٦ أول وآخر ما نزل من القرآن
- ٣٩ (الباب الثاني) وفيه خمسة فصول
- ٣٩ الفصل الأول : في جمع القرآن الكريم
- ٣٩ الجمع الأول : وكان في عهده صلى الله عليه وسلم
- ٤٠ الجمع الثاني : جمع أبي بكر رضي الله عنه
- ٤٢ سبب إيداع الصحف عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهما
- ٤٢ ترجمة زيد بن ثابت رضي الله عنه
- ٤٣ سبب تتبع زيد بن ثابت ما لدى الناس من قرآن
- ٤٤ لماذا لم يحمل أبو بكر الناس على مصحفه كما فعل عثمان رضي الله عنهما ؟
- ٤٥ لماذا لم يجتمع الخلفاء الأربعة بأنفسهم على جمع المصحف ؟
- ٤٦ الجمع الثالث : جمع عثمان رضي الله عنه
- ٤٧ ترجمة حذيفة بن اليمان رضي الله عنه
- ٤٧ ترجمة عبد الله بن الزبير
- ٤٨ ترجمة سعيد بن العاص
- ٤٨ ترجمة عبد الرحمن بن الحارث
- ٤٨ معنى نزول القرآن بلغة قريش
- ٤٨ سبب حرق عثمان بن عفان المصاحف غير مصحفه
- ٥٢ الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان

الموضوع	الصحيفة
لماذا اتُخِبَ زيد لكتابة المصاحف	٥٣
جواب الإمام الطبري عن علّة فقدان الأحرف الستة	٥٤
خلاصة ما تقدم	٥٥
نظم في جمع القرآن للإمام الشاطبي	٥٦
الفصل الثاني : في احتياط الصحابة في كتابة القرآن	٥٧
سبب جعل شهادة خزيمة بن ثابت بشهادة رجلين	٥٩
تعلم زيد بن ثابت اللغة السريانية في نصف شهر	٥٩
الفصل الثالث : في ضبط وتصحيح المصحف الكريم	٦١
ترجمة خزيمة بن ثابت	٦٢
سلامة جمع القرآن من اللحن والغلط والسهو والنسيان	٦٤
الكلام على ما تؤوله بعضهم بأن عثمان قال : « إن في القرآن لحناً ستقيمه العرب بالاستئناس »	٦٤
ردّ العلامة الألوسي على هذا القول في تفسيره روح المعاني	٦٥
ردّ الإمام الداني على هذا القول أيضا في كتابه المنقح	٦٦
إقرار بعض علماء الإفرنج بدقة جمع القرآن الكريم	٦٧
حكاية لطيفة رواها البيهقي	٦٩
حفظ القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم	٦٩
ترجمة سالم مولى أبي حذيفة	٧٠
ترجمة أم ورقة	٧٠
الفصل الرابع : في ترتيب آيات القرآن وسوره	٧١

- ٧١ ترتيب الآيات
- ٧١ بيان السور الطوال والقصار والمئين والمثنائى والمفصل
- ٧١ علّة عدم وضع البسملة في سورة براءة
- ٧٣ ترتيب السور
- ٧٥ حكم تفكيك الآيات والسور قراءة وكتابة
- ٧٦ تسمية السور
- ٧٦ الدليل على أن ترتيب سور القرآن توقيفى
- ٧٧ الدليل على أن ترتيب سور القرآن اجتهادى
- ٧٩ عدد المصاحف التى فرقها عثمان رضى الله عنه فى الأمصار
- ٧٩ ترجمة العرباض بن سارية والحديث المروى عنه
- ٨١ الفصل الخامس : فى نزول القرآن على سبعة أحرف
- ٨١ ترجمة هشام بن حكيم بن حزام القرشى
- ٨٣ ترجمة أبى بن كعب
- ٨٤ ترجمة عبد الله بن مسعود
- ٨٤ وصية ابن مسعود لأهل الكوفة فى عدم تنازعهم فى القرآن
- ٨٥ خلاصة أقوال العلماء فى المراد بالأحرف السبعة
- ٨٨ استدلالنا على أن حديث «أنزل القرآن على سبعة أحرف» من الأحاديث المتشابهة
- ٩٠ جواب الإمام الطبرى على سؤال بعضهم عن ترك الأحرف الستة
- ٩١ سبب اختلاف القراءات
- ٩١ فوائد اختلاف القراءات

- ٩٣ (الباب الثالث) وفيه خمسة فصول
- ٩٣ الفصل الأول : في رسم المصحف العثماني وقواعده
- ٩٥ الفصل الثاني : في اختلاف رسم المصاحف العثمانية
- ٩٥ الفرق بين الخلاف الواقع في رسم المصحف والخلاف الواقع في وجوه القراءات
- ٩٦ ذكر جملة من الأمثلة التي اختلفت كتابتها ورسومها في المصاحف
- ٩٧ سبب اختلاف رسوم المصاحف العثمانية
- ٩٨ الفصل الثالث : في رسم القرآن الكريم هل هو توقيفي أم لا ؟
- ٩٨ اختلاف العلماء في رسم المصحف العثماني
- ٩٨ استدلالنا بأن رسمه غير توقيفي بأمور
- ١٠٣ الفصل الرابع : في حكم اتباع رسم المصحف العثماني
- ١٠٣ إجماع الأئمة على وجوب اتباع رسمه
- ١٠٤ جواز كتابة الألواح للصغار المتعلمين بغير الرسم العثماني
- ١٠٥ قول القاضي عياض فيمن زود أو نقص حرفا من القرآن
- ١٠٥ قول ابن القاضي المغربي في رسم المصحف العثماني
- ١٠٦ علة عدم وجوب اتباع رسم الصحف البكرية
- ١٠٧ ذكر أربعة أسئلة من المسائل التي أرسلناها لمشيخة المقارئ المصرية
- ١٠٧ السؤال الأول هل من ضمن القراءات المتواترة قراءة روعى فيها رسم المصحف العثماني أم لا ؟ (والإجابة عليه)
- ١٠٧ السؤال الثاني — هل يطلق على من كتب مصحفا بقراءة من القراءات المتواترة أنه خالف رسم المصحف العثماني وأنه ارتكب محظورا أم لا ؟ (والإجابة عليه)

- ١٠٨ السؤال الثالث — ماهي القراءات المتواترة وكم عددها وما أسماؤها وما معنى القراءة الشاذة ... الخ؟ (والإجابة عليه)
- ١١٠ السؤال الرابع — هل يجوز إتلاف المصاحف المطبوعة بغير رسم المصحف العثماني أم لا، وهل لها حرمة أم لا؟ (والإجابة عليه)
- ١١١ البحث عن نفس المصاحف العثمانية
- ١١٢ فوائد اتباع الرسم العثماني
- ١١٢ الرد على الإفرنج القائلين باستنباط القراءات من الرسم
- ١١٤ استدلالنا على عدم أخذ القراءات من الرسم
- ١١٦ الفصل الخامس : في معرفة الصحابة لقواعد الإملاء والكتابة
- ١١٧ استدلالنا على أن الصحابة كانوا يعرفون قواعد الإملاء والكتابة بثلاثة أمور
- ١١٨ كتابات القرون الأولى على الصخور والأحجار
- ١١٩ ترجمة عبد الله بن جدعان ، وذكر شئ من أخباره
- ١١٩ كيف دخل الخط العربي للحجاز ، وأول من أدخله مكة
- ١١٩ ترجمة حرب بن أمية
- ١٢٠ ترجمة بشر بن عبد الملك
- ١٢٢ أول من جمع الأولاد في المكتب ، وسبب عطلة الدراسة في يوم الخميس والجمعة
- ١٢٤ (الباب الرابع) وفيه فصلان
- ١٢٤ الفصل الأول : فيما لو كتبنا القرآن الكريم بقواعد كتاباتنا
- ١٢٤ أسماء أئمة القراءات وتاريخ وفاتهم
- ١٢٧ الفصل الثاني : فيما لو اتبعنا رسم المصحف العثماني في كتاباتنا

- الصفحة الموضوع
- ١٢٨ جدول وفيه بعض الكلمات بحسب رسم المصحف العثماني — فتأمل الرسم جيداً من صحيفة ١٢٨ إلى ١٣١ تجد فرقاً عظيماً .
- ١٣١ بيان ما يسوغ لنا اتباعه من مرسوم المصحف وما لا يسوغ .
- ١٣١ بيان ما لا يسوغ لنا اتباع رسمه .
- ١٣٢ كتابة جملة من غير القرآن بالرسم العثماني للمقارنة
- ١٣٢ بيان ما يستحسن لنا اتباعه
- ١٣٣ اتفاق كتابائنا برسم المصحف في بعض الكلمات
- ١٣٣ أحوال الهزرة في القرآن
- ١٣٤ ما يكتب من الهزرات على نبرة وما لا يكتب
- ١٣٤ ذكر سؤالنا لمشيخة القارئ المصرية عن كتابة الهزرات في المصحف ، وإجابتها عليه
- ١٣٧ (الباب الخامس) في ذكر شيء من مرسوم القرآن الكريم ، وفيه أربعة فصول
- ١٣٧ الفصل الأول : في رسم إبراهيم ، أيها ، سعووا ، عتوا ... الخ
- ١٣٨ القاعدة في زيادة الألف بعد واو فعل جمع
- ١٣٨ عدم تخطئة الأتراك في كتاباتهم لنحو عصمت ، نعمت ، رأفت ... الخ بالتاء المفتوحة
- ١٣٩ نظم قيم في بعض ما جاء من مرسوم المصحف العثماني
- ١٤٠ نظم آخر مهم فيما يتصل وما يتفصل
- ١٤١ الفصل الثاني : في رسم البسملة ، وألف المد وألف التثنية ... الخ
- ١٤٦ الفصل الثالث : في ألف التثنية ورسم صيغ المبالغة ... الخ
- ١٤٧ الفصل الرابع : في بعض غرائب رسم المصحف العثماني

المصنف	الموضوع
١٥٤	(الباب السادس) وفيه خمسة فصول
١٥٤	الفصل الأول : فيما ذكره العلماء من التعليقات لبعض مرسوم المصحف العثماني
١٥٧	الفصل الثاني : في اختراع النقط والشكل
١٥٩	الفصل الثالث : في كتابة المصاحف قديماً وحديثاً
١٦٦	الفصل الرابع : في عدم جواز قراءة القرآن وكتابه بغير العربية
١٦٨	الفصل الخامس : في عدد أجزاء القرآن وأنصافه وسوره وآياته وحروفه
١٧١	الخاتمة ، وفيها خمس فوائد : الفائدة الأولى في فضائل القرآن
١٧٣	الفائدة الثانية : في الإكثار من تلاوة القرآن الكريم
١٧٥	الفائدة الثالثة : في تجويد القرآن العظيم
١٧٦	الفائدة الرابعة : في آداب تلاوة القرآن
١٨٠	دعاء ختم القرآن
١٨١	الفائدة الخامسة : في آداب القرآن
١٨٣	إلحاق
١٨٣	جمع القرآن بمعنى حفظه في الصدور
١٨٥	جمع القرآن بمعنى كتابته في عهده صلى الله عليه وسلم
١٨٥	جمع القرآن على عهد أبي بكر رضي الله عنه
١٨٦	جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله تعالى عنه
٢٠١	مباحث : في حديث « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه »
٢٠١	المبحث الأول : في بيان طرق هذا الحديث
٢٠٤	المبحث الثاني : في سبب ورود القرآن على سبعة أحرف

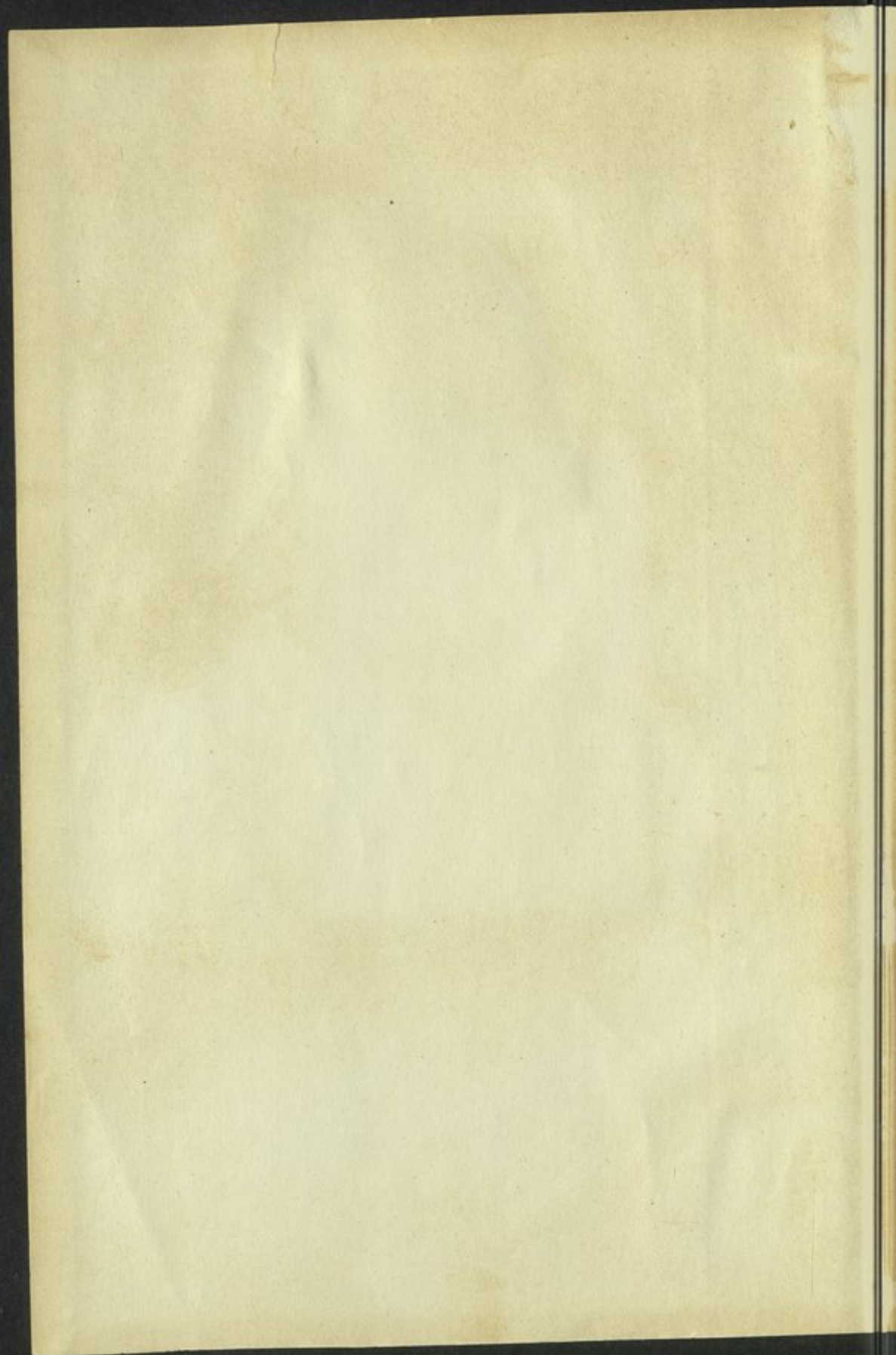
الموضوع	الصفحة
المبحث الثالث : في بيان المراد بهذه الأحرف السبعة	٢٥٦
المبحث الرابع : في بيان أن اختلاف الأحرف السبعة اختلاف تنوع وتغاير ، لا اختلاف تضاد وتناقض	٢٥٨
التتمة في بيان فوائد اختلاف القراءات	٢١١
منظومة : في بناء الكعبة المشرفة (تمهيد)	٢٢٩
صفة بناء إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام الكعبة	٢٣٣
صفة بناء قريش الكعبة قبل البعثة بخمس سنين	٢٣٦
صفة بناء عبد الله بن الزبير الكعبة	٢٣٨
صفة بناء الحجاج بن يوسف الثقفي الكعبة	٢٤٠
صفة بناء السلطان مراد الرابع الكعبة	٢٤١
قصيدة للمؤلف في الدعوات وتاريخ نظمها	٢٤٣
حكم وأمثال للمؤلف نثرا ونظما	٢٤٤

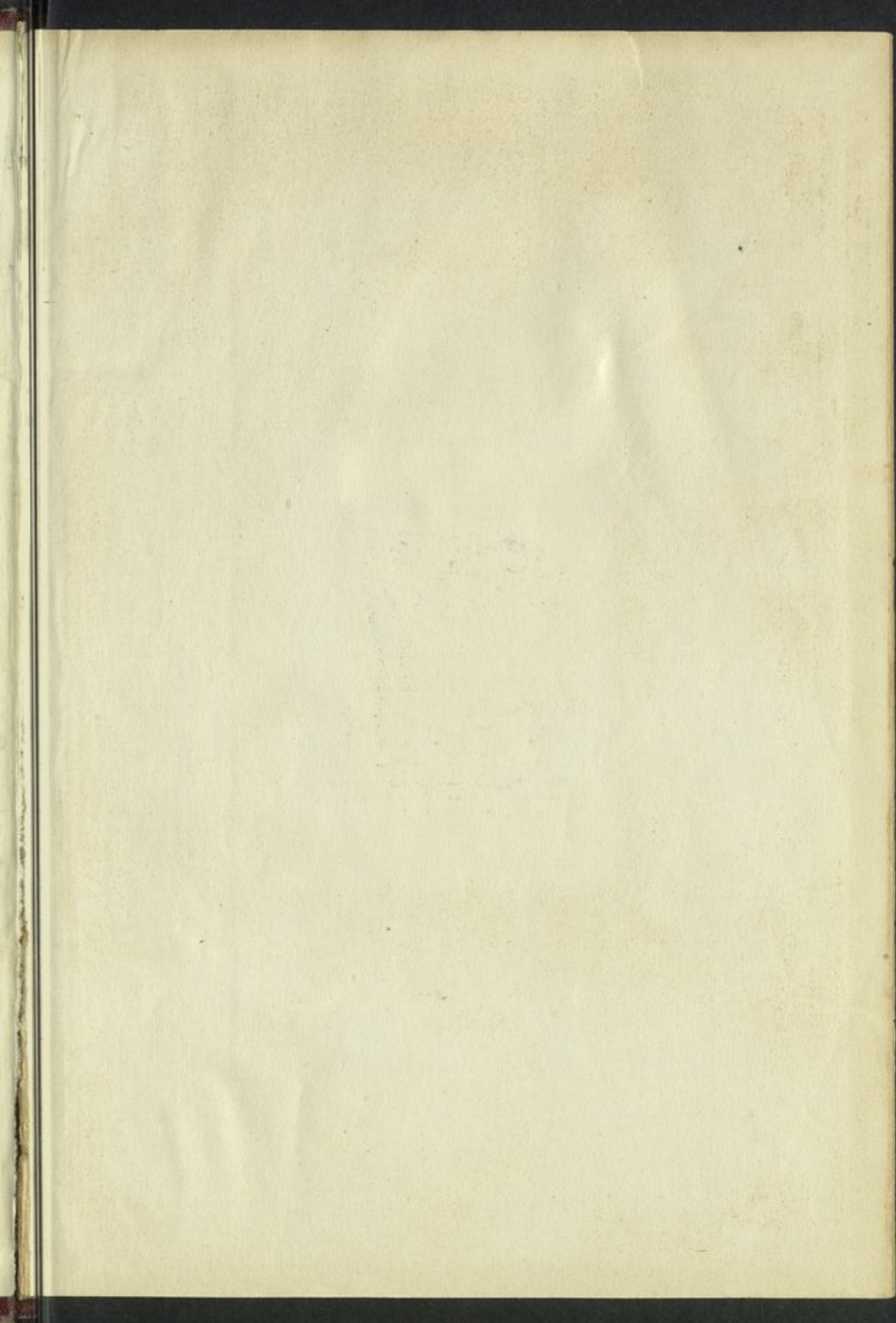
- ١ - مقام إبراهيم عليه السلام .
- ٢ - تحفة العباد في حقوق الزوجين والوالدين والأولاد .
- ٣ - حسن الدعاة فيما ورد في الخط وأدوات الكتابة .
- ٤ - مجموعة الحرمين - كراسات في تعليم خط النسخ .
- ٥ - إرشاد الزمرة لمناسك الحج والعمرة ، شافعي ،
تحت الطبع
- ٦ - الموعدة الحسنة في عدم اليأس والصبر والتفويض



يطلب من مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

مصر . ص . ب الغورية ٧١





الكردى، محمد طاهر
تاريخ القرن وغرائب رسمه وحكمه

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01006038

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



297.129
K96A